الكرامة الإنسانية
في الشريعة الإسلامية
حفظها ورعايتها
دراسة موضوعية

تأليف
الدكتور فاخر عباس عيسى الداودي

دار رواد المجد
دار العصماء

الطبعة الأولى

1440 هـ 2020 م



دار العصماء

فــرع أول : سورية - دمشق - برامكة - جانب دار الفكر
قبل دار التوليد - دخلة الحلبوني
هاتــف: 2224279 -11-00963 - تلفاكس : 2257554 -11-00963
فرع ثاني : دمشق - ركن الدين - الســوق التجــاري
جانب مجمع الشيخ أحمد كفتارو
هاتــف: 2770433 -11-00963 تلفاكس : 2752882 -11-00963
ص.ب : 36267 - موبايل : 944/349434 -00963
E-mail:daralasma@gmail.com



إلى...

كل من أضاء بعلمه بصيرة غيره

أو هدى بحكمته حيرة غيره

فأظهر بسماحته تواضع العلماء

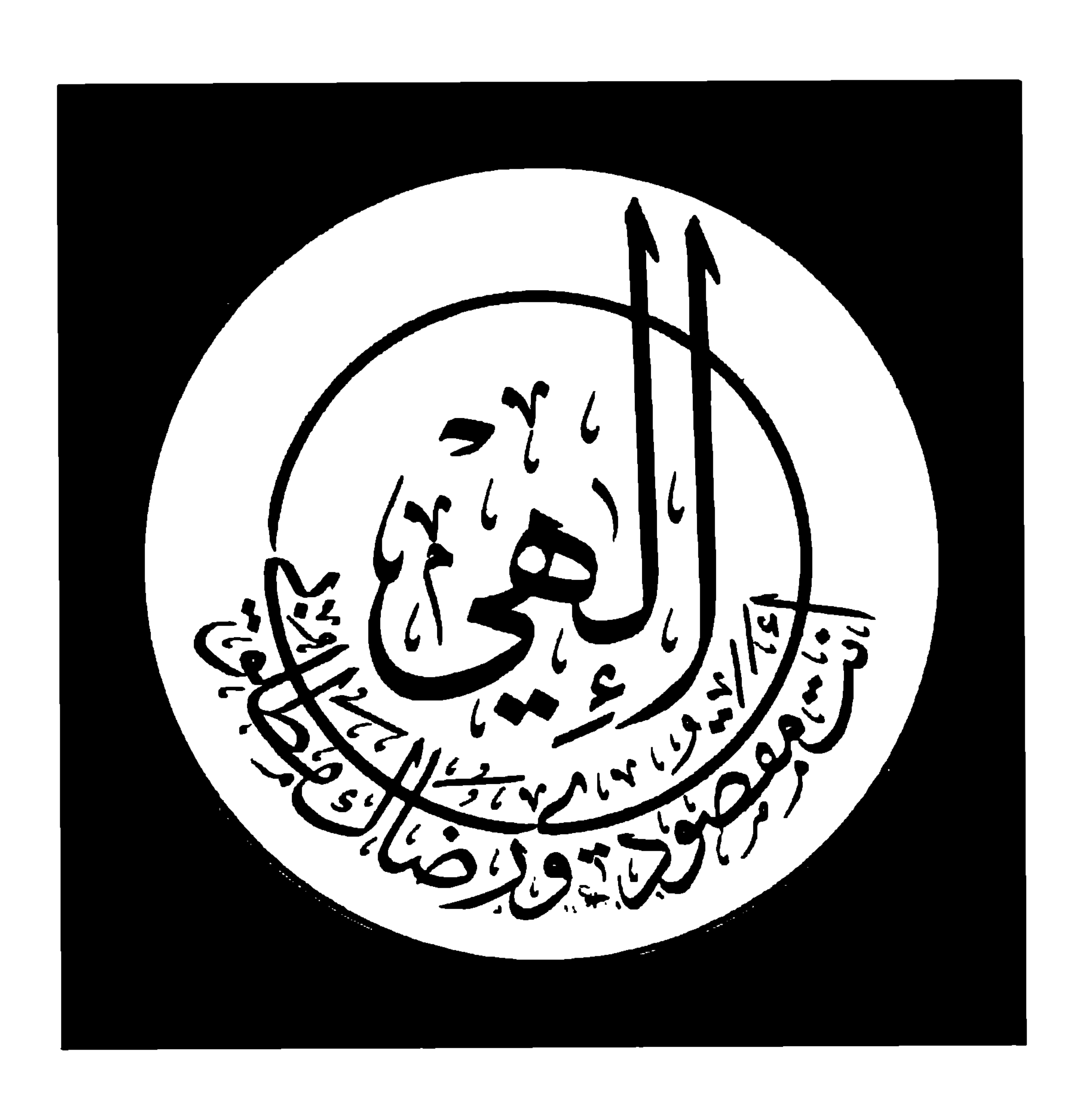
وبرحابته سماحة العارفين

إلى كل من أعانني وأرشدني وعلمني

إلى أساتذتي الكرام وزملائي المخلصين

أهدي هذا الجهد المتواضع

الباحث


الهی
انت مقصودی و رضاک مطلوبی

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالذي يطّلع على آيات القرآن الكريم ويتمعن فيها يلاحظ عنايته بالقيم الإنسانية واهتمامه بترسيخها في النفوس ولاسيما ما تخص بمنزلة الإنسان وكرامته. لأن القرآن الكريم أهم مصادر المعرفة التي عرفها تأريخ الإنسانية، حيث تحدث هذا الكتاب العزيز عن مختلف أبواب المعرفة، سواء الاقتصادية أم الاجتماعية أم السياسية أم غيرها، ومن أبواب المعرفة التي حظيت باهتمام القرآن الكريم حق الكرامة الإنسانية وحفظها، والتي تنبثق من حقوق الإنسان في القرآن الكريم.

فأما منة التكريم فهي مزية خص بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية، أي جعله نفيساً غير مبذول ولا ذليل، فكل شيء مخلوق في هذا العالم إنما هو من أجل الإنسان، ليقوم برعاية ما نيط به من تكليف ومسؤولية، فالإنسان مسؤول أولاً ثم مكرّم من أجل مسؤوليته. كما هو مفهوم القرآن الكريم من بدايته إلى نهايته، وقد تناول القرآن الكريم هذا التكريم ومظاهره في مناسبات عدة، وبأساليب متنوعة، من خلال الآيات الصريحة والضمنية.

فيجدر بنا أن نتعرف على بعض هذه المظاهر حتى يتبين لنا مدى الاستعدادات والخصائص التي منحها الله تعالى للإنسان حتى يصير أهلاً لتحمل هذه المسؤولية والقيام بها.

وأما عن هذا البحث المتواضع، فإنه جُهْد مُقِلّ ودراسة لإبراز هذه المظاهر والتي من خلالها تتبين المنزلة التي يتبوئها الإنسان روحياً وجسدياً وعقلياً وإبراز الجوانب التي من خلالها يرتقي الإنسان فوق جميع الكائنات الأخرى. وعلى ضوء العنوان فقد جعل الباحث

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]. محوراً رئيساً في هذه الدراسة، لأنها تشمل جميع أنواع التكريم للإنسان، الروحي، والجسدي، والعقلي، وتندرج تحتها الآيات المتضمنة للتكريم، صريحة كانت أو ذات صلة، أو تدل على معنى التكريم، فعلى ضوء آية الاسراء تم تقسيم البحث إلى ثلاثة أبواب، الأول: التكريم الروحي للإنسان، والثاني: التكريم الجسدي، والثالث: التكريم العقلي.

كل هذه المعاني من خلال الاقتباس من نور القرآن الكريم وهديه وإرشاده وتوجيهاته، فما فيه من الصواب فذلك توفيق من الله تعالى، وما فيه من الخطأ والنسيان فمن النفس والشيطان، والقرآن منه بريء، نسألُه تعالى أن يجعلنا ممن يرعاهُ حَقَّ رعايته.

۞ سبب اختيار الموضوع:

وقع اختيار الباحث على هذا الموضوع بسبب كثرة الانتهاكات التي تحدث لكرامة الإنسان من القتل والترويع والتعذيب والتخويف والتهجير في واقعنا المعاصر وفي كثير من بلداننا الإسلامية، سواءً كان الفاعل جيشاً محتلاً أو نظاماً مستبداً أو مجاميع مستغلة لاسم الإسلام والإسلام من أفعالهم براء.

۞ هدف البحث:

١. بيان الأسس الرئيسة للكرامة الإنسانية والتي هي نابعة من القرآن الكريم، وتحديد أبعادها وملامحها التي تسعد الإنسان وتعلمه معنى الحياة والغاية منها.
٢. تصحيح النظرية الخاطئة الدخيلة على مجتمعاتنا التي تربط بين الإسلام وبين ما تحدث هنا وهناك من الانتهاكات والاعتداء على حقوق الإنسان، كجرائم القتل والإرهاب والتخويف والتهجير وغير ذلك.

۞ صعوبات البحث:

١. التشابه الكبير بين آراء المفسرين في الآية الواحدة مما أدى إلى الاقتصار على آراء محددة جداً في معنى الآيات، علما بأنه من مزايا التفسير التحليلي التنوع والاختلاف في الآراء وغزارة المعلومات التي تغني البحث بالمادة العلمية.

٢. عدم تطرق العلماء المتقدمين في دراساتهم وكتاباتهم على هذا الجانب بشكل موضوعي، حتى نستفاد من تلك الدراسات ونستلهم منها الأفكار والبناء عليها بالتوسع والإضافات، لأنه لم يكن التفسير الموضوعي في عصرهم منتشراً، بل أشاروا إليه بشكل متفرق في تفاسيرهم حسب ما جاء في آيات القرآن الكريم.

۞ منهجية البحث:

تقتضي سلامة الوصول إلى نتائج إيجابية لدراسة هذا الموضوع أن يتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي والوصفي، بحسب ما تمليه طبيعة البحث العلمي المتدرج من أسس موضوع البحث إلى فروعه، فثمراته.



التمهيد

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: مفهوم التكريم.**

المطلب الأول: التكريم في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: التكريم عند المفسرين.

- **المبحث الثاني: الإنسان في القرآن.**

المطلب الأول: تعريف الإنسان.

المطلب الثاني: منزلة الإنسان.

- **المبحث الثالث: القرآن الكريم وخصائصه.**

المطلب الأول: تعريف القرآن.

المطلب الثاني: خصائص القرآن.

المبحث الأول
مفهوم التكريم

المطلب الأول: التكريم في اللغة والاصطلاح

۞ أولاً: التكريم لغةً:

وهو مأخوذ من مادّة (ك ر م) الّتي تدلّ على معنيين: **أحدهما:** «شرف الشّيء في نفسه، أو شرف في خُلق من الأخلاق، يقال: رجل كريم، ونبات كريم، وأكرم الرّجل: إذا أتى بأولاد كرام، واستكرم: اتّخذ عرقاً كريماً. والكرم في الخُلق: يقال: هو الصّفح عن ذنب المذنب، **والآخر**: الكرم، وهو القلادة، وسمّي العنب كرماً لأنّه مجتمع الشّعب، منظوم الحبّ»(1). والكريم من أسماء المولى عزّ وجلّ وصفاته، «وكَرُمَ: الشيءُ (كَرَماَ) نَفُسَ وعَزَّ فهو (كريمٌ). والجمع (كِرامٌ) و(كُرَمَاءُ) والأنثى (كريمةٌ) وجمعها (كريماتٌ) و(كَرائمُ) و(كَرائمُ الأموالِ) نفائسها وخيارها»(2).

وذكر الرّاغب(3) الفضل والفضيلة من معاني الكرم، وأنّ من ذلك قوله تعالى:

---

(1) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ). **معجم مقاييس اللغة.** تحقيق عبد السلام محمد هارون. اتحاد الكتاب العرب. (١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م). كتاب الكاف، ج٥: ص١٣٩.

(2) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي.** بيروت: المكتبة العلمية، ج٢: ص٥٣١.

(3) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه: محاضرات الأدباء، والمفردات في غريب القرآن، وغي ذلك. توفي سنة ٥٠٢هـ، ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت٧٤٨هـ). **سير أعلام النبلاء.** تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط٣. مؤسسة الرسالة، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م). ج١٨: ص١٢٠-١٢١. والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ). **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. لبنان - صيدا: المكتبة العصرية، ج٢: ص٢٩٧.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1].

وقال الجوهريّ[2]: «التّكريم والإكرام بمعنى (واحد)، والاسم منه الكرامة»[3].

وجاء في القاموس المحيط: «يقال أكرمه وكرّمه: عظّمه ونزّهه. والكريم: الصّفوح، ورجل مكرام: مكرم للنّاس، وتكرّم عنه وتكارم: تنزّه. والمكروم، والمكرمة، والأكرومة: فعل الكرم، وكرّم السّحاب تكريما كثر ماؤه»[4].

فالكريم فهو الجامع لأنواع الخير والشّرف والفضائل، والمكرّم المتكرّم على كلّ أحد، والتّكرّم (أيضاً) تكلّف الكرم، وكريمة القوم، كريمهم وشريفهم، الهاء فيه للمبالغة، وفي الحديث: «إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه»[5].

ومن التعريف اللغوي تبين معنى التكريم على أنه: التشريف، والتعظيم، والتفضيل.

---

(١) ينظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ). **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة، كتاب الفاء. ص٣٨١.

(٢) هو أبو نصر اسماعيل بن حمّاد التركي الاتراري، إمام اللغة، مصنف كتاب "الصحاح" وأحد من يُضرب به المثل في ضبط اللغة، توفي سنة ٣٩٣هـ. ينظر: الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج١٧: ص٨٠-٨٢. وابو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، جمال الدين (ت٨٧٤هـ). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ج٤: ٢٠٧.

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حماد. **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. القاهرة: (١٩٨٢ م). ج٥: ص٢٠٢١.

(٤) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. **القاموس المحيط**. بيروت: دار الجيل، ص١٠٦٣.

(٥) ابن منظور، **لسان العرب**. بيروت: دار صادر، (١٩٥٦م). ج١٢: ص٥١٢، وانظر: ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري. **النهاية في غريب الحديث والأثر**. تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، (١٣٦٣هـ). ج٤: ص١٦٧. وفي رواية «**إذا أتاكم كريم قوم**»، ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني. **سنن ابن ماجه**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار الفكر، ح (٣٧١٢). ج٢: ص١٢٢٣. وفي إسناده سعيد بن مسلمة وهو ضعيف.

۞ ثانياً: التكريم اصطلاحاً:

قال الراغب[1]: والإكرام والتكريم: أن يوصل إلى الإنسان إكرام، أي: نفع لا يلحقه فيه غضاضة، أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئاً كريماً، أي شريفاً، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]. وقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] أي: جعلهم كراماً، وقوله تعالى: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١١]. وقوله تعالى: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦] وقوله تعالى: ﴿بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] مُنْطَوٍ على المعنيين[2].

وقال «الكرمُ» إذا وُصف الله تعالى به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه، ولا يقال هو كريم حتى يظهر ذلك منه»[3].

وقال الجرجاني[4]: «الكَرَم: بمعنى الإعطاء بسهولة، والكريم: من يُوصِلُ النفع بلا عوض، فالكرم هو إفادة ما ينبغي لا لغرض فمن يَهِبُ المال لعوض جَلباً للنفع، أو خلاصاً عن الذم، فليس بكريم»[5].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) أي الإكرام والتكريم. ينظر: **الراغب، المفردات**. ص٤٧٩.

(٣) الراغب، **المفردات**. كتاب الكاف. ص٤٢٨.

(٤) هو علي بن محمد بن علي الحنفي الشريف الجرجاني، مولده بجرجان (تقع في شمالي إيران حالياً) سنة (٧٠٤هـ)، أخذ الفنون عن الجلال الخجندي وسمع على الجمال الأميوطي، وله تصانيف مفيدة، منها "شرح المواقف للعضد"، و"شرح التجريد للنصير الطوسي"، ويقال إن مصنفاته زادت على خمسين مصنفاً، توفي بشيراز سنة ست عشرة وثمانمائة. ينظر: السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ). **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. بيروت: دار مكتبة الحياة. ج٥: ص٣٢٨، والسيوطي، **بغية الوعاة**. ج٢: ص١٩٦-١٩٧.

(٥) الجرجاني، علي بن محمد بن علي. **كتاب التعريفات**. تحقيق عادل أنور خضر. ط١. بيروت: دار المعرفة، (١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م). باب الكاف، ص١٦٨.

وقال أبو حامد الغزاليّ[1]: «الكريم: هو الّذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفّى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرّجاء، ولا يبالي كم أعطى، ولا من أعطى، وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى، وإذا جفي عاتب وما استقصى، ولا يضيع من لاذ به والتجأ، ويغنيه عن الوسائل والشّفعاء، فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلّف فهو الكريم المطلق وذلك هو اللّه تعالى فقط، وقد يوصف العبد بالكريم ولكنه ناقص بالإضافة إلى الكريم المطلق»[2].

«فالإكرام: مصدر أكرم وهو الجود والإحسان أو التكريم والتعظيم، أو تشريف بني آدم وتفضيلهم على سائر خلقه»[3].

ومن التعريف اللغوي والاصطلاحي تبين أن التكريم هو التشريف، والتعظيم، والتفضيل، وبإضافته إلى الإنسان أي: تشريفه وتعظيم شأنه وتفضيله، والكريم من أسماء الله تعالى وصِفَةٌ من صفاته جل شأنه، كرّم الإنسان بما وهبه من عيش كريم، وأجر كريم، ورزق كريم، وفيما أنزل عليه من قول كريم، ولا حاجة له ولا مصلحة في ذلك سبحانه وتعالى.

---

(١) هو الإمام زين الدّين، أعجوبة الزمان، حجّة الإسلام، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطّوسي الشافعي، أحد الأعلام. ولد بطوس (تسمى اليوم بمشهد في إيران)، سنة خمسين وأربعمائة تلمذ لإمام الحرمين، وصنّف التصانيف، مع التصوّن والذكاء المفرط والاستبحار في العلم، وبالجملة ما رأى الرجل مثل نفسه. توفي في رابع عشر جمادى الآخرة بالطّابران، قصبة بلاد طوس، وله خمس وخمسون سنة. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج١٩: ص٣٢٢ وما بعدها. والسبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ). **طبقات الشافعية الكبرى**. تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو. ط٢. هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤١٣هـ). ج٦: ص١٩١ وما بعدها. وابن العماد العكبري، عبد الحي بن أحمد ابن محمد الحنبلي، أبو الفلاح (ت١٠٨٩هـ). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. تحقيق محمود الأرناؤوط. ط١. بيروت: دار ابن كثير، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م). ج٦: ص١٨-٢١.

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء اللّه الحسنى**. تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي. قبرص: الجفان والجابي للنشر، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م). ص ١١٧. (بتصرف)

(٣) الجمل، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد. **معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن** (مخطوطة الجمل). ط١. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٢٠٠٨م). ج٤: ص٥٤.

المطلب الثاني: التكريم عند المفسرين

وردت مادة كرم (ك ر م) ومشتقاتها (٤٧ مرة) في القرآن الكريم، وكما يلي مع عدد المواضع التي وردت فيها: أَكْرَمَكُم (١)، أَكْرَمَنِ (١)، أَكْرِمِي (١)، الأَكْرَمُ (١)، الْكَرِيمُ (١)، الْكَرِيمِ (٢)، الْمُكْرَمِينَ (٢)، تُكْرِمُونَ (١)، فَأَكْرَمَهُ (١)، كَرِيماً (٤)، كَرِيمٌ (١٢)، كَرِيمٍ (٨)، كَرَّمْتَ (١)، كَرَّمْنَا (١)، كِراماً (٢)، كِرَامٍ (١)، مُكَرَّمَةٍ (١)، مُكْرَمُونَ (٣)، مُكْرِمٍ (١)، وَالإِكْرَامِ (٢)، فجاء كصفة لله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، ولجبريل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩]. وللرسل: ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: ١٧]. وللقرآن: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]. وللملائكة: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١١]. وللعرش: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦] وللقول: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] وغيرها[1].

أما ما يخص الإنسان، والذي هو موضوع هذه الدراسة، فورد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقوله تعالى: ﴿بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٧]. وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥]. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]. وقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: ٥٠]. وقوله تعالى:

---

(١) ينظر: خضر، محمد زكي محمد. **معجم كلمات القرآن الكريم**. مكتبة المشكاة، (١٤٢٦هـ =٢٠٠٥م). ج١: ص٢٤. وعبد الباقي، محمد فؤاد. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. القاهرة: دار الكتب المصرية. ص٦٠٢- ٦٠٣. والجمل، **معجم وتفسير لغوي**. ج٤: ص٥١ وما بعدها.

﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]. وغير ذلك من الآيات، وبما أن عنوان هذه الدراسة هو تكريم الإنسان في القرآن الكريم، فمن الممكن أن نجعل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]. محوراً رئيساً في هذه الدراسة، لان هذه الآية فيها جميع أنواع التكريم للإنسان من لدن خالقه سبحانه، وتندرج تحتها الآيات المتضمنة للتكريم، صريحة كانت أو ذات صلة، أو تدل على معنى التكريم. لذا ندرس الآية من جميع جوانبها.

۞ أولاً: تفسير الآية:

قال الطّبريّ[(١)]: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] «تكريم الإنسان (بني آدم) هو تسليط اللّه عزّ وجلّ إيّاهم على غيرهم من الخلق، وتسخيره سائر الخلق لهم»[(٢)]، وقال القرطبيّ[(٣)] «﴿كَرَّمْنَا﴾ تضعيف كرم، أي جعلنا لهم كرماً أي شرفاً

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان (شمال دولة إيران)، ولد سنة ٢٢٤هـ، طلب العلم وأكثر الترحال ولقي نبلاء الرجال وكان من افراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصانيف، واستقر في أواخر أمره ببغداد، وكان من كبار أئمة الاجتهاد. توفي سنة ٣١٠هـ. ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق إحسان عباس. ط١. بيروت: دار صادر، (١٩٧١م). ج٤: ص١٩١. والذهبي، **سير اعلام النبلاء**. ج١٤: ص٢٦٧.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤- ٣١٠هـ). **تفسير الطبري؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. تحقيق أحمد محمد شاكر. ط١. مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م)، ج١٧: ص٥٠١.

(٣) هو الإمام، الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي مصنف التفسير المشهور، كان إماماً علماً، من الغوّاصين على معاني الحديث، حسن التصنيف، جيد النقل. توفي بمنية بني خصيب من صعيد مصر، سنة (٦٧١هـ). ينظر: السيوطي، =

وفضلاً، وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال، وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة»[1].

وقال ابن كثير[2]: «تكريم اللّه للإنسان يتجلّى في خلقه له على أحسن الهيئات وأكملها وفي أن جعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً، يفقه بذلك كلّه وينتفع به ويفرّق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصّها ومضارّها في الأمور الدّينيّة والدّنيويّة»[3].

وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾ على ظهور الدوابّ والمراكب كالخيل والبغال،

=عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ). **طبقات المفسرين**. تحقيق علي محمد عمر. ط١. القاهرة: مكتبة وهبة، (١٣٩٦هـ). ج١: ص٩٢. وابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٧: ص٥٨٥. والمقري التلمساني، شهاب الدين، أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. تحقيق إحسان عباس. ط١. بيروت: دار صادر، (١٩٩٧م). ج٢: ٢١٠.

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت ٦٧١هـ). **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢. القاهرة: دار الكتب المصرية، (١٣٨٤هـ = ١٩٦٤ م). ج١٠: ص٢٩٣.

(٢) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن كثير القرشي البصروي الدمشقي، الإمام الحافظ المفسّر المؤرّخ الكبير، صاحب «البداية والنهاية» و «التفسير»، وغير ذلك من المصنفات النافعة الماتعة. ولد في بلاد الشام سنة سبعمائة من الهجرة، وفي دمشق شرع بطلب العلم على عدد من العلماء الأعلام من أمثال ابن تيمية، والحافظ المزّي، والبرهان الفزاري الشهير بابن الفركاح، وابن قاضي شهبة. توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة، ودفن عند شيخه ابن تيمية في مقبرة الصوفية خارج باب النصر من دمشق. ينظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**. ج١: ص٦٧. والشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ). **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. بيروت: دار المعرفة، ج١: ص١٥٣.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١-٧٧٤هـ). **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق سامي بن محمد السلامة. ط٢. دار طيبة، (١٤٢٠هـ =١٩٩٩ م). ج٥: ص٩٧.

﴿وَٱلْبَحْرِ﴾، في الفُلك التي سخرناها لهم، أي السُفن[1]. ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يقول: من طيبات المطاعم والمشارب، وهي حلالها ولذيذاتها، من زروع وثمار، ولحوم وألبان، من سائر أنواع الطعوم والألوان، المشتهاة اللذيذة، والمناظر الحسنة، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع، على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها[2].

وقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ وظاهر الآية أنه فضلهم على كثير ممن خلقهم لا على الكل، أي على البهائم والدواب والوحش والطير بالغلبة والاستيلاء، أو بالشرف والكرامة والثواب والجزاء والحفظ والعقل والتمييز وإصابة الفراسة[3].

۞ ثانياً: البلاغة:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ...﴾ اعتراض جاء بمناسبة العبرة والمنة على المشركين، والحمل: الوضع على المركب من الرواحل، وذلك بأن سخر لهم الرواحل وألهمهم استعمالها، وإطلاق الحمل على البحر استعارة من الحمل على الراحلة وشاعت حتى صارت كالحقيقة، ومعنى حمل الله الناس في البحر: إلهامه إياهم استعمال السفن، وأما

---

(١) ينظر: الطبري. **جامع البيان**. ج١٧: ص٥٠١. والنيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ). **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**. تحقيق زكريا عميرات. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٦هـ). ج٤: ص٣٦٨. والشوكاني، محمد ابن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ). **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. ط١. دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، (١٤١٤ هـ). ج٣: ص٢٩٠.

(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج١٧: ص٥٠١. وابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج٥: ص٩٧.

(٣) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٠: ص٢٩٥. والبيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت٦٨٥هـ). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٤١٨هـ). ج٣: ص٢٦٢. والبغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت٥١٦هـ). **معالم التنزيل**. تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون. ط٤. دار طيبة للنشر والتوزيع، (١٤١٧هـ=١٩٩٧م). ج٥: ص١٠٨.

التفضيل على كثير من المخلوقات، فالمراد به التفضيل المُشَاهَدُ لأنه موضع الامتنان، وجماعه تمكين الإنسان من التسلط على جميع المخلوقات الأرضية برأيه وحيلته، والإتيان بالمفعول المطلق في قوله: «تفضيلاً» لإفادة ما في التنكير من التعظيم، أي تفضيلاً كبيراً[1].

وقد جمعت قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ...﴾ خمس مِنن كما قال الامام ابن عاشور[2]: «التكريم، وتسخير المراكب في البر، وتسخير المراكب في البحر، والرزق من الطيبات، والتفضيل على كثير من المخلوقات»[3].

«فأما منة التكريم فهي مزية خص بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية، والتكريم: جعله كريماً، أي نفيساً غير مبذول ولا ذليل في صورته ولا في حركة مشيه وفي بشرته، فإن جميع الحيوان لا يعرف النظافة ولا اللباس ولا ترفيه المضجع والمأكل ولا حسن كيفية تناول الطعام والشراب ولا شعوره بما في ذاته وعقله من المحاسن فيستزيد منها والقبائح فيسترها ويدفعها بل الخلو عن المعارف والصنائع وعن قبول التطور في أساليب حياته وحضارته»[4].

---

(١) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ). محمد طاهر. **تفسير التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية، (١٩٨٤ هـ). ج١٥: ص١٦٥.

(٢) هو الإمام محمد الطاهر بن عاشور ولد سنة (١٣١٧هـ=١٨٩٩م)، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢م) شيخاً للإسلام مالكياً. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، وغيرها، توفي سنة (١٣٩٣هـ=١٩٧٣م). ينظر: الزركلي. **الأعلام**. ج٦: ص١٧٤. والغالي، بلقاسم. **شيخ الجامع الاعظم محمد الطاهر ابن عاشور؛ حياته وآثاره**. ط١. بيروت: دار ابن حزم، (١٤١٧هـ=١٩٩٦م). ص٣٥ وما بعدها.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج١٥: ص١٦٤.

(٤) ابن عاشور. **التنوير والتحرير**، ج١٥: ص١٦٥.

۞ **ثالثاً: علاقة الآية بما قبلها وبما بعدها:**

لما بيّن سبحانه وتعالى في هذه الآيات: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٧- ٦٩] «ما يسر لهم من البر، وسهل من شدائد البحر في معرض التهديد، أتبعه أنه فعل ذلك تكريماً لهم على سائر مخلوقاته، مشيراً إلى أنه ركب جوهر الإنسان من نفس هي أشرف النفوس، وخصه على سائر الحيوان بالقوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء كما هي، ويتجلى بها نور معرفة الله، وبدنه كذلك باختصاصه باعتدال القامة وامتدادها والتناول باليد وغير ذلك، فقال تعالى عاطفاً على ما يرشد إليه السياق: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، أي كرمناكم بعظمتنا تكريماً عظيماً من أزجاء الفلك وإنجائكم في وقت الشدائد، وحذف متعلق التكريم دالاً على عمومه لجميع الخلق، وفضلناهم في أنفسهم بإحسان الشكل، وفي صفاتهم بالعلم المنتج لسعادة الدارين»[1].

ولما قرر سبحانه على التفضيل في الحياة الحسية والمعنوية، والمفاضلة بين الأشياء في الشيئين فثبتت بذلك قدرته على البعث، وختم ذلك بتفضيل البشر، وكان يوم الدين أعظم يوم يظهر فيه التفضيل اليوم، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] أي ندعوا بتلك العظمة كل أناس منكم بمتبوعهم الذي كانوا يتبعونه[2].

---

(١) البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر (ت٨٨٥هـ). **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ=١٩٩٥م). ج٤: ص٤٠٨. (بتصرف)

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**، ج٤: ص٤٠٨-٤٠٩.

۞ **رابعاً: آراء العلماء فيما تحتوي الآية من المسائل:**

اتفق العلماء في هذه الآية على خمس مسائل، واختلفوا في خمس مسائل أخرى، **فإنهم اتفقوا على:**

(أ): إنها تبين شرف الإنسان وتكريمه وتفضيله، وبيان منزلته عند الله تعالى[(١)].

(ب): هي من الآيات المُحْكَمات[(٢)] في كتاب الله تعالى، و لم يجرِ فيها النسخ[(٣)].

(ج): لا يوجد خلاف بين القرّاء في قراءة هذه الآية من حيث الرسم وفرش الحروف[(٤)].

---

(١) ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ). **تفسير الماوردي؛ النكت والعيون**. تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت: دار الكتب العلمية، ج٣: ص٢٥٧. وابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ). **زاد المسير في علم التفسير**. تحقيق عبد الرزاق المهدي. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي، (١٤٢٢هـ). ج٣: ص٣٩. والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٠: ص٢٩٣.

(٢) المحكم عرّفه علماء الشريعة بتعريفات كثيرة: فقال بعضهم: المحكم هو الحكم الشرعي الذى لم يتطرق إليه النسخ، وقال بعضهم: المحكم هو ما ورد من نصوص الكتاب أو السنة دالاً على معناه بوضوح لا خفاء فيه، وقال كثير من أهل السنة: المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل، ونُسبَ إلى ابن عباس في تعريف المحكم: أنه الذى لا يحتمل إلا وجها واحدا من التأويل، وقيل: المُحْكَم ما استقل بنفسه و لم يحتج إلى بيان، ويحكى هذا القول عن الإمام أحمد، وقيل: المحكم ما كانت دلالته راجحة، وهو النص والظاهر، وينسب هذا القول للفخر الرازي، واختاره كثير من المحققين. ينظر: مجموعة من المؤلفين. **الموسوعة القرآنية المتخصصة**. مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م). ص٥٧٩.

(٣) ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ). **ناسخ القرآن ومنسوخه**. تحقيق أبو عبد الله العاملي. ط١. بيروت: شركة أبناء شريف الأنصاري، (١٤٢٢هـ=٢٠٠١م). ص١٦٨. والكرمي، مرعي بن يوسف بن أبي بكر (١٠٣٣هـ). **قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن**. تحقيق: سامي عطا حسن. الكويت: دار القرآن الكريم، (١٤٠٠هـ). ص١٣٤.

(٤) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف (ت٨٣٣هـ). **شرح طيبة النشر في القراءات**. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م). ص٢٦٢-٢٦٦.

(د): أنها ليست من الآيات التي نزلت لورود سبب، أي فلا سبب لنزولها[1].

(هـ): هذه الآية مكية، نزلت قبل الهجرة النبوية الشريفة[2].

أما المسائل التي اختلفوا فيها فهي خمس مسائل أيضاً كالآتي:

۞ الأولى: هل التكريم للمؤمنين فقط أم عام لجميع البشر؟

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ أي: كرّمناهم قاطبةً تكريماً شاملاً لبَرّهم وفاجِرهم، أي كرّمناهم جميعاً بالصورة والقامة المعتدلة، والتمييز بالعقل، والتسلط على ما في الأرض والتمتُّع به، والتمكُّنِ من الصناعات ومحاسن جمة، فالآية تقتضي اشتراك الكل في الكرامة، ولكن لا كرامة للكافر، فإنه أضل من الأنعام وأذل من الهوام، وكأن الله تعالى قال كل من خُلقَ فقد اعترف بربه، فمن استمر عليه وزاد زيد في كرامته، ومن رجع عنه أزيل عنه أثر الكرامة[3].

---

(١) ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ). **أسباب نزول القرآن**. تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان. ط٢. الدمام: دار الاصلاح، (١٤١٢هـ=١٩٩٢م). ج١: ص٢٨٨-٢٨٩. والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت٩١١هـ). **لباب النقول في أسباب النزول**. بيروت: دار الكتب العلمية، ص١٢٢. والمزيني، خالد بن سليمان. **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية**. ط١. المملكة العربية السعودية - الدمام: دار ابن الجوزي، (١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م). ج٢: ص٦٥٩.

(٢) ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. **الإتقان في علوم القرآن**. تحقيق سعيد المندوب. ط١. بيروت: دار الفكر، (١٤١٦هـ=١٩٩٦م). ج١: ص٢٠. والبقاعي، **نظم الدرر**. ج٤: ص٣٢٧. والقطان، مناع. **مباحث في علوم القرآن**. ط١١. القاهرة: مكتبة وهبة، (٢٠٠٠م). ص٥٠.

(٣) ينظر: الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ). **مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير**. ط٣. بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٤٢٠هـ). ج٢٨: ص١١٤-١١٥. وأبو السعود،=

ومنهم من قال: ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ هنا المؤمنون، لأنه قال في صفة الكفار: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، والتكريم التكثير من الإكرام، فإذا حرم الكافر الإكرام فمتى يكون له التكريم؟ و﴿كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ هذا اللفظ للعموم، والمراد منه الخصوص، وهم المؤمنون، وبذلك يفضل قوماً على الباقين، ففَضَّل أولياءَه على كثير ممن لم يبلغوا استحقاقَ الولاية، فمن التكريم أنه زَيَّنَ ظاهرَهم بتوفيق المجاهدة، وحَسَّنَ باطنَهم بتحقيق المشاهدة، ومن التكريم أنه قال لهم: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ ولم يقل ذلك للملائكة ولا للجن[(١)].

۞ الثانية: بماذا أكرمهم الله تعالى؟

قال بعضهم: الصحيح الذي يعول عليه أن التكريم والتفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله، ويملك به الحيوان كله[(٢)].

=محمد بن محمد العمادي (٩٨٢هـ). **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.ج٥: ص١٨٦. وابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ). **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**. تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٩ هـ). ج٣: ص٢١٦. والشوكاني، **فتح القدير**. ج٣: ص٢٩٠. والالوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. تحقيق علي عبد الباري عطية. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ). ج٨: ص١١٢.

(١) ينظر: القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت٤٦٥هـ). **لطائف الإشارات**. تحقيق إبراهيم البسيوني. ط٣. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،ج٢: ص٣٥٩-٣٦٠.

(٢) ينظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٢هـ). ج٣: ص٤٧٣. والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٠: ص٢٩٤.

وذكر آخرون بعض المزايا الجسدية على أن هذا التكريم للجسد، وحسن القامة، والأيدي والأرجل، فقد خلق بني آدم على أكمل الهيئات وأحسنها، فإن الإنسان يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، ومما يدل لهذا قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وقوله: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، فهذه الكرامة يدخل تحتها خلقهم على هذه الهيئة الحسنة وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس على وجه لا يوجد لسائر أنواع الحيوان مثله[1].

وذكر أكثر أهل التفسير أن هذا التكريم فيه مزايا كثيرة جسدية وروحية وعقلية وغير ذلك، حيث يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم، وتكريمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً، يفقه بذلك كله وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها ومضارها، بأن ركب فيهم العقول التي بها يعرفون الكرامات من الهوان، ويعرفون بها المحاسن من المساوي، والحكمة من السفه، والخير من الشر، في الأمور الدنيوية والدينية، وكرمهم بأن جعل لهم لساناً يتكلمون به الحكمة وكل خير، فكرمه بالعقل والنطق والتمييز والتسلط على ما في الأرض والتمكن من الصناعات، وانسياق الأسباب والمسببات العلوية والسفلية إلى ما يعود عليهم بالمنافع، إلى غير ذلك مما يقف الحصر دون إحصائه، وبهذا يكون

---

(١) ابن عباس، عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) (ت٦٨هـ). **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**. بيروت: دار الكتب العلمية، ص٢٣٩. (يُنسب لابن عباس). ومقاتل، أبو الحسن مقاتل ابن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي (ت١٥٠هـ). **تفسير مقاتل بن سليمان**. تحقيق أحمد فريد. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م). ج٢: ص٢٦٦. والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**.ج١٠: ص٢٩٣. والشوكاني، **فتح القدير**. ج٣: ص٢٩٠. والشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. تحقيق مكتب البحوث والدراسات. بيروت: دار الفكر، (١٤١٥هـ=١٩٩٥م). ج٣: ص١٧٥.

الإنسان جوهر مركب من النفس والبدن، فالنفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي، وبدنه أشرف الأجسام الموجودة في العالم السفلي[1].

۞ الثالثة: ما الفرق بين التكريم والتفضيل؟

قال بعض العلماء لا فرق بين التكريم والتفضيل، والكريم بمعنى المفضّل، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ أي فضلناهم، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، أي أفضلكم[2].

وقال آخرون: ان التكريم لا يدل على التفضيل، لأن تكريم زيد لا ينافي تكريم غيره بأزيد من ذلك، ولذلك ختم التكريم بقوله: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ﴾، فلا بد من فرق بين التكريم والتفضيل لئلا يلزم التكرار، والأقرب في ذلك أن يقال: إنه تعالى فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمور خَلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المديدة، ثم إنه عز وجل عرَّضه بواسطة العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة فالأول هو

---

(١) ينظر: أبو منصور الماتريدي. محمد بن محمد بن محمود، (ت ٣٣٣هـ). «**تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة**». تحقيق مجدي باسلوم. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م). ج٧: ص٧٦. والماوردي، **النكت والعيون**. ج٣: ص٢٥٧. والزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. تحقيق عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج٢: ص٦٨٠. والفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢١:ص٣٧٢. والبيضاوي، **أنوار التنزيل**. ج٣: ص٢٦٢. والنسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ). **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. تحقيق يوسف علي بديوي. ط١. بيروت: دار الكلم الطيب، (١٤١٩هـ =١٩٩٨م). ج٢: ص٢٦٩. وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٥: ص٩٧. والنيسابوري، **غرائب القرآن**. ج٤: ص٣٦٨.

(٢) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت٣٩٥هـ). **الفروق اللغوية**. تحقيق محمد إبراهيم سليم. القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ص١٧٥. وابن الجوزي، **زاد المسير**. ج٣: ص٣٩.

التكريم، والثاني هو التفضيل، فكأنه قيل فضلناهم بالتعريض لاكتساب ما فيه النجاة والزلفى بواسطة ما كرمناهم به من مبادي ذلك فعليهم أن يشكروا ويوحدوا الله تعالى ولا يشركوا به شيئاً، ويمكن القول بأن الفرق بين التفضيل والتكريم بالعموم والخصوص، فالتكريم منظور فيه إلى تكريمه في ذاته، والتفضيل منظور فيه إلى تشريفه فوق غيره(١).

۞ الرابعة: هل الإنسان أفضل أم الملائكة؟

فقد استدل البعض بهذه الآية وبحديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ): «**إِنَّ الْمَلائِكَةَ قَالَتْ: يَا رَبَّنَا، أَعْطَيْتَ بَنِي آدَمَ فَهُمْ يَأْكُلُونَ، وَيَشْرَبُونَ وَيَرْكَبُونَ، وَيُلْبسُونَ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ، وَلا نَأْكُلُ وَلا نَشْرَبُ، وَلا نَلْهُو، فَكَمَا جَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا فَاجْعَلْ لَنَا الآخِرَةَ، فَقَالَ: لا أَجْعَلُ ذُرِّيَّةَ مَنْ خَلَقْتُهُ بِيَدِي كَمَنْ قُلْتُ لَهُ كُنْ فَكَانَ**»(٢). على

---

(١) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢١: ص٣٧٥. والنيسابوري، **غرائب القرآن**. ج٤: ص٣٦٨. وابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ). **اللباب في علوم الكتاب**. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٩هـ=١٩٩٨م). ج١٢: ص٣٤١. والآلوسي، **روح المعاني**. ج٨: ص١١٢. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج١٥: ص١٦٦.

(٢) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. **المعجم الأوسط**. تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. القاهرة: دار الحرمين، (١٤١٥هـ). ح (٦١٧٣). ج٦: ص١٩٦. وهذا الحديث ضعيف لا يصح. قال الهيثمي: رواه الطبراني في "الكبير" و"الأوسط" وفيه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصى وهو كذاب متروك وفى سند "الأوسط" طلحة بن زيد وهو كذّاب أيضاً. ينظر: الهيثمي، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ). **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٠٨هـ =١٩٨٨م). ج١: ص١٦١. وعدهما الدارقطني من المتروكين. ينظر: الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي (ت ٣٨٥هـ). **الضعفاء والمتروكون**. تحقيق عبد الرحيم محمد القشقري. المدينة المنورة: مجلة الجامعة الإسلامية، (١٤٠٣هـ). ج١: ص٢٥١، ج٢: ص١٥٩. وقال ابن الجوزي هذا حديث لا يَصِح. ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ). **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**. تحقيق إرشاد الحق الأثري. ط٢. باكستان - فيصل آباد: إدارة العلوم الأثرية، (١٤٠١هـ=١٩٨١م). ح (٣٢). ج١: ص٣٦.

أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة، وعلى أن ظاهر الآية أنه فضلهم على كثير من خلقه لا على الكل، ويجوز أن يذكر الأكثر ويراد به الكل، يعني على الملائكة ايضاً، لأنهم الخلق الكثير ممن خلق الله تعالى، بمعنى أنّا فضلناهم على كلّ من خلقنا، والعرب تضع الأكثر والكثير في موضع الجمع، وذلك التفضيل في الخِلقة، ثم فاضل بين بنى آدم في شيء آخر هو الخُلق الحسن، فجمعهم في الخِلقة التي يفضلون بها سائر المخلوقات ومايز بينهم في الخُلق، ففضل الإنسان الكامل على الملك بأنه خُلق في أحسن تقويم، وهو حسن استعداده في قبول فيض نور الله بلا واسطة وقد تفرد به الإنسان عن سائر المخلوقات، فيكون عوام المؤمنين الأتقياء أفضل من عوام الملائكة، وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة، ففي الملائكة عقل بلا شهوة، وفي البهائم شهوة بلا عقل، وفي الآدمي كلاهما فمن غَلَبَ عَقْلُهُ شَهوَتَهُ فهو أكرمُ من الملائكة، ومن غَلَبَتَ شَهْوَتُهُ عَقْلُهُ فهو شرٌّ من البهائم. ولأنه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه(١).

وقال آخرون: لا يمكن تفسير (كثير) بالكل، والمراد تفضيل الجنس، ولا يلزم تفضيل أفراده إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء، ولكن لا يلزم من كون أحد المجموعين أفضل من المجموع الآخر، أن يكون كل واحد من أفراد المجموع الأول أفضل من أفراد المجموع الثاني، وأيضاً الكلام في التفضيل الحاصل بسبب الكرامة المذكورة في أول الآية: (ولقد كرمنا) ولا يلزم من كون الملك أفضل من البشر في تلك الكرامات وهو حسن الصورة

---

(١) ينظر: القشيري، **لطائف الاشارات**. ج٢: ص٣٦١. والنسفي، **مدارك التنزيل**. ج٢: ص٢٦٩. والحقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي. **تفسير روح البيان**. دار إحياء التراث العربي. ج٥: ص١٨٤. وابن الجوزي، **زاد المسير**، ج٣: ص٤٠. والسمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ). **تفسير القرآن**. تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط١. الرياض- السعودية: دار الوطن، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م). ج٣: ص٢٦٣. والغزنوي، جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (ت٥٩٣هـ). **أصول الدين**. تحقيق عمر وفيق الداعوق. ط١. بيروت: دار البشائر الإسلامية، (١٤١٩هـ=١٩٩٨م). ص١٥٦-١٥٦.

والأشياء الموجبة للثواب[1].

وذهب الزمخشري[2] إلى أن الملائكة أفضل من الإنسان على الإطلاق، وردّ على صاحب الرأي الذي يقول بأفضلية الإنسان على الملائكة رداً شنيعاً، فشنع عليهم بأنه شجى في الحلق وقذى في العين، وقال في تفسير قوله تعالى: (وَفَضَّلْنَاهُمْ) «هو ما سوى الملائكة، وحسب بني آدم تفضيلاً أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومترلتهم عند الله مترلتهم»[3].

وقال النيسابوري[4]: «والإنصاف أن كون الكثير مفيداً لمعنى الجميع لا يوجب هذا التشنيع، لأنه لا يلزم من إفادة اللفظ معنى لفظ آخر بمعنى أنه يرجع الحاصل إلى ذلك

---

(١) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢١: ص٣٧٥. والنيسابوري، **غرائب القرآن**. ج١: ص٢٤٥. وج٤: ص٣٦٩. والبيضاوي، **أنوار التتريل**. ج٣: ص٢٦٢. وابي السعود، **ارشاد العقل السليم**. ج٥: ص١٨٦. والجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. **تفسير الجلالين**. ط١. القاهرة: دار الحديث، ص٣٧٣.

(٢) العلامة، كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، صاحب الكشاف، كان مولده سنة سبع وستين وأربع مائة بزمخشر (تقع في أوزبكستان حالياً)، رحل وسمع ببغداد من نصر ابن البطر، وغيره. وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله، وكان رأسا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، وله نظم جيد، مات ليلة عرفة، سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة. ينظر: ابن خلكان، **وفيات الاعيان**. ج٥: ص١٦٨. والذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج٢٠: ص١٥١- ١٥٦.

(٣) الزمخشري، **الكشاف**. ج٢: ص٦٨١. وينظر: النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت٣٣٨هـ). **إعراب القرآن**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢١ هـ). ج٢: ص٢٧٩.

(٤) هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين، منشأه وسكنه في نيسابور (شمالي شرق إيران)، مفسر، وله اشتغال بالحكمة والرياضيات. له كتب، منها: "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" يعرف بتفسير النيسابوري، ألفه سنة ٨٢٨هـ، وغيرها من المؤلفات، توفي سنة ٨٥٠هـ. ينظر: السيوطي، **بغية الوعاة**. ج١: ص٥٢٥. والباباني، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (ت١٣٩٩هـ). **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**. استانبول: وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، (١٩٥١م). ج١: ص٢٨٣. وفيه أن وفاته سنة (٧٢٨هـ).

بدلالة الالتزام أو بحكم العرف أن يوضع ذلك اللفظ موضعه وينطق به على أن التفسير لا يقوم مقام المفسر البتة، لأن هذا معجز دون ذلك فكيف يبقى الذوق بحاله، وأيضاً فالحاصل هو قولنا على جميع من خلقنا لا على جميع ممن خلقنا، وإن الحق في المسألة هو إجراء الكلام على ظاهره، وإن الآية تدل على أنه حصل في مخلوقات الله شيء لا يكون للإنسان تفضيل عليه»[1].

وقال: «فلزم القول بأن كل الإنسان ليس أفضل من كل الملائكة بل بعض الملك أفضل من أكثر الإنسان، وإن كان يوجد في خواص الإنسان من هو أفضل من عوام الملائكة بل من خواصهم، وإلى هذا ذهب ابن عباس واختاره الزجاج، وأما أن كل الملائكة أفضل من كل البشر على ما زعم جار الله (الزمخشري) وأمثاله فإنه تحكم محض»[2].

وقال ابن عاشور[3]: «وأما نسبة التفاضل بين نوع الإنسان وأنواع من الموجودات الخفية عنّا كالملائكة والجن، فليست بمقصودة هنا، وإنما تعرف بأدلة توقيفية من قبل الشريعة، فلا تفرض هنا، ومسألة التفضيل بين البشر والملائكة المختلف في تفاصيلها بيننا وبين المعتزلة[4]، وقد فرضها (الزمخشري) هنا على عادته من التحكم على أهل السنة

---

(١) النيسابوري، **غرائب القرآن**. ج٤: ص٣٦٩.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٤: ص٣٦٩.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية، وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية. جاءت المعتزلة في بدايتها بفكرتين مبتدعتين الأولى: القول بأن الإنسان مختار بشكل مطلق في كل ما يفعل أي ان أفعاله غير مخلوقة، الثانية: القول بأن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً ولكنه فاسق فهو بمترلة بين المترلتين، ثم حرر المعتزلة مذهبهم في خمسة أصول: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمترلة بين المترلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار. ينظر: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت٥٤٨هـ). **الملل**=

والتعسف لإرغام القرآن على تأييد مذهبه، ولا شك أن إقحام لفظ (كثير) في قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ مراد منه التقييد والاحتراز والتعليم الذي لا غرور فيه، فيعلم منه أن ثم مخلوقات غير مفضل عليها بنو آدم تكون مساوية أو أفضل إجمالاً أو تفصيلا، وتبيينه يُتلقى من الشريعة فيما بينته من ذلك، وما سكتت فلا نبحث عنه»[1].

۞ خامساً: لماذا ذُكر بنو آدم وليس الإنسان؟

ذكر العلماء وجهين في ذلك: **الأول:** لما كرم الله تعالى آدم (عليه السلام) بأن خلقه بيديه وخلق غيره بطريق كن فيكون، ومن كان مخلوقاً بيد الله كانت العناية به أتم وأكمل، وكان أكرم وأكمل، فصار بنوه مكرمين، ولهذا يُقال بأن الأب يصير مشتوماً بشتم ابنه[2].

والثاني: أن المراد ببني آدم يعني جميع النوع، فالأوصاف المثبتة هنا إنما هي أحكام للنوع الإنساني من حيث هو، كما هو شأن الأحكام التي تسند إلى الجماعات[3].

ومما سبق يُستنتج الامور التالية:

١. إن الإنسان مخلوق مكرّم له الشرف والفضل، ولم يحظ مخلوق آخر بما حظي به الإنسان في الخطاب الإلهي، من تفضيل في النشأة والخَلق والعقل، وبذلك تأهّل ليكون موضع التكاليف الربانية، والعناية الإلهية بإرسال الرسل، وإنزال الكتب.

٢. هذا التكريم يشمل جميع البشر قاطبة برهم وفاجرهم، وذلك في الحياة الدنيا، أما في

=**والنحل**. تحقيق محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة، (١٤٠٤هـ). ص٤٢-٤٤. وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ). **البداية والنهاية**. دار الفكر، (١٤٠٧هـ=١٩٨٦م). ج١٠: ص٧٩ وما بعدها.

(١) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. ج١٥: ص١٦٦. (بتصرف)

(٢) ينظر: أبو منصور الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**. ج٧: ص٨٦. والفخر الرازي. **التفسير الكبير**. ج٢١: ص٣٧٤.

(٣) ينظر: ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. ج١٥: ص١٦٤.

الآخرة فالتكريم يكون للمؤمن دون الكافر، كما قال تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢٠- ٢١].

٣. ميزان التفاضل بين الإنسان هو تقوى الله تبارك وتعالى، فمن الممكن أن يصل الإنسان بإيمانه وطاعته لله تعالى إلى مترلة تفوق مترلة الملائكة، وممكن أن يدنو به الكفر والفسوق والعصيان إلى مترلة الانعام بل أدنى منها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦ -٧].

٤. القرآن الكريم عبّر عن الإنسان ببني آدم، وفي ذلك دلالة عظيمة وهي أن الله تعالى نسبهم إلى أبيهم لتعظيم شأنهم، حيث أن آدم عليه السلام شرّفه الله تعالى بأن خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، فالانتساب هنا فضل وشرف، أي أنكم لولا كنتم من ذرية آدم لما كان لكم هذا الفضل.

٥. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]، يشمل جميع أنواع التكريم الإلهي للإنسان، المعنوي أو الروحي، والجسدي، والعقلي، لذا جعلناها أساساً لهذه الدراسة، وعلى ضوئها تم تقسيمها إلى ثلاثة أبواب، الأول: التكريم الروحي للإنسان، والثاني: التكريم الجسدي، والثالث: التكريم العقلي.



المبحث الثاني

الإنسان في القرآن

هذا المبحث يبين مفهوم الإنسان وتعريفه في اللغة وفي الاصطلاح، وتوضيح الخلاف في المعنى الاصطلاحي للإنسان، وكذلك ذكر النقد الموجه فيما يتعلق بتعريف الإنسان عند المناطقة.

المطلب الأول: تعريف الإنسان:

۞ أولاً: الإنسان في اللغة:

(الإنس): البشر، والواحد (إِنْسِيٌّ) بالكسر وسكون النون، و(أَنَسِيٌّ) بفتحتين، والجمع (أَناسِيُّ). قال الله تعالى: ﴿...وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٩]، ويقال للمرأة أيضا (إنسان) ولا يقال إنسانة، قال ابن عباس (رضي الله عنه): إنما سُمِّيَ إنساناً لأنه عُهِدَ إليه فَنَسِيَ، و(الأُنَاسُ) بالضم لغةٌ في (الناس) وهو الأصل، و(اسْتأنسَ) بفلانٍ و(تَأَنَّسَ) به بمعنًى، و(الأَنِيسُ) المُؤانِسُ وكلُّ ما يؤنَسُ به، وآنس الصوت أيضاً سمعه، و(الإيناسُ) خِلافُ الإيحاشِ، وكذا (التأنيسُ) وكانت العرب تسمِّي يومَ الخميسِ (مُؤنِساً)[1].

«و(الإنسان) من الناس اسم جنسٍ يقع على الذكر والأنثى والواحد والجمع واختلف في اشتقاقه مع اتفاقهم على زيادة النون الأخيرة فقال البصريون من الأنْسِ فالهمزة أصل ووزنه (فعلان) وقال الكوفيون مشتق من النسيان فالهمزة زائدة ووزنه أفعان على النقص والأصل إنسيان على أفعلان ولهذا يرد إلى أصله في التصغير فيقال (أُنَيْسِيانٌ)[2].

۞ ثانياً: مفهوم الإنسان في الاصطلاح:

فقد عرّفه العلماء قديماً بتعريف اشتهر في كتبهم ألا وهو «الإنسان: هو الحيوان الناطق»[3].

---

(١) الرازي، **مختار الصحاح**. ص٢٠. مادة (أنس). (بتصرف)

(٢) الفيومي، **المصباح المنير**. ج١: ص٢٦. مادة (أنس).

(٣) الجرجاني، **كتاب التعريفات**. ص٤٠.

«ويُعنى بالناطق هنا: أي: الفاهم، الذي يعقل ويفهم»[1].

والتعريف السابق هو تعريف المناطقة للإنسان، ولعل التعريف اللائق للإنسان هو «الإنسان: حيوان مُبين»، وهذا التعريف أدق وأكمل من تعريف علماء المنطق والفلسفة بقولهم: «الإنسان حيوان ناطق» لأن هذا التعريف يعطي الإنسان صفة النطق، والنطق وحده قد لا يكون بياناً لما في النفس، وإن كان مرادهم من هذا التعريف أنه حيوان يستطيع التعبير عن أفكاره، فهم يقصدون أنه مفكر معبر، لكن كلمة ناطق قاصرة بوضعها عن هذه الدلالة، بخلاف كلمة (مبين) المستفادة من الوصف القرآني، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣- ٤]، فهي بوضعها دالة على الأمرين معاً، فصفة البيان في الإنسان من جلائل الهبات التي اختص الله بها هذا المخلوق الذي كرمه[2].

فهذه النعمة التي خصّ الله تعالى بها الإنسان ميّزت الإنسان من جميع الخلائق، لأنه علّمه جميع ما يحتاج إليه من أمر دينه ودنياه؛ من الحلال والحرام، والمعاش والمنطق، وغير ذلك، مما به الحاجة إليه، لأنه عزّ وجل لم يَخُصّ بخبره ذلك أنه علّمه من البيان بعضاً دون بعضٍ بل عمّ فقال: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[3].

فنعم الله تعالى على الإنسان كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، وفي هذه الآية إشارة إلى أن نعمة البيان من أجلّ نعمه تعالى على هذا العبد.

ومن خلال التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي للإنسان يتبين أن الإنسان كائن يتفرد بمجموعة من الخصائص من بين الكائنات، فهو الوحيد الذي يجمع بين الأنس

---

(١) الزمزمي، يحيى بن محمد حسن. **حقوق الإنسان؛ مفهومه وتطبيقاته في القرآن الكريم**. بحث مقدم إلى مؤتمر حقوق الإنسان في السلم والحرب، جمعية الهلال الأحمر السعودي، ١٨-١٩ شعبان١٤٢٤هـ، الرياض: نسخة إلكترونية (CD) دون ترقيم الصفحات.

(٢) ينظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة. **الأخلاق الإسلامية وأسسها**. ط٥. دمشق: دار القلم، (١٤٢٠هـ=١٩٩٩م). ج١: ص٣٥٢.

(٣) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٧: ص٢٣٣.

والنطق والفهم والتفكير والعلم والإحساس والشعور، وبذلك أصبح محوراً في الكون وخليفة في الأرض ومكلفاً بعمارها، ومستعداً لتلقي وحي الله تبارك وتعالى، لكي يتحرك وفق النظام الذي يريده الله تعالى منه، وعلى منهج الله تعالى يبني ويعمّر ويعيش، ويفهم معنى الحياة والهدف منها، وما يستطيع أن يقوم به ويناله، وما لا يستطيع أن يصل إليه وخارج إرادته، لأن إرادة الإنسان محدودة، وبهذا احتاج أن يبين له المولى عز وجل كل ذلك.

المطلب الثاني: منزلة الإنسان

لقد نظر الإسلام إلى الإنسان نظرةً تميزهُ عن جميع المخلوقات وهي نظرة التكريم، فهي نظرة تبقى ثابتة وأصيلة كأصالة الإسلام، لا تتغير في أي زمان ومكان، فللإسلام نظرة مستقلة في النفس الإنسانية، تختلف عن غيرها اختلافاً أساسياً، وإن كانت تلتقي أحيانا في بعض الفروع والتفصيلات بغيرها من النظريات، ونظرة الإسلام في تكاملها وتناسقها وشمولها لكل جوانب الإنسان وكل جوانب الحياة، غير مسبوقة من الوجهة التاريخية، وما تزال حتى اليوم بعد كل ما ظهر من النظريات، تنفرد بالشمول والموضوعية والعمق والإتزان[١].

«فالإنسان في نظر الإسلام كائن لا هو بالملاك ولا بالحيوان، وإن كان قادراً في بعض حالات الهبوط أن يصبح أسوأ من الحيوان، وفي بعض حالات الارتفاع أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر، ولكنه في حالته الطبيعية شيء بين هذا وذاك، مشتمل على استعداد للخير كما هو مشتمل على استعداد للشر»[٢].

والإنسان في عقيدة القرآن هو الخليفة المسؤول بين جميع ما خلق الله، يدين بعقله فيما رأى وسمع، ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب، فلا تدركه الأبصار والأسماع، وهذه صفة مميزة فيه عندما يؤمن بالقرآن الذي يوجهه، إلى كيفية إقرار ما لم يره، وكذلك

---

(١) ينظر: قطب، محمد. **الإنسان بين المادية والإسلام**. ط١٢. القاهرة: دار الشروق، (١٩٩٧م)، ص٦٩.

(٢) قطب، محمد. **الإنسان بين المادية والإسلام**. ص٦٩.

يعلمه ببدء خلقه وما ينتهي إليه، والإنسانية من أسلافها إلى أعقابها أسرة واحدة لها نسب واحد وإله واحد، أفضلها من عمل حسناً واتقى سيئاً، وصدق النية فيما أحسنه واتقاه[1].

وهذا ما بينه رسول الله (ﷺ) مؤكدا ومبينا لهذه الحقيقة أن البشر كلهم من أصل واحد وهو آدم (عليه السلام)، وآدم مخلوق من التراب، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)أن النبي (ﷺ) قال: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ[2] الْجَاهِلِيَّةِ وَالْفَخْرَ بِالآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»**[3].

«ولقد سما الإسلام بالإنسان فاعترف به كله، روحه وجسده، وعقله وقلبه، وإرادته ووجدانه، وغرائزه الهابطة وأشواقه الصاعدة، لم يضع في عنقه غلاً، ولا في رجله قيداً، و لم يحرم عليه طيباً، و لم يغلق في وجهه باب خير، و لم يدعه للمتاجرين بالدين يتلاعبون به، بل خاطبه خطاباً مباشراً»[4].

فقد نظر الإسلام إلى الإنسان نظرة لا مثيل لها، من حيث هو جوهر أصيل له رغبات ذاتية فطرية وغريزية، لابد أن تشبع وأن تحل مشاكلها في ظل مذهبية ربانية تنظر إلى الإنسان

---

(١) ينظر: العقاد، عباس محمود. **الإنسان في القرآن الكريم**. القاهرة: دار السلام، ص١٠.

(٢) عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ: يعني الكِبْر، أي نخوتها وكبرها وفخرها. ينظر: ابن الاثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**. ج٣: ص٣٦٩. والمباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**. بيروت: دار الكتب العلمية، ج٩: ص١١٠.

(٣) ابن حنبل، أحمد. **المسند**. القاهرة: مؤسسة قرطبة، ح (٨٧٢١). ج٢: ص٣٦١. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ). **سنن أبي داود**. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. الرياض: مكتبة المعارف، كتاب الأدب. باب التفاخر بالاحساب. ح (٥١١٦). ص٩٢٦. والترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ). **سنن الترمذي**. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. ط١. الرياض: مكتبة المعارف، كتاب المناقب. باب في فضل الشام واليمن. ح (٣٩٥٥). ص٨٨٥. (قال شعيب الأرناؤوط اسناده حسن)

(٤) القرضاوي، يوسف، **قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام**. ط١. القاهرة: مكتبة وهبة، (٢٠٠٤م). ص١١.

نظرة أصيلة لا عرضية، ولذلك نجد أن الشريعة الإسلامية تعالج مشاكل الغرائز الإنسانية المتنوعة من مبدأ الاعتراف بوجودها، فجانبها الروحي يحتاج إلى مخطط عبادي يملؤه ويشعره بلذة العبودية لخالقه، حتى لا يبقى تائهاً حائراً قلقاً خائفاً ويعاني من الفصام، وجانبها الجنسي يحتاج إلى مخطط اجتماعي أخلاقي يضبط العلاقات الجنسية في المجتمع ويحصرها في داخل الأسرة، حتى لا يؤدي به ضغط الغريزة الجنسية إلى الدرك الأسفل من السلوك الحيواني غير المنضبط، ولكي لا تفقد الإنسان إنسانيته، وجانبها في غريزة الشبع يحتاج إلى مخطط اقتصادي يحافظ على التوازن المعاشي الذي يمنع انتقال المجتمع إلى حياة الترف من جهة والجوع المهلك من جهة أخرى، وجانبها في غريزة الطموح الإنساني يحتاج إلى مخطط يحقق آدميته ويثبت له حرية مهذبة مضبوطة، حتى لا ينتهي الأمر إلى استعباد طائفة لطائفة أخرى وسحقها تحت مطرقة غريزة الاستعلاء والطمع[1].

فمكان الإنسان في القرآن الكريم هو أشرف مكان وأليقه، له في ميزان العقيدة وفي ميزان الفكر وفي ميزان الخليقة الذي توزن به طبائع الكائن بين عامة الكائنات، فهو الكائن المكلف، وهو كائن أصوب في التعريف من قول القائلين «الكائن الناطق» وأشرف في التقدير، هو كائن أصوب في التعريف من الملك الهابط ومن الحيوان الصاعد، وأشرف في التقدير من هذا وذاك ليس الكائن الناطق بشيء، إن لم يكن هذا النطق أهلاً لأمانة التكليف[2].

أما وظيفة الإنسان والحكمة من خلقه، فلا بد أن يعرف الإنسان الحكمة من خلقه ووظيفته في الحياة، فإن أفعال الله لا تخلو من الحكمة، فهل من سبيل لإدراك الحكمة الإلهية من خلق الإنسان؟ يمكن أن تستوحى هذه الحكمة من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فهذه الآية تفيد أن الحكمة من خلق الإنسان هي عبادة الله، بمعنى أن يتحقق في

---

(١) ينظر: عبد الحميد، محسن. **المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري**. ط١. قطر: سلسلة كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، (١٤٠٤هـ). ص٨٢-٨٣.

(٢) ينظر: العقاد، **الإنسان في القرآن الكريم**، ص٢١.

الكون مظهر من الخضوع لله والتسليم له صادر عن إرادة حرة، بعد أن تحقق الخضوع والتسليم في كافة المخلوقات بصفة قسرية، وربما يكون الموقف العقائدي الأسلم هو الإيمان بأن الإنسان خُلق لحكمة إلهية، وأن جماع هذه الحكمة العبودية لله، عبودية يتأسس عليها تفضل إلهي بالنعمة، وأما ما وراء ذلك من تفصيل فقد لا يكون وراءه طائل[1].

وهكذا أنصف الإسلام الإنسان وكشف عن جوهره الفريد ومركزه في الكون ورسالته في الحياة، وحيث انبثق من هذا التصور الإسلامي الفريد، نموذج مثالي للاجتماع البشري، وهذه المثالية الفريدة هي التسامي بالنوع الإنساني حتى يكون أهلاً للشرف والفضل، شرف التكليف بعبادة الله تبارك وتعالى وحده، وتفضيله على سائر المخلوقات، ويقوم هذا التسامي على أصلين ثابتين وهما وحدة أصل الإنسان، ووحدة الغاية التي خُلق لأجلها.



---

(١) ينظر: النجار، عبد المجيد. **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل**. (سلسلة المنهجية الإسلامية؛ ٥)، ط٣. هيرندن - فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (٢٠٠٥م). ص٥٤.

المبحث الثالث

القرآن الكريم وخصائصه

هذا المبحث يتحدث عن القرآن، بدءاً بتعريف القرآن في اللغة، ثم في الاصطلاح، ثم أهم خصائص القرآن، ولاسيما الخصائص التي ينفرد بها القرآن، وتميّزه عن الكتب السماوية الأخرى.

المطلب الأول: تعريف القرآن.

۞ أولاً: تعريف القرآن لغةً:

«قرأت الشيءَ قرآناً: جمعته وضممتُ بعضه إلى بعض، وقرأت الكتاب قراءة وقرآناً، ومنه سُمِّيَ القرآن. لأنه يجمع السُّوَرَ فيضمها»[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧]. «أي جمعه وقراءته، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]. أي قراءته»[2].

ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن، وعلى كل آية من آياته، فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول أنه يقرأ القرآن[3]. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

ولعل السبب في تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله، لكونه جامعاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم. كما أشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ولكونه ناسخاً لجميع الكتب السماوية، لأن صاحب الرسالة (ﷺ)، خاتم الأنبياء والمرسلين[4]،

---

(١) الجوهري، **الصحاح**. مادة: (قرأ)، ج١: ص٦٥.

(٢) **المصدر نفسه**، ج١: ص٦٥.

(٣) ينظر: القطان، **مباحث في علوم القرآن**. ص١٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه. ص٢٠.

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

۞ ثانياً: تعريف القرآن اصطلاحاً:

والقرآن الكريم يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقيّة ذات الأجناس والفصول والخواص بحيث يكون تعريفه حداً حقيقياً، والحد الحقيقي له هو استحضاره معهودا في الذهن أو مشاهداً بالحس كأن تشير إليه مكتوبا في المصحف أو مقروءاً باللسان فتقول هو ما بين هاتين الدفتين، أو تقول: هو من قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ١- ٢]، إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٦]، ويذكر العلماء تعريفاً له يقرب معناه ويميزه عن غيره، فيعرفونه بأنه:

هو «**الكلام المعجز المنزل على النبي** (ﷺ)، **المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته**»[1].

وهذا التعريف جمع بين الإعجاز والتنــزيل، وكتابته في المصحف، والنقل بالتواتر، والتعبد بتلاوته، وهي الخصائص العظمى التي امتاز بها القرآن الكريم[2].

فالكلام جنس في التعريف، يشمل كل كلام، وإضافته إلى «**الله**» يخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة، والمنزل؛ يخرج كلام الله الذي استأثر به سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧]. وتقييد المنزل بكونه على محمد (ﷺ) يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما، والمتعبد

---

(١) الزرقاني، محمد عبد العظيم. **مناهل العرفان في علوم القرآن**. ط١ بيروت: دار الكتاب العربي، (١٤١٥هــ=١٩٩٥م). ج١: ص٢١.

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**، ص٢١.

بتلاوته يخرج قراءات الآحاد، والأحاديث القدسية، إن قلنا إنها مترلة من عند الله بألفاظها لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك(١).

«والقرآن الكريم كتاب سماوي يتضمن إجمالاً كتب جميع الأنبياء المختلفة عصورهم، ورسائل جميع الأولياء المختلفة مشاربهم، وآثار جميع الأصفياء المختلفة مسالكهم، إذ نقطة استناده الوحي السماوي والكلام الأزلي باليقين، هدفه وغايته: السعادة الأبدية بالمشاهدة»(٢).

ويقال للقرآن: فرقان أيضاً، وأصله مصدرٌ كذلك، ثم سمى به النظم الكريم، تسمية للمفعول أو الفاعل بالمصدر، باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل، أو مفروق بعضه عن بعض في الترول، أو في السور والآيات، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

ثم إن هذين الاسمين هما من أشهر الأسماء للقرآن الكريم، ويلي هذين الاسمين في الشهرة، ثلاثة أسماء أخرى: الكتاب، والذكر، والتتريل(٣).

المطلب الثاني: خصائص القرآن:

إن الله سبحانه وتعالى أكرم أمة الإسلام بهذا القرآن، الذي هو خير كتاب أنزله الله تعالى، ومن فضله سبحانه حفظه من كل تحريف ومن كل زيادة ونقصان لأنه به ختم الكتب المترلة على أنبيائه عليم الصلاة والسلام، ومن أهم هذه الخصائص:

١. **القرآن رسالة الله إلى الإنسانية كافة:** وفي ذلك تواترت نصوص متواترة في الكتاب والسنة يقول الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. «فهو يعالج المشكلات الإنسانية في شتى مرافق الحياة: الروحية والعقلية

---

(١) ينظر: القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ص٢٠.

(٢) النورسي، بديع الزمان سعيد. **المعجزات القرآنية**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. ط١. بغداد: مطبعة الرشيد، (١٩٩٠م). ص١١.

(٣) ينظر: الزرقاني، **مناهل العرفان**، ص١٧. والقطان، **مباحث في علوم القرآن**، ص٢٠-٢١.

والبدنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية علاجاً حكيماً، لأنه تنزيل الحكيم الحميد، ويضع لكل مشكلة بلسمها الشافي في أسس عامة، تترسم الإنسانية خطاها، وتبنى عليها في كل عصر ما يلائمها، فاكتسب بذلك صلاحيته لكل زمان ومكان، فهو دين الخلود، والإنسانية المعذبة اليوم في ضميرها، المضطربة في أنظمتها، المتداعية في أخلاقها، لا عاصم لها من الهاوية التي تتردى فيها إلا القرآن»[1].

٢. **القرآن كتاب محفوظ:** والله تعالى بفضله ولطفه على هذه الأمة كتب على هذا الكتاب الحفظ، والنقل المتواتر دون تحريف أو تبديل، ولم تكن هذه الميزة لكتاب آخر من الكتب السماوية السابقة لأنها جاءت موقوتة بزمن خاص. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

٣. «**القرآن إلهي المصدر لفظاً ومعنى:** أوحاه الله إلى رسوله ونبيه محمد (ﷺ) عن طريق (الوحي الجلي) وهو نزول (الرسول الملكي) جبريل على (الرسول البشري) محمد، وليس عن طرق الوحي الأخرى، من الإلهام أو النفث في الروع، ومن الرؤيا الصادقة، أو غيرها»[2].

فمن أوصاف جبريل (عليه السلام)، الذي نزل به، قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣]. ومن أوصافه وأوصاف المنزل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير: ١٩- ٢٢].

٤. **القرآن الكريم كتاب ناسخ لجميع الكتب السماوية:** ومن مميزات هذا الكتاب العظيم أنه نسخ جميع الكتب السماوية التي سبقته، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

---

(١) **المصدر السابق**، ص١٨-١٩.

(٢) القرضاوي، يوسف، **كيف نتعامل مع القرآن الكريم**، الدوحة: جامعة قطر، مركز بحوث السنة والسيرة، (١٩٩٧م). ص١٧.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللّهِ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[1].

وهذا يدل على أن القرآن كتاب لكل زمان ومكان، ولكل جيل، وفيه رحمة لجميع الخلق، وفيه خلاصة جميع الكتب السابقة، من العقائد والسلوك، أما ما يتعلق بالأحكام الشرعية المتعلقة بأمور العبادات، والحلال والحرام، فلكل نبي تشريع خاص بقومه، سوى رسول الله (ﷺ) فانه رحمة للعالمين. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٥. وظيفة القرآن:

إن القرآن الكريم قد أنزله الله تعالى لأمرين عظيمين: «أحدهما: أن يكون معجزة دالة على صدق الرسول (ﷺ)، والأمر الثاني: أن يكون منبع هداية وإرشاد، ومصدر تشريع وأحكام، يجب اتباعه والرجوع إليه»[2].

۞ أولاً: أن يكون معجزة دالة على صدق الرسول (ﷺ):

في دعوى الرسالة والتبليغ عنه سبحانه، وبمقتضى هذا أمر رسوله أن يتحدى به القوم فتحداهم حتى ظهر عجزهم، وتمت عليهم الحجة وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

---

(١) مسلم، الامام الحافظ ابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦هـ-٢٦١هـ). **صحيح مسلم**. الرياض: بيت الافكار الدولية، (١٤١٩هـ=١٩٩٨م). كتاب الإيمان. باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد (ﷺ) إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته. ح (١٥٣). ص٨٥.

(٢) شلتوت، محمود. **الإسلام عقيدة وشريعة**. ط١٨. القاهرة: دار الشروق، (٢٠٠١م). ص٤٧٧.

ولهذا الاعجاز ثلاثة أوجه: أولها: يتضمن الإخبار عن الغيوب وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه، والثاني: أنه كان معلوماً من حال النبي أنه كان أمياً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ ثم أتى بمجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور ومهمات السير من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه والى يوم القيامة، ويُعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم، فعلم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي، والثالث: أنه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه[1].

«وقد كانت معجزات الرسل قبله خوارق حسية، لا عقلية يجول فيها العقل ويصول، ويعمل فيها الذهن بالتفكير والتدبر، وكانت منقرضة لا دائمة، وذلك لأن رسالتهم لم تكن عامة لأهل زمنهم، ولا خالدة»[2].

۞ ثانياً: أن يكون منبع هداية وإرشاد، ومصدر تشريع وأحكام، يجب إتباعه والرجوع إليه:

ولا يكفي في إثبات أنه واجب الاتباع مجرد ثبوت أنه معجز، بل لابد مع هذا من ملاحظة إن إعجازه دل على أنه من عند الله، وقد احتوى على الأمر الإلهي الصريح بوجوب اتباعه، والعمل بما تضمنه من الأحكام في غير موضع، فقال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

وقد انعقد إجماع المسلمين على أن القرآن الكريم هو أساس الدين والشريعة، حتى صار ذلك عندهم مما عُلم من الدين بالضرورة، لا فرق في ذلك عندهم بين عصر وعصر، وإقليم وإقليم، فهو حجة الله العامة على الناس أجمعين في كل زمان ومكان، في عقائده وأحكامه وأخلاقه، ومن زعم أنه حجة خاصة بقوم دون قوم، أو بعصر دون عصر، فهو خارج عن ربقة الإسلام[3].

---

(١) ينظر: الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم (ت٤٠٣هـ). **إعجاز القرآن**. تحقيق أحمد صقر. القاهرة: دار المعارف، ص٣٣ وما بعدها.

(٢) **المصدر السابق**، ص٤٧٧.

(٣) ينظر: شلتوت، **الإسلام عقيدة وشريعة**. ص٤٧٧-٤٧٩.

فالقرآن الكريم كتاب هداية وإصلاح، وللإسلام رؤية إصلاحية تنموية، وهذه الرؤية تحتاج إلى المجاهدة لاستخراجها، من خلال الدرر القيّمة المكنونة في رسالته المتمثلة بالقرآن الكريم، وفي تاريخنا الحضاري اكتشف المسلمون بعضها وعاشوا بها، وما زالت كنوزها وجواهرها تحتاج إلى جهود العلماء الأتقياء لينفضوا عنها ما تراكم حولها من التصورات الخاطئة، ويبرزوا ما فيها من الخير، لإصلاح أحوال المجتمعات والحضارات، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. وما هي كلمات الله إلا هذه القيم وهذه العلوم التي تُكتشف يوما بعد يوم، ومهما أبدعنا في ذكر خصائص القرآن فلا شيء، مقارنةً بقوله تعالى: ﴿...فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].



الباب الأول

التكريم الروحي للإنسان في القرآن الكريم

ويشتمل على ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول: التكريم بالخَلْقِ ومظاهره.**
- **الفصل الثاني: التكريم بالهداية ومظاهره.**
- **الفصل الثالث: التكريم الأخروي للإنسان.**



الفصل الأول
التكريم بالخَلْقِ ومظاهره

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: التكريم بالخَلْق والإيجاد.**

المطلب الأول: تعريف الخَلق

المطلب الثاني: آراء العلماء في كيفية الخَلق.

- **المبحث الثاني: التكريم بنفخ الروح وسجود الملائكة.**

المطلب الأول: خَلْق آدم واستخلافه

المطلب الثاني: نفخ الروح وسجود الملائكة

- **المبحث الثالث: التكريم بالحياة الدنيا**

المطلب الأول: نعمة الحياة

المطلب الثاني: ماهية الحياة الطيبة

- **المبحث الرابع: التكريم بالحفظ والعناية**

المطلب الأول: العناية الإلهية للإنسان

المطلب الثاني: آراء العلماء في كيفية حفظ الله لعباده

المبحث الأول

التكريم بالخلق والإيجاد

المطلب الأول: تعريف الخلق

الخَلْقُ: «هو الإيجاد من العدم كما جاء في لسان العرب، ومن صفات الله تعالى الخالق والخلّاق، ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله (عَجَّلَ) وهو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وأصل الْخَلْق التقدير، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها وبالاعتبار للإيجاد على وفق التقدير خَالِقٌ، وَالْخَلْقُ في كلام العرب: ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه؛ وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه»[(١)].

قال تعالى: ﴿...أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فإن أعظم نعمة على الإنسان نعمة الخلق والإيجاد، فالعدم ليس شيئاً ولا يمكن أن يكون العدم متصفاً بشيء.

قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٧].

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: (أَوَلا يَذْكُرُ الإنسان) فقرأه نافع وابن عامر وعاصم بتخفيف الذال والكاف المضمومة، والباقون بالتشديد مع الفتح في الكاف (أولا يَذَّكَّرُ)[(٢)]، بالتخفيف بمعنى: أوَلا يتذكر، وبالتشديد بمعنى: أوَلا يتفكر فيعتبر[(٣)].

وقوله تعالى: (أَوَلا يَذْكُرُ الإنسان) المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على إحيائه بعد فنائه، وإيجاده بعد عدمه في خلق نفسه، أن الله خلقه من قبل مماته، فأنشأه بشرّاً سويا من غير شيء (وَلَمْ يَكُ) من قبل إنشائه إياه (شَيْئاً) فيعتبر بذلك ويعلم أن من أنشأه من غير شيء لا يعجز عن إحيائه بعد مماته، وإيجاده بعد فنائه»[(٤)].

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**. حرف الخاء. ج٥. ص١٣٩.

(٢) ينظر: سالم، محمد إبراهيم محمد (ت١٤٣٠هـ). **فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات**. ط١. القاهرة: دار البيان العربي، (١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م). ج٣: ص٣٩٤.

(٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج١٨: ص٢٢٧. وابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٤: ص٢٥.

(٤) الطبري، **جامع البيان**. ج١٨: ص٢٢٧.

وقال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

أي إن الإنسان كان شيئاً، غير أنه لم يكن شيئاً مذكوراً، ومعنى قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ أي «أنه لم يكن شيئاً له نباهة ولا رفعة، ولا شرف، إنما كان طيناً لازباً وحمأ مسنوناً»[١].

وهذا إخبار عن الإنسان أنه أوجده سبحانه وتعالى بعد أن لم يكن شيئاً يذكر لحقارته وضعفه[٢].

وجاء في «التفسير الكبير للفخر الرازي»[٣] أن «(حِين) فيه قولان: الأول: أنه طائفة من الزمن الطويل الممتد وغير مقدر في نفسه، والثاني: أنه مقدر بالأربعين، فمن قال: المراد بالإنسان هو آدم قال المعنى: أنه مكث آدم عليه السلام أربعين سنة طيناً إلى أن نفخ فيه الروح»[٤].

«والآية تقتضي أنه قد مضى على الإنسان حال كونه إنساناً حين من الدهر مع أنه في ذلك الحين ما كان شيئاً مذكوراً.. واعلم أن الغرض من هذا التنبيه على أن الإنسان مُحْدَثٌ، ومتى كان كذلك فلا بد من مُحْدِثٍ قَادِرٍ»[٥].

---

(١) **المصدر نفسه.** ج٢٤: ص٨٧.

(٢) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم.** ج٨: ص٢٨٥.

(٣) هو الإمام فخر الدّين الرّازي، محمد بن عمر بن حسين القرشي الطّبرستاني الأصل (شمال دولة إيران)، الشافعي المفسّر المتكلّم، صاحب التصانيف المشهورة، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، كان إذا ركب مشى معه نحو الثلاثمائة مشتغل على اختلاف مطالبهم، في التفسير، والفقه، والكلام، والأصول، والطّبّ، وغير ذلك. وكان فريد عصره، ومتكلّم زمانه، توفي بهراة (مدينة أفغانية) يوم عيد الفطر سنة ست وست مئة، وله بضع وستون سنة، ومن تصانيفه «التفسير الكبير» سمّاه «مفاتيح الغيب» وكتاب «المحصول» وغيرها. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء.** ج٢١: ص٥٠٠-٥٠١. والسيوطي، طبقات المفسرين. ج١: ص١١٥.

(٤) الفخر الرازي، **التفسير الكبير.** ج٣٠: ص٧٣٩.

(٥) **المصدر نفسه.** ج٣٠: ص٢٣٦.

وأنه لم يكن شيئاً مذكوراً في الخلق وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً. وقيل: ليس هذا الذكر بمعنى الإخبار، فإن إخبار الرب عن الكائنات قديم، بل هذا الذكر بمعنى الشرف والقدر؛ تقول: فلان مذكور أي له شرف وقدر. وقد قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أي قد أتى على الإنسان حين لم يكن له قدر عند الخليقة(١).

وقال ابن عاشور(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١]. والمعنى: «هل يقر كل إنسان موجود أنه كان معدوماً زماناً طويلاً، فلم يكن شيئاً يُذْكَر، أي لم يكن يُسَمَّى ولا يُتَحَدَّثُ عنه بذاته»(٣).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ [الرحمن: ١-٣] «ففي خلق الإنسان دلالتان: أولاهما: الدلالة على تفرد الله تعالى بالإلهية، وثانيتهما: الدلالة على نعمة الله على الإنسان، والخلق: نعمة عظيمة لأن فيها تشريفاً للمخلوق بإخراجه من غياهب العدم إلى مبرز الوجود في الأعيان، وقدم خلق الإنسان على خلق السماوات والأرض لما علمت آنفاً من مناسبة إردافه بتعليم القرآن»(٤).

وقد ذهب الإمام ابن عاشور مذهب من سبقه من المفسرين بأن الذكر صفة للشيء أي: إن الإنسان كان شيئاً لكنه لم يكن شيء يستحق أن يُذكر، حيث قال: وجملة (﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾) يجوز أن تكون نعتاً لـــ(حين) بتقدير ضمير رابط بمحذوف لدلالة لفظ (حين) على أن العائد مجرور بحرف الظرفية حذف مع جاره، فالتقدير هنا: لم يكن فيه الإنسان شيئاً مذكوراً، أي كان معدوماً في زمن سبق، ويجوز أن تكون الجملة حالاً من الإنسان، وحذف العائد كحذفه في تقدير النعت. والشيء: اسم للموجود، والمذكور: المعين الذي هو بحيث يذكر، أي يعبر عنه بخصوصه ويخبر عنه بالأخبار والأحوال، ويتعلق

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٩: ص١١٩. (بتصرف)

(٢) سبق ترجمته.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٩: ٣٧٢.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٢٧: ص٢٢٣.

لفظه الدال عليه بالأفعال، فأما المعدوم فلا يذكر لأنه لا تعين له فلا يذكر إلا بعنوانه العام كما تقدم آنفا، وليس هذا هو المراد بالذكر هنا، ولهذا نجعل مذكورا وصفا لـــ«شيئاً» أريد به تقييد (شيئاً)، أي شيئاً خاصاً وهو الموجود المعبّر عنه باسمه المعين له[1].

ويتبين من ذلك أن ارتقاء الإنسان إلى مرتبة الشيء المذكور هي مكانة عظيمة له، وتكريم لشأنه، وانتقاله من طَوْر مَهين إلى طور كريم ومن مرتبة أدنى إلى مرتبة عليا.

ويأتي بعد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢-٣].

«وأدمج في خلال ذلك الامتنان على الناس بنعمة الإيجاد ونعمة الإدراك والامتنان بما أعطيه الإنسان من التمييز بين الخير والشر وإرشاده إلى الخير بواسطة الرسل فمن الناس من شكر نعمة الله ومنهم من كفرها فعبد غيره»[2].

ومن هنا تتجلى حقيقة هذه النعمة (نعمة الخلق والايجاد) وهي بمثابة أساس لجميع النعم التي أنعمها الله تعالى على هذا المخلوق (الإنسان)، والتي لا يمكن إحصاؤها قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

والله سبحانه وتعالى يمنُّ على الإنسان بنعمة الإحياء فيقول: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

ويقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٧].

فالله سبحانه وتعالى لمّا وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الأمور الثلاثة ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ كالدلالة على تحقق ذلك الكرم... ولا شك أنه كرمُ وَجُودٍ لأن الوُجُودَ خير

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٩: ص٣٧٣. (بتصرف)

(٢) **المصدر نفسه**، ج٢٩: ص٣٧٣-٣٧٤.

من العدم، والحياة خير من الموت[1].

وهذه النعمة تكفي أن يكون الإنسان بسببها مَدينا للخالق (عز وجل)، ويعبده ويتدين بدينه، وبهذا يمكن القول بأن هناك ثمة علاقة بين الدَين والدِين، حيث جاء معنى الدِين في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. بـ«الطاعة والذلة»[2] لله تعالى، لذلك نجد أنه هناك من عرّف الدِين بأنه «وفاءٌ إراديّ رمزيّ لدَين ثبت في ذمة المخلوق - الإنسان - تجاه الخالق نتيجة الخلق والايجاد، وإسباغ ما تميّز به على بقية المخلوقات من صفات»[3].

وهذا الوفاء إنما هو من خلال الإسلام والطاعة، وعبر الانصياع لأوامر الله، والاجتناب لنواهيه، أي إن الطريقة لوفاء الدَّيْن الذي يترتب على الإنسان من قبل الخالق (عز وجل)[4]، وجاء في الحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه وسلم): «**فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ**»[5].

المطلب الثاني: آراء العلماء في كيفية الخلق.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥].

وهذه ميزة وخصيصة وتكريم وتشريف لآدم عليه السلام، إذ خلقه الله تعالى بيديه

---

(١) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٣١: ص٧٥.

(٢) الطبري، **جامع البيان**. ج٦: ص٢٧٣.

(٣) عكام، محمود. **الإسلام والإنسان**. ط٢. حلب: فصلت للدراسات والترجمة والنشر، (١٤١٩هـ=١٩٩٩). ص٣٠.

(٤) ينظر: **المصدر نفسه**، ص٣١.

(٥) هذا الحديث جزء من حديث سعيد بن جبير عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما): أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَتْ إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ أَفَأَحُجَّ عَنْهَا قَالَ: «**نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا أَرَأَيْت لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّك دَيْنٌ أَكُنْت قَاضِيَتَهُ**» قَالَتْ نَعَمْ فَقَالَ: «**اقْضُوا اللَّهَ الَّذِي لَهُ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ**» رواه البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ). **صحيح البخاري**. تحقيق مصطفى ديب البغا. ط٣. بيروت: دار ابن كثير، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين. ح (٦٨٨٥). ج٦: ص٢٦٦٨.

كما أخبر، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾ خلاف بين أهل العلم، حيث ذهب فريق منهم على أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام بيديه واختصه بهذه الخصيصة، التي اختص بها عن سائر الخلق، و لم يخلق ذا روح بيديه غيره، وذهب الفريق الآخر على أن الله تعالى أضاف الخلق إلى نفسه تكريماً وتشريفاً لآدم عليه السلام، أي بمعنى التأكيد.

قال الطبري[1]: «يقول: لخلق يديّ؛ يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه»[2].

وقال الدارمي[3]: «إنه ولي خلق الأشياء بأمره وقوله وإرادته وولي خلق آدم بيده مسيساً لم يخلق ذا روح بيديه غيره فلذلك خصه وفضله وشرف بذلك ذكره، لولا ذلك ما كانت له فضيلة من ذلك على شيء من خلقه»[4].

وعن مجاهد[5] قال: «قال عبد الله بن عمر (رضي الله عنه): خلق الله أربعة أشياء بيده: العَرْشَ

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الطبري، **جامع البيان**. ج٢١: ٢٣٩.

(٣) أبو سعيد عثمان بن سعيد الدّارميّ، صاحب «المسند» والتصانيف. ولد قبل المئتين بيسير وطوف الأقاليم في طلب الحديث، روى عن سليمان بن حرب وطبقته، وكان قيّما بالسّنّة، ثقة، حجّة، ثبتا، قال يعقوب بن إسحاق الهروي: ما رأينا أجمع منه، أخذ الفقه عن البويطي، والعربية عن ابن الأعرابي، والحديث عن ابن المديني، توفي في ذي الحجة سنة ثمانين ومئتين، وقد ناهز الثمانين. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج١٣: ص٣١٩-٣٢٥. وابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٣: ص٣٣٠.

(٤) الدارمي، الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد. **نقض الإمام عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عزو جل من التوحيد**. تحقيق رشيد بن حسن الألمعي. ط١. الرياض: مكتبة الرشيد، (١٩٩٨م). ج١: ص٢٣٠-٢٣١.

(٥) هو الإمام، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه، وعن أبي هريرة، وعائشة، وغيرهم، وحدّث عنه عكرمة، وطاووس، وعطاء وغيرهم، قال الأنصاري حدثنا الفضل بن ميمون، وروي عنه أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، وقال عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقفه عند كل آية، أسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ قال ابن سعد=

والقلمَ وَعَدْنَ وآدم ثم قال لسائر الخلق كن فكان»[1].

أما القرطبي[2] فقد قال: «أضاف خلقه إلى نفسه تكريماً له، وإن كان خالق كل شيء، وهذا كما أضاف إلى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد، فخاطب الناس بما يعرفونه في تعاملهم، فإن الرئيس من المخلوقين لا يباشر شيئاً بيده إلا على سبيل الإعظام والتكرم، فذكر اليد هنا بمعنى هذا وقيل: التشبيه في اليد في خلق الله تعالى دليل على أنه ليس بمعنى النعمة والقوة والقدرة، وإنما هما صفتان من صفات ذاته تعالى. وقيل: لما خلقتُ بِيَدَيَّ لما خلقت بغير واسطة»[3].

وقال الشوكاني[4] أي: «ما صرفك، وصدّك عن السجود لما توليت خلقه من غير واسطة؟ وأضاف خلقه إلى نفسه تكريماً له، وتشريفاً، مع أنه سبحانه خالق كل شيء كما أضاف إلى نفسه الروح، والبيت، والناقة، والمساجد، قال مجاهد: اليد هنا بمعنى التأكيد

=مجاهد ثقة، فقيه، عالم، كثير الحديث. ومات مجاهد بمكّة وهو ساجد، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج٤: ص٤٤٩-٤٦٧، وابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٢: ص١٩-٢١.

(١) **ينظر: نقض الدارمي**، ج١: ص٢٦١. و السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. بيروت: دار الفكر، (١٩٩٣). ج٢: ص٢٠٧.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٥: ص٢٢٨.

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) سنة (١١٧٣هـ- ١٧٦٠م) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها سنة (١٢٥٠هـ-١٨٣٤م)، وكان يرى تحريم التقليد. له ١١٤ مؤلفا، منها "فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من التفسير "الذي حوى على درر عظيمة تدلُّ على تبحُّر هذا الإمام في علم التفسير، و"نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار" و"البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" وغيرها. ينظر: الشوكاني. **البدر الطالع**. ج٢: ص٢١٤ وما بعدها. والباباني، **هدية العارفين**. ج١: ص٧٧٥.

والصلة مجازا كقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]»[١].

وقال السعدي[٢] أي: «شرفته وكرمته واختصصته بهذه الخصيصة، التي اختص بها عن سائر الخلق، وذلك يقتضي عدم التكبر عليه»[٣].

أما ابن عاشور[٤] فقال: «أي خلقته بقدرتي، أي خلقاً خاصّاً دفعة ومباشرة لأمر التكوين، فكان تعلق هذا التكوين تعلقاً أقربَ من تعلقه بإيجاد الموجودات المرتَّبة لها أسباب تباشرها من حمل وولادة كما هو المعروف في تخلق الموجودات عن أصولها. ولا شكّ في أن خلق آدم فيه عناية زائدة وتشريف اتصال أقرب»[٥].

وقال الشنقيطي[٦]: «فتصريحه تعالى بأنه خلق نبيه آدم بهذه الصفة العظيمة التي هي

---

(١) الشوكاني، **فتح القدير**. ج٤: ص٥١١.

(٢) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدي التميمي، مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة (بالقصيم) بين سنة (١٣٠٧هـ=١٨٩٠م) وسنة (١٣٧٦هـ=١٩٥٦م) وهو أول من أنشأ مكتبة فيها (سنة ١٣٥٨) له نحو ٣٠ كتابا، ومن أهم مؤلفاته "تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن" و"تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن" و"القواعد الحسان في تفسير القرآن" وغيرها. ينظر: الزركلي، **الأعلام**. ج٣: ص٣٤٠. وعبد اللطيف، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله. **مشاهير علماء نجد وغيرهم**. ط١. الرياض: دار اليمامة، (١٣٩٢هـ=١٩٧٢م). ص٢٥٦-٢٦١.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق عبد الرحمن ابن معلا اللويحق. ط١. مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠هـ=٢٠٠٠ م). ص٧١٦.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٣: ص٣٠٢.

(٦) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مفسر، مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا)، ولد بموريتانيا سنة (١٣٢٥هـ=١٩٠٧م) وتعلم بها، استقر مدرساً في المدينة المنورة ثم الرياض، وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة وتوفي بمكة سنة (١٣٩٣هـ=١٩٧٣م)، له كتب، منها "أضواء البيان في تفسير القرآن" و"منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات" وكتب أخرى. ينظر: الزركلي، **الأعلام**. ج٦: ص٤٥. والمجذوب، محمد. **علماء ومفكرون عرفتهم**. ط٤. القاهرة: دار الشواف، (١٩٩٢م) ج١: ص١٧١ وما بعدها.

صفات كماله وجلاله يدل على أنها من صفات التأثير كما ترى، ولا يصح هنا تأويل اليد بالقدرة البتة»[1].

وتبين من آراء العلماء والمفسرين أنه لا خلاف في أن هذه الآية هي من آيات التكريم للإنسان، حيث أضاف الله تعالى فيها خلق آدم (عليه السلام) إلى نفسه تشريفاً له وتكريما، أما موطن الخلاف فيها هي: هل خلق الله تعالى آدم بيديه حقيقة أم مجازاً، فالذي يبدوا أن رأي الذين قالوا إن الله تعالى خلق آدم بيديه سبحانه و لم يخلق ذا روح بيديه غيره، وقولهم بأنها من الخصائص التي اختص بها عن سائر الخلق، هناك من الأدلة ما يعضده كحديث الشفاعة والذي فيه أربع خصائص لآدم (عليه السلام) اختص بها عن سائر البشر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ)... وَقَالَ» «**أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَلْ تَدْرُونَ بِمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ أَلا تَرَوْنَ إِلى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلى مَا بَلَغَكُمْ أَلا تَنْظُرُونَ إِلى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ أَلا تَشْفَعُ لَنَا إِلى رَبِّكَ...**»[2].

---

(١) الشنقيطي، **أضواء البيان.** ج٧: ص٢٧٢.

(٢) وهو جزء من حديث محمد بن عبيد حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَعْوَةٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً وَقَالَ أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَلْ تَدْرُونَ بِمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمْ لدَّاعِي وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ أَلا تَرَوْنَ إِلى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلى مَا بَلَغَكُمْ أَلا تَنْظُرُونَ إِلى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ أَلا تَشْفَعُ لَنَا إِلى رَبِّكَ أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا فَيَقُولُ رَبِّي غَضِبَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَنَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلى أَهْلِ الأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْداً=

ذكر الحافظ ابن حجر[1] عن ابن بطال[2]: «ويدل على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة لأن في قوله تعالى لإبليس ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود، فلو كانت اليد بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وابليس فرق لتشاركهما فيما خلق كل منهما به وهي قدرته، ولقال إبليس وأي فضيلة له علي وأنا خلقتني بقدرتك كما خلقته بقدرتك، فلما قال خلقتني من نار وخلقته من طين دل على

=شَكُوراً أَمَا تَرَى إلى مَا نَحْنُ فيه أَلا تَرَى إلى مَا بَلَغَنَا أَلا تَشْفَعُ لَنَا إلى رَبِّكَ فَيَقُولُ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ نَفْسِي نَفْسِي... ائْتُوا النَّبِيَّ ﷺ فَيَأْتُونِي فَأَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَهْ. قال محمد بن عبيد لا أحفظ سائره، (فنهس) من النهس وهو الأخذ بأطراف الأسنان. رواه البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: [إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه..]. ح (٣١٦٢). ج٣: ص١٢١٥. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان، باب ادنى اهل الجنة مترلة فيها، ص١٠٩. ح (١٩٤). (واللفظ للبخاري).

(١) هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، الإمام الحافظ المؤرّخ الحافظ المؤرّخ الكبير شهاب الدين، ابن حَجَر، صاحب «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» و«الإصابة في تمييز الصحابة» أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، ولد في ثاني عشر شعْبَان سنة ٧٧٣ ثَلَاث وَسبعين وَسَبْعمائة بِمصْر وَنَشَأ بهَا يَتِيماً في كنف أحد أوصيائه فحفظ الْقُرْآن وَهُوَ ابْن تسع ثمَّ حفظ الْعُمْدَة وألفية الحَديث للعراقي والحاوي الصَّغِير ومختصر ابْن الْحَاجِب فِي الأُصُول، وسرعان ما أجاد بسائط الفقه والنحو، ودرس مدة طويلة من الزمن على أعظم علماء عصره، من أمثال البلقيني، وابن الملقن، والعراقي، وغيرهم، توفي في مصر سنة (٨٥٢هـ). ينظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**. ج١: ص٧٤، والشوكاني، **البدر الطالع**. ج١: ص٨٨.

(٢) هو أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن البطّال القرطبي، مؤلف «شرح البخاري». من كبار المالكية، روى عن أبي المطرّف القنازعي، ويونس بن عبد الله القاضي، وتوفي في صفر من سنة تسع واربعين واربعمائة للهجرة. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج١٨: ص٤٧-٤٨. وابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٥: ص٢١٤.

اختصاص آدم بأن الله خلقه بيديه»[1].

لذا يمكن ترجيح القول الذي يقول أن الله تعالى خلق آدم بيديه بكيفية يعلمها الله سبحانه وتعالى وحده، وانها من الخصائص التي اختص بها عن سائر الخلق، وسائر المخلوقات خُلقوا بكن فيكون.



---

(١) ابن حجر، الامام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. ط٢. بيروت: دار المعرفة. ج١٠: ص١٦٠.

المبحث الثاني

التكريم بنفخ الروح وسجود الملائكة

المطلب الأول: خلق آدم واستخلافه

في هذا المبحث تتضح حقيقة أخرى بعد أن لم يكن الإنسان شيئاً، ثم أصبح شيئاً لكن لا يستحق أن يُذكر ثم شاء الله تعالى أن يكرم هذا الإنسان لكي يكون له شأن وذِكْر بين الملأ الأعلى والخلائق أجمعين، ألا وهي التكريم بنفخ الروح فيه.

فالله سبحانه وتعالى خلق آدم (عليه السلام) أبا البشرية بيديه تعالى جل شأنه، وكان التكريم الأول لهذا الإنسان الإعلان الإلهي العظيم بين الملإ الأعلى وعباده المكرمين (الملائكة) أنه خالق بشراً من طين، ليكون خليفة في الارض، إنه تكريم عظيم حقاً من الخالق لبني الإنسان، لاسيما وقد اقترن هذا الإعلان بأمر الملائكة أن تسجد لهذا البشر(١).

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾ [البقرة: ٣٠].

ولما امتنّ سبحانه بما تقدم في قوله: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ [البقرة: ٢٩]، أَتْبَعَ ذلك بنعمة عامة، وكرامة تامة، والإحسان إلى الأصل إحسان إلى الفرع، والولد سر أبيه، ألا وهي نعمة الخلافة على آدم (عليه السلام) وذريته(٢).

وفي قوله: ﴿خَلِيفَةً﴾ للمفسرين آراء منها:

أولاً: «أي يخلف من كان قبله من الملائكة في الأرض أو من كان قبله من غير الملائكة، هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يُسمع له ويُطاع، لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦].

---

(١) ينظر: عثمان، نبيه عبد الرحمن. **الإنسان؛ الروح والعقل والنفس**. مكة المكرمة: سلسلة دعوة الحق (٧٠). (١٤٠٨هـ=١٩٨٧م). ص١٨.

(٢) ينظر، الالوسي. **روح المعاني**. ج١: ص٢٢٠.

وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٥٥]. أي يجعل منهم خلفاء»[١].

ثانياً: «أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل»[٢].

ثالثاً: المراد بالخليفة في الآية آدم وذريته، ولم يقل خلائف أو خلفاء لأنه أُريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما تستغني بذكر أبي القبيلة في قولك مُضَرَ وهاشم[٣]، وهل هو خليفة عن الله؟ أو خليفة عن الجن؟ أو خليفة عن خلق آخرين؟ وفي ذلك للمفسرين أقوال أصحها أي: هو خليفة عن الله، بمعنى خليفةً منّي يخلفني في الحكم بين خلقي، وذلك الخليفة هو آدمُ ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه، وليس هناك نص قطعي في الموضوع، والخليفة في اللغة من خلف فلان فلاناً في أمر إذا قام فيه مقامه بعده[٤].

وهو ما ذهب اليه السمعاني[٥] في تفسيره حيث قال: «وَقيل: إِنَّمَا سمى خَلِيفَة لأَنَّهُ

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١: ص٢٦٣.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج١: ص٢١٦.

(٣) مضر وهاشم: قبيلتين من القبائل العربية، مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان من أولاد إسماعيل (عليه السلام)، وهاشم الذي اسمه عمرو من أولاد مُضَر والرسول (ﷺ) من بني هاشم. ينظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٣ أو٢١٨). **السيرة النبوية**. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي. ط٣. بيروت: دار المعرفة، (٢٠٠٣م). ج١: ص٢٥.

(٤) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج١: ص٤٥٢، و حوى، سعيد. **الأساس في التفسير**. ط٣. القاهرة: دار السلام، (١٩٩١م)، مج١، ص١١٥،١١٦.

(٥) هو الإمام العلّامة أبو المظفّر السمعاني، منصور بن محمد التميمي المروزي الحنفي، ثم الشافعي. ولد سنة ست وعشرين وأربع مائة. تفقه على والده وغيره، وكان إمام وقته في مذهب أبي حنيفة، فلما حجّ ظهر له بالحجاز ما اقتضى انتقاله إلى مذهب الشافعي، ولما عاد إلى مرو (مدينة في تركمنستان) لقي أذى عظيما بسبب انتقاله، وصنّف في مذهب الشافعي كتبا كثيرة، وصنّف في الرّد على المخالفين، وله «الطبقات» أجاد فيه وأحسن، وله "تفسير" جيد حسن، وجمع في الحديث ألف جزء عن مائة شيخ وسمعان بطن من تميم، توفي سنة تسع وثمانين وأربع مائة، عاش ثلاثاً وستين سنة. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج١٩: ص١١٤-١١٩. والسبكي، **طبقات الشافعية**. ج٧: ص١٨٠.

خَليفَة اللهِ فِي الأَرْض؛ لإِقَامَة أَحْكَامه، وتنفيذ قضاياه، وَهَذَا هُوَ الأَصَح»[1].

المطلب الثاني: نفخ الروح وسجود الملائكة

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨-٣١].

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص: ٧١- ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩].

أي: «فإذا صوّرته فعدَّلت صورته (وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحِي) فصار بشراً حياً (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ قال الامام الفخر الرازي[3]: وإنما أضاف الله سبحانه روح آدم إلى نفسه تشريفاً له وتكريماً[4].

أما في تفسير النفخ وحقيقته فقد قال الآلوسي[5]: النفخ في العرف إجراء الريح من

---

(١) السمعاني، **تفسير القرآن**. ج١: ص٦٤.

(٢) الطبري، **جامع البيان**. ج١٧: ص١٠١.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١٩: ص١٣٩.

(٥) هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها ما بين (١٢١٧-١٢٧٠هـ)،كان عالماً باختلاف المذاهب، مطلعاً على الملل والنحل سلفي الاعتقاد، مجتهداً. تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ وعزل، فانقطع للعلم. خَلَّف رحمه الله للناس ثروة علمية كبيرة ونافعة، منها: "روح المعاني في التفسير"، فهي موسوعة تفسيرية قيِّمة. جمعت جُلَّ ما قاله علماء التفسير الذين تقدَّموا عليه، مع النقد الحر، والترجيح الذى يعتمد على قوة الذهن وصفاء القريحة و"وحاشيته على القطر"=

الفم أو غيره في تجويف جسم صالح لإمساكها والامتلاء بها، والمراد هنا تمثيل إفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها وليس هناك نفخ حقيقة[1].

«إنه تكريم عظيم لهذا الإنسان من خالقه ومصوره ومبدعه بأن جعله خليفة في الارض، وتكريم عظيم أن تسجد الملائكة لهذا البشر، واعظم من كل هذا ما اختص به هذا المخلوق الذي نفخ فيه من روحه، وفي هذا اشارة إلى طهارة أصله وسمو معدنه ونقاء فطرته، وتكريم عظيم لهذا الإنسان حين خلقه الله بيديه فأي تشريف هذا وأي تكريم، انه أعظم تشريف وتكريم ناله مخلوق من خالقه العظيم»[2].

لقد بدأ هذا الخلق من حفنة تراب وحدها، والبشر جميعاً في هذه المرحلة من وجودهم ليس لهم فضل يمتازون به، أو يعلى مكانتهم على غيرهم من الكائنات. كم تساوي حفنة من التراب؟ لا شيء[3].

أن القرآن الكريم وصفهم في هذه المرحلة بما يدل على تفاهة الشأن، قال جل شأنه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٧-٨].

=و"وشرح السلم في المنطق" وغيرها، ينظر: البابانى، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (ت١٣٩٩هـ). **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**. استانبول: وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، (١٩٥١م). ج٢: ص٤١٨. والذهبي، محمد السيد حسين (ت١٣٩٨هـ). **التفسير والمفسرون**. القاهرة: مكتبة وهبة، ج١: ٢٥٠-٢٥٧.

(١) الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. تحقيق علي عبد الباري عطية. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ). مج٧: ص٢٨١.

(٢) عثمان، نبيه عبد الرحمن. **الإنسان؛ الروح والعقل والنفس**. ص١٨-١٩.

(٣) الغزالي، محمد. **الجانب العاطفي من الإسلام**. ط١. مصر - الاسكندرية: دار الدعوة، (١٤١٠هـ=١٩٩٠م). ص١٠٢.

فتلك مرحلة في تاريخ الوجود الإنساني لا يستمد الإنسان منها أي كرامة، وإنما يستمد هذه الكرامة من الطور الآخر الذي يقول الله فيه لملائكته: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وهنا بدأ التغيير يطرأ على الإنسان ليكون خلقاً آخر بقدرة الخالق (جَلَّ جَلَالُهُ)، من حالة إلى حالة أخرى مغايرة ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ بنفخه الروح فيه، أي خلقاً مبايناً للخلق الأول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيواناً وكان جماداً، وناطقاً وكان أبكم، وسميعاً وكان أصم، وبصيراً وكان أكمه لأنه جعل إنشاء الروح فيه، وإتمام خلقه إنشاء له، ففي الآية دلالة على بطلان القول: بأن الإنسان هو الروح لا البدن، فإنه سبحانه بين أن الإنسان هو المركب من هذه الصفات، وفيها دلالة أيضاً على بطلان القول: بأن الإنسان شيء لا ينقسم، وإنه ليس بجسم، فقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾ يبين تركيبة الجسم بلا روح أي القسم الأرضي للإنسان فقط ثم جاءه القسم السماوي، ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ أي ثم نفخنا فيه الروح، فتحرك وصار ﴿ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[1].

وبهذه النفخة من روح الله سرت في الكيان الإنساني الخصائص، التي استحق بها أن يسمو ويمجد، فإن الملائكة ومن دونهم لا يكلفون بالسجود لسلالة من التراب تافهة القيمة، إن الإنسان كائن عظيم حقا بيد أن عظمته ترجع إلى نسبه السماوي الروحي، لا إلى نسبه الأرضي المادي[2].

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج١٩: ص١٧. و الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٣: ص٢٦٤ وما بعدها. وابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**. ج٥: ص٤٦٦.

(٢) ينظر: الغزالي، **الجانب العاطفي من الإسلام**. ص١٠٣

«والذي بوأ للإنسان هذه المكانة السامية وفي الكون أجرام أضخم منه وأكبر، هو سر القبس الذي هو فيه نور الله، والنفخة التي فيه من روح الله، تلك النفخة التي جعلته مستعداً للخلافة في الأرض، لحمل الأمانة الكبرى، أمانة التكليف والمسؤولية»[1].

وسجود الملائكة للإنسان فيها دلالة واضحة على أن هذا الإنسان يعيش سيدا مكرّماً لهذا الكون، ووظيفته أن يكون خليفة لله تعالى، ويكون السيد المتصرف الذي سخّر الله له الكون وما فيه لنفعه، وخدمته، وسعادته.

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٩].

«إضافة الروح إلى نفسه كإضافة البيت إليه للتشريف، واعلم أن النصارى يفترون على الله الكذب ويقولون بأن عيسى كان روح الله فهو ابن ولا يعلمون أن كل أحد روحه روح الله بقوله: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ أي الروح التي هي ملكه كما يقول القائل: داري وعبدي، ولم يقل أعطاه من جسمه لأن الشرف بالروح فأضاف الروح دون الجسم على ما يترتب على نفخ الروح من السمع والبصر والعلم فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾»[2].

والروح التي نُفِخَتْ في آدم ونُسِبَتْ إلى الله تعالى: تشريفاً وتكريماً، ﴿مِن رُّوحِى﴾ هي روح مخلوقة بإجماع المسلمين، وقال ابن تيمية[3]: روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق

---

(١) القرضاوي، **قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام**. ص١٠.

(٢) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٥: ص١٤١.

(٣) هو تقي الدّين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة الحرّاني الحنبلي، ولد بحرّان (جنوب شرق تركيا حالياً) سنة إحدى وستين وستمائة، وأقبل على العلوم في صغره، فأخذ الفقه والأصول عن والده، وعن الشيخ شمس الدّين بن أبي عمر، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وتأهل للفتوى والتدريس، وله دون العشرين سنة، تبلغ تصانيفه خمسمائة مجلدة، أهمها "مجموع الفتاوى" و"السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية" و"دقائق التفسير" وغيرها. وأثنى عليه الذهبي وخلق بثناء حميد. ينظر: أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**. ج٩: ص٢٧١-٢٧٢. وابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٨: ص١٤٢ وما بعدها.

سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين؛ فأرواح بني آدم ليست صفة لله تعالى: ولا جزءاً من الله تعالى جعل في أجساد بني آدم، والمقصود أن الإضافة في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ من روحي هي للتكريم والتشريف، وأما كيفية النفخ فالقاعدة الذهبية في ذلك، التي عليها إجماع العلماء أن: الكيف مجهول، والمعنى معلوم، وهذا الفعل من الله تعالى: «النفخ» مفهوم المعنى، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة[(١)].

فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، فهي تقتضي تخصيصاً وتشريفاً يتميز به المضاف عن غيره، وهذه إضافة إلى إلهيته تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه، بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته حيث تقتضي خلقه وإيجاده، فالإضافة العامة تقتضي الإيجاد والخاصة تقتضي الاختيار[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص: ٧٣]. وذلك «لتذكير الإنسان بفضل الله تعالى عليه أولاً، وليعرف مكانته في الوجود والكون ثانياً، وليحذِّره من غواية الشيطان ثالثاً»[(٣)].

حيث أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم تكريماً واحتراماً أي: أمرهم بالسجود له على وجه التحية والتكرمة تعظيماً له، واعترافاً بفضله، واعتذاراً عمّا قالوا فيه[(٤)]، وهذه كرامةٌ عظيمةٌ من الله تعالى لآدم عليه السلام، وهو سجودُ تعظيم، وتسليم، وتحية، لا سجود عبادة، فسجود الملائكة لآدم عبادة لله وطاعة وقربة يتقربون بها إليه، وهو لآدم تشريف

---

(١) ينظر: ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر المشتهر بابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ). **الروح**. ط١. بيروت: دار المعرفة، (١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م). ص١٩٠-٢٠٢.

(٢) **المصدر نفسه**، ص٢٠٠. (بتصرف)

(٣) الزحيلي، محمد. **حقوق الإنسان في الإسلام**. ط٥. دمشق، بيروت: دار ابن كثير، (١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م). ص٢٨.

(٤) يقصد بقوله (عما قالوا فيه) ما جاء في قوله تعالى: ﴿... قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وتعظيم وتكريم[1].

ومما سبق تبين أن بنفخ الروح صار الإنسان خلقاً آخر، مغايراً لما كان عليه الحال قبل، مخالفاً كل المخالفة للأصل الطيني، تخلقت من انسجام هذين العنصرين وأعطت هذا الإنسان كل الخصائص التي تؤهله للارتفاع فوق مستوى الحيوان ويقرر له أهدافه وغايته العليا في الحياة، ويدل هذا على أن موقع الإنسان عند الله سبحانه وتعالى عظيم جدّاً في هذا الكون، فالروح المضاف إلى بدن الإنسان هو عنصر علوي (الهي) يتضمن استعداد الإنسان لتحقيق معالي الأمور، ويهيئه لأداء اقدس وظيفة، ألا وهي العبادة «بمعناها الواسع»، يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهذا ما تميّز به الإنسان عن غيره من المخلوقات الأخرى، فهو لا يعتبر إنساناً إلا بروحه لا بمادة بدنه وجسمه، كما قال الشاعر:

يَا خَادِمِ الْجِسْمِ كم تشقى بخدمته	أتطلب الرِّبْح فِيمَا فِيهِ خُسرانُ
أقبل على النَّفس واستكمل فضائلها	فَأَنت بِالنَّفسِ لا بالجسم إِنْسَانُ[2]



(١) ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت١٣٣٢هـ). **تفسير القاسمي؛ محاسن التأويل**. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٨هـ). ج١: ص٢٨٩-٢٩٠.

(٢) البستي، علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز أَبُو الفَتح (ت٤٠٠هـ). **قصيدة عنوان الحكم**. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. ط١. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م). ص٣٦.

المبحث الثالث

التكريم بالحياة الدنيا

المطلب الأول: نعمة الحياة

تعتبر الحياة من المواهب الأساسية التي منحها الله تعالى للإنسان، وحق الحياة هو أحد حقوق الإنسان الأساسية؛ بل هو الحق الأكثر أهمية على الإطلاق، لأنه رأس مال الإنسان الحقيقي، «وأبرز شيء في هذا الدين العظيم أنه إنساني الطابع»(١)، وأن الإنسان في هذا الدين مكرم أعظم تكريم، فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق متميز، مكرم، ميزه الله وكرمه، وفضله على كثير من خلقه، ومن أهم مظاهر هذا التكريم حياته واستخلافه في الأرض، فالحياة هي الهبة العظيمة التي منحها الله تعالى له في المفاهيم القرآنية.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

ذكر الله في هذه الآيات أطوار الآدمي وتنقلاته، من ابتداء خلقه إلى آخر ما يصير إليه، فذكر ابتداء خلق أبي النوع البشري آدم عليه السلام، وأنه ﴿مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ أي: قد سلت، وأخذت من جميع الأرض، ولذلك جاء بنوه على قدر الأرض، منهم الطيب والخبيث وبين ذلك، والسهل والحزن وبين ذلك ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ﴾ أي: جنس الآدميين ﴿نُطْفَةً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: تعالى وتعاظم وكثر خيره ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]، فخلقه كله حسن، والإنسان من أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ولهذا كان خواصه أفضل المخلوقات وأكملها(٢).

---

(١) ينظر: http://islam.alnaddy.com/article/٣٤٩٥٩٤ بتاريخ ٢٠١٢/١٢/٣٠م.

(٢) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن. ص٥٤٨.

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨].

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم: ٢٠].

يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾ الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب، ﴿ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ ثم خرج من بطن أمه صغيراً ضعيف القوى والحركة، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار يبني المدائن والحصون، ويسافر في أقطار الأقاليم، ويركب متن البحور، ويدور أقطارَ الأرض ويتكسب ويجمع الأموال، وله فكرة وغور، ودهاء ومكر، ورأي وعلم، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه. فسبحان مَنْ أقدرهم وسَيّرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب، وفاوت بينهم في العلوم والفكرة، والحسن والقبح، والغنى والفقر، والسعادة والشقاوة[١].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا أَنتُم بَشَرٌ ﴾ قال البقاعي[٢]: «أي فاجأكم كونكم لكم بشرة هي في غاية التماسك والاتصال مع اللين عكس ما كان لكم من الوصف اذا كنتم تراباً، وأسند الانتشار إلى المبتدأ المخاطب لا الخبر لأن الخطاب أدل على المراد فقال: ﴿تَنتَشِرُونَ ﴾ أي تبلغون بالنشر كل مبلغ بالانتقال من مكان إلى مكان مع العقل والنطق، ولم يختم

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٦: ص٣٠٨. (بتصرف)

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، مؤرخ أديب، أصله من البقاع (خربة روحا في لبنان) سنة (٨٠٩هـ=١٤٠٦م)، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس، وتوفي بدمشق سنة (٨٨٥هـ=١٤٨٠م). له عدة مصنفات منها "عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران" و"أخبار الجلاد في فتح البلاد" و"نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" يعرف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي، وغيرها، وله ديوان شعر سماه "إشعار الواعي بأشعار البقاعي" ينظر: السخاوي، **الضوء اللامع**. ج١: ص١٠١، والشوكاني، **البدر الطالع**. ج١: ص١٩.

هذه الآية بما ختم به ما بعدها[1]، دلالة على أنها جامعة لجميع الآيات، ودلالة على جميع الكمالات"[2].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته، بأنه تعالى هو المنعم على عَبيده، بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعمَ الظاهرة والباطنة، ومضمونه: أنه الخالق الرازق مالك الدار، وساكنيها، ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يُشْرَك به غَيره؛ ولهذا قال تعالى: ﴿... فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢][3].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود (رضي الله عنه)، قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّه نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ**»[4].

والخلق: أصله الإيجاد على تقدير وتسوية، ويطلق في القرآن وفي عرف الشريعة على إيجاد الأشياء المعدومة، فهو إخراجها من العدم إلى الوجود إخراجاً لا صنعة فيه للبشر، والمعنى: اجعلوا أيها الناس عبادتكم لله تعالى وحده، لأنه هو الذي أوجدكم في أحسن تقويم بعد أن كنتم في عدم، كما أوجد الذين تقدموكم، وقدم وصفه بخلق المخاطبين مع أنه متأخر بالزمان عن خلق من تقدموهم، لأن علم الإنسان بأحوال نفسه أظهر من علمه بأحوال غيره[5].

---

(١) ﴿...إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿...إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ ﴿... إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿...إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢١-٢٤].

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**. ج٥: ص٦١٢.

(٣) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج١: ١٩٤. والقاسمي، **محاسن التأويل**. ج١: ص٢٦٥.

(٤) **متفق عليه**. البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب التفسير: سورة الفرقان، باب قوله تعالى: [والذين لا يدعون مع الله إلها آخر]. ح (٤٤٨٣). ج٤: ص١٧٨٤. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان، باب كون الشرك اقبح الذنوب. ح (٨٦). ص٦٢.

(٥) طنطاوي، محمد سيد. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**. ط١. القاهرة: دار نهضة مصر، (١٩٩٧م). ج١: ص٧١.

والله سبحانه وتعالى خلق الخلق برحمته، واوجدهم بكرمه ولطفه، ووهب لهم الحياة الدنيا وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً بالعقل، وكرّمهم بالقرآن والبيان، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١- ٤].

قال الفخر الرازي[١]: «فلله تعالى رحمتان سابقة ولاحقة، فالسابقة هي التي بها خلق الخلق، واللاحقة هي التي أعطى بها الخلق بعد إيجاده إياهم من الرزق والفطنة وغير ذلك، فهو تعالى بالنظر إلى الرحمة السابقة رحمن، وبالنظر إلى اللاحقة رحيم، ولهذا يقال: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، فهو رحمن، لأنه خلق الخلق أولاً برحمته، فلما لم يوجد في غيره هذه الرحمة و لم يخلق أحدٌ أحداً لم يجز أن يقال لغيره: رحمن»[٢].

وبما أن الرحمن والرحيم صفتان من الصفات الأزلية لله تعالى يمكن تأويل قول الإمام الرازي الرحمة السابقة بالرحمة العامة، أي رحمة عامة لجميع مخلوقاته، والرحمة اللاحقة بالرحمة الخاصة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿... وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

وقال الطبري[٣]: «يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾: والله يختص من يشاء بنبوته ورسالته، فيرسله إلى من يشاء من خلقه، فيتفضل بالإيمان على من أحب فيهديه له، و«اختصاصه» إياهم بها، إفرادهم بها دون غيرهم من خلقه، وإنما جعل الله رسالته إلى من أرسل إليه من خلقه، وهدايته من هدى من عباده، رحمة منه له ليصيره بها إلى رضاه ومحبته وفوزه بها بالجنة، واستحقاقه بها ثناءه. وكل ذلك رحمة من الله له»[٤].

ولما كانت هذه السورة -سورة الرحمن- لتعداد نعمه التي أنعم بها على عباده قدم النعمة التي هي أجلّها قدراً، وأكثرها نفعاً، وأتمها فائدة وأعظمها عائدة، وهي نعمة تعليم

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٩: ص٣٣٦.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) الطبري، **جامع البيان**. ج٢: ص٤٧١.

القرآن، فإنها مدار سعادة الدارين، وقُطْبُ رَحَى الخَيْرَيْن، وعماد الأمرين. ثم امتنّ بعد هذه النعمة بنعمة الخلق التي هي مناط كل الأمور، ومرجع جميع الأشياء، فقال: (خَلَقَ الإنسان) ثم امتنّ ثالثاً بتعليمه البيان الذي يكون به التفاهم، ويدور عليه التخاطب، وتتوقف عليه مصالح المعاش والمعاد؛ لأنه لا يمكن إبراز ما في الضمائر، ولا إظهار ما يدور في الخلد إلاّ به قال قتادة[1]، والحسن[2]: المراد بالإنسان آدم، والمراد بالبيان: أسماء كلّ شيء، والأولى حمل الإنسان على الجنس، وحمل البيان على تعليم كلّ قوم لسانهم الذي يتكلمون به[3].

---

(١) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي، وقيل: قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير، الأكمه، مولده: في سنة ستين، وروى عن عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك، وأبي الطفيل الكناني، وسعيد بن المسيب وغيرهم، وهو من التابعين، وروى عن عكرمة مولى ابن عباس (رضي الله عنه)، كان رحمه الله من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، روى عنه أئمة الإسلام: أيوب السختياني، وابن أبي عروبة، ومعمر بن راشد والأوزاعي وغيرهم، توفي قتادة سنة ثماني عشرة ومائة. ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٢هـ =١٩٩٢م)، ج٧: ص١٨٤. والذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج٥: ص٢٦٩ وما بعدها.

(٢) هو الحسن البصري أبو سعيد بن أبي الحسن يسار، مولى زيد بن ثابت لأنصاري، وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، ويسار أبوه من سبي ميسان، سكن المدينة، وأعتق، وتزوج بها في خلافة عمر، فولد له بها الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر، قال الحسن: كنت يوم قتل عثمان ابن أربع عشرة سنة، وروى عن خلق من الصحابة، وروى عن خلق من التابعين، وعنه أيوب وشيبان النحوي، ويونس بن عبيد وغيرهم، قال قتادة: كان الحسن من أعلم الناس بالحلال والحرام، وعن بكر بن عبد الله المزني، قال: مَنْ سَرَّهُ أن ينظر إلى أفقه مَنْ رأينا فلينظر إلى الحسن. مات الحسن في رجب، سنة عشر ومائة. وقال عبد الله بن الحسن: إن أباه عاش نحوا من ثمان وثمانين سنة. ينظر: ابن الجوزي، **المنتظم**. ج٧: ص١٣٧-١٣٨. والذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج٤: ص٥٦٣ وما بعدها.

(٣) الشوكاني، **فتح القدير**. ج٥: ص١٥٨. (بتصرف)

وفي قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال الآلوسي[1]: أي علّم الإنسان القرآن لأنه أعظم النعم شأناً وأرفعها مكاناً، كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية، إن قراءة القرآن كرامة أكرم الله تعالى بها البشر فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك وأنهم حريصون لذلك على استماعه من الإنس[2].

أما في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ فقد قال ابن عاشور[3]: «ففي خلق الإنسان دلالتان: أولاهما: الدلالة على تفرد الله تعالى بالإلهية، وثانيتهما الدلالة على نعمة الله على الإنسان، والخلق: نعمة عظيمة لأن فيها تشريفاً للمخلوق بإخراجه من غياهب العدم إلى مبرز الوجود في الأعيان"[4].

المطلب الثاني: ماهية الحياة الطيبة

لا تطيب الحياة إلا إذا صاحَبَتْها طاعةُ الله، لأن الله وحده هو الذي يعلم ما يُسعِدُ الإنسان ويفرح قلبه، فالذي أوجده هو الله جل وعلا، فالله تعالى وليس غيره أعلم بحال الإنسان من الإنسان، فلا سبيل للإنسان الباحث عن السعادة والعيش الطيب إلا بمعرفة السبيل إلى ذلك عن طريق خالقه وفاطره سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

قال الفخر الرازي[5]: واعلم أنَّ عيشَ المؤمن في الدنيا أطْيَبُ من عيش الكافر لِوُجُوهٍ: الأول: أنه لما عرف أن رزقه إنما حصل بتدبير الله تعالى، وعرف أنه تعالى محسن كريم لا يفعل إلا الصواب كان راضياً بكل ما قضاه وقدره، وعلم أن مصلحته في ذلك،

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**. ج١٤: ص٩٨.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٧: ص ٢٣٣.

(٥) سبق ترجمته.

أما الجاهل فلا يعرف هذه الأصول فكان أبداً في الحزن والشقاء. وثانيها: أن المؤمن أبداً يستحضر في عقله أنواع المصائب والمحن ويقدر وقوعها وعلى تقدير وقوعها يرضى بها، لأن الرضا بقضاء الله تعالى واجب، فعند وقوعها لا يستعظمها بخلاف الجاهل فإنه يكون غافلاً عن تلك المعارف، فعند وقوع المصائب يعظم تأثيرها في قلبه. وثالثها: أن قلب المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى، والقلب إذا كان مملوءاً من هذه المعارف لم يتسع للأحزان الواقعة بسبب أحوال الدنيا، أما قلب الجاهل فإنه خال عن معرفة الله تعالى فلا جرم يصير مملوءاً من الأحزان الواقعة بسبب مصائب الدنيا. ورابعها: أن المؤمن عارف بأن خيرات الحياة الجسمانية خسيسة فلا يعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها، أما الجاهل فإنه لا يعرف سعادة أخرى تغايرها فلا جرم يعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها. وخامسها: أن المؤمن يعلم أن خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة التقلب فلولا تغيرها وانقلابها لم تصل من غيره إليه، فعند وصولها إليه يكون أيضاً واجب التغير، فعند ذلك لا يطبع العاقل قلبه عليها، بخلاف الجاهل فإنه يكون غافلاً عن هذه المعارف فيطبع قلبه عليها فعند فوتها وزوالها يحترق قلبه ويعظم البلاء عنده[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وهذا بيان واضح وجلي من الباري عز وجل «إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم، أشدّكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ﴾ قال الفخر الرازي[3]: فيه وجهان: (أحدهما): أن المراد من يكون أتقى يكون عند الله أكرم أي التقوى تفيد الإكرام (ثانيهما): أن المراد أن من يكون أكرم عند الله يكون أتقى أي الإكرام يورث التقوى، والأول أشهر

---

(١) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٠: ص٢٦٧ وما بعدها (بتصرف).

(٢) الطبري، **جامع البيان**. ج٢٢: ص٣١٢.

(٣) سبق ترجمته.

والثاني أظهر لأن المذكور ثانياً ينبغي أن يكون محمولاً على المذكور أولاً في الظاهر فيقال الإكرام للتقي، وهي إثبات لكون التقوى متقدمة على كل فضيلة[1].

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وقوله: ﴿أَكۡرَمَكُمۡ﴾ «الخطاب مع الناس والأكرم يقتضي اشتراك الكل في الكرامة ولا كرامة للكافر، فإنه أضل من الأنعام وأذل من الهوام، نقول ذلك غير لازم مع أنه حاصل بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] لأن كل من خلق فقد اعترف بربه، كأنه تعالى قال من استمر عليه لو زاد زيد في كرامته، ومن رجع عنه أزيل عنه أثر الكرامة»[2].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ قَالَ: «**أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّه أَتْقَاهُمْ**» قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ: «**فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّه ابْنُ نَبِيِّ اللَّه ابْنِ نَبِيِّ اللَّه ابْنِ خَلِيلِ اللَّه**» قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ: «**فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي**» قَالُوا نَعَمْ قَالَ: «**فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسلام إِذَا فَقِهُوا**»[3].

وقد يُخْطِئ الإنسان في فهمه لمعنى الكرامة والتكريم، الإنسان الذي لا هم له سوى الدنيا، وليس له في الآخرة من خلاق أو نصيب.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَـٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥- ١٦].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ «أي فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى ﴿فَأَكۡرَمَهُۥ﴾ بالمال، وأفضل عليه، ﴿وَنَعَّمَهُۥ﴾ بما أوسع عليه من فضله

---

(١) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٨: ص١١٤. (بتصرف)

(٢) **المصدر نفسه**، ج٢٨: ص١١٤-١١٥.

(٣) **متفق عليه**، البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الانبياء. باب قوله: (لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين). ح (٣٢٠٣). ج٣: ص١٢٣٨. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الفضائل. باب من فضائل يوسف (عليه السلام). ح (٢٣٧٨). ص٩٦٧.

﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ فيفرح بذلك ويسرّ به ويقول: ربي أكرمني بهذه الكرامة، ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ أي وأما إذا ما امتحنه ربه بالفقر ﴿فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ فضيَّق عليه رزقه وقتَّره، فلم يكثر ماله، ولم يوسع عليه ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ فيقول ذلك الإنسان: ربي أهانني، يقول: أذلني بالفقر، ولم يشكر الله على ما وهب له من سلامة جوارحه، ورزقه من العافية في جسمه»[(١)].

فالإنسان الذي لا يهمه إلا الدنيا ولذاتها وشهواتها، فإن وجد الراحة في الدنيا يقول: ربي أكرمني، وإن لم يجد هذه الراحة يقول: ربي أهانني، وهذا خطأ، إذ المتنعم في الدنيا لا يجوز له أن يحكم على نفسه بالسعادة والكرامة، والمتألم في الدنيا لا يجوز له أن يحكم على نفسه بالشقاوة والهوان، لأن سعادة الدنيا وشقاوتها في مقابلة ما في الآخرة من السعادة والشقاوة كالقطرة في البحر، ولأن حصول النعمة في الدنيا وحصول الآلام في الدنيا لا يدل على الاستحقاق، فإنه تعالى كثيراً ما يوسع على العصاة والكفرة، إما لأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وإما بحكم المصلحة، وإما على سبيل الاستدراج والمكر، وقد يضيق على الصديقين لأضداد ما ذكرنا، فلا ينبغي للعبد أن يظن أن ذلك لمجازاة[(٢)].

وقال تعالى: ﴿... وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

أي «ومَنْ يُهِنْهُ اللهُ من خلقه فَيُشْقِه، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ بالسعادة يسعده بها، لأن الأمور كلها بيد الله، يوفِّق من يشاء لطاعته، ويخذل من يشاء، ويُشقي من أراد، ويسعد من أحبّ، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يفعل في خلقه ما يشاء من إهانة من أراد إهانته، وإكرام من أراد كرامته، لأن الخلق خلقه والأمر أمره ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣][(٣)]».

---

(١) الطبري، **جامع البيان**. ج٢٤: ص٤١٢.

(٢) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٣١: ص١٥٥.

(٣) الطبري، **جامع البيان**. ج١٨: ص٥٨٧.

وصدق الله العظيم إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

قال ابن كثير[١] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾: «أي: خالف أمري، وما أَنْزَلْتُهُ على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تَنَعَّم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة»[٢].

فالحياة الطيبة هي الحياة الكريمة التي فيها يشعر القلب بلذة اليقين وحلاوة الإيمان والرغبة في الموعود والرضا بالقضاء، والاستكانة إلى معبود واحد، والتنوّر بسر الوجود الذي قام به، هذه في الدنيا، وأما في الآخرة، فله الجزاء الأحسن والثواب الأوفى[٣].

إذن أعظم كرامة للإنسان هي أن يكون إنساناً مؤمناً بالله تعالى، وإلا حياته التي وهبها الله تعالى له لا تكون لها قيمة، وإن ألذَّ ما في الحياة هو الإيمان بالله تعالى، وهو الأساس في حلول الطمأنينة في القلب، والسكينة في النفوس، والفوز بمرضاة الله تعالى يوم القيامة، وإذا ما وقفنا على سير من وجدوا هذه اللذة تملَّكَنا العجب من حالهم، وغبطتهم على ذلك السرور، ولقد وصف الإمام الشافعي[٤] هذه اللذة بقوله:

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٥: ص٢٢٢-٢٢٣.

(٣) ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**. ج٦: ص٤٠٧.

(٤) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الإمام (صاحب المذهب)، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرشي، ثم المطلبي، الشافعي، المكي، ولد بغزة سنة خمسين ومئة،=

سهري لتنقيح العلوم ألذّ لي | من وصل غانية وطيب عناق
وصرير أقلامي على صفحاتها | أحلى من الدّوْكاء والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها | نقري لألقي الرمل عن أوراقي
وتمايلي طربا لحل عويصة | في الدرس أشهى من مدامة ساق
وأبيت سهران الدجى وتبيته | نوما وتبغي بعد ذاك لحاقي[1]

وفي ذلك قال أبو حامد الغزالي[2]: «اعلم أن سعادة كل شيء ولذته وراحته تكون بمقتضى طبعه، وطبع كل شيء ما خلق له؛ فلذة العين في الصور الحسنة، ولذة الأذن في الأصوات الطيبة، وكذلك سائر الجوارح بهذه الصفة، ولذة القلب خاصة بمعرفة الجوارح بهذه الصفة. ولذة القلب خاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى لأنه مخلوق لها"[3].

إنه نموذج للحياة الطيبة التي كان يعيشها العلماء، والأنس والسرور الذي كانوا عليه في حياتهم الدنيا، وهذا دليل على أن اللذة والسعادة الحقيقية لابن آدم هي معرفة الله سبحانه وتعالى.

=نشأ يتيماً في حجر أمه بمكة، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، و«الموطأ» وهو ابن عشر، وتفقه على مسلم بن خالد الزّنجي مفتي مكّة وأذن له في الإفتاء وعمره خمس عشرة سنة، من أشهر تصانيفه: «الأم» و«الأمالي الكبرى» و«الإملاء الصغير» و«مختصر البويطي» و«مختصر المزني» و«مختصر الرّبيع» و«الرسالة» و«السنن» وغير ذلك، حبب إليه الفقه، فساد أهل زمانه، توفي بمصر سنة أربع ومئتين، وله أربع وخمسون سنة، ينظر: الذهبي، **سير اعلام النبلاء**. ج١٠: ص٥ وما بعدها، ابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٣: ص١٩.

(١) الشافعي، محمد بن ادريس بن شافع الهاشمي القريشي المطلبي (ت٢٠٤هـ). **ديوان الامام الشافعي**. تحقيق عبد الرحمن المصطاوي. ط٣. بيروت: دار المعرفة، (١٤٢٦هـ=٢٠٠٥). ص٨٧-٨٨.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي النيسابوري الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ). **كيمياء السعادة**. نسخة (text): مكتبة مصطفى الإلكترونية. ص٩.

المبحث الرابع

التكريم بالحفظ والعناية

المطلب الأول: العناية الإلهية للإنسان

﴿... يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].

قال السعدي[(١)] أي: طوراً بعد طور، وأنتم في حالٍ لا يَدَ مخلوق تَمَسُّكُم، ولا عَيْنَ تنظر إليكم، وهو قد رباكم في ذلك المكان الضيق ﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ ظلمة البطن، ثم ظلمة الرحم، ثم ظلمة المشيمة، ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الذي خلق السماوات والأرض، وسخر الشمس والقمر، وخلقكم وخلق لكم الأنعام والنعم ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: المألوه المعبود، الذي رباكم ودبركم، فكما أنه الواحد في خلقه وتربيته لا شريك له في ذلك، فهو الواحد في ألوهيته، لا شريك له[(٢)].

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

أي: والله تعالى وحده هو الذى أخرجكم أيها الناس من بطون أمهاتكم إلى هذه الدنيا، وأنتم لا تعلمون شيئاً لا من العلم الدنيوي ولا من العلم الديني، ولا تعرفون ما يضركم أو ينفعكم، أنه سبحانه أخرجكم من بطون أمهاتكم بعد أن مكثتم فيها شهوراً تحت كلاءته ورعايته وأنتم لا تعرفون شيئاً، وركب فيكم بقدرته النافذة، وحكمته البالغة، «السمع» الذي تسمعون به، والبصر الذي بواسطته تبصرون، «والأفئدة» التي عن طريقها تعقلون وتفقهون، لعلكم بسبب كل هذه النعم التي أنعمها عليكم، تشكرونه حق الشكر، بأن تخلصوا له العبادة والطاعة، وتستعملوا نعمه في مواضعها التي وجدت من أجلها[(٣)].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٧١٩.

(٣) ينظر: طنطاوي، **التفسير الوسيط**. ج٨: ص٢٠٥.

وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١].

«أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حَرَس بالليل وحَرَس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحداً من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلاً حافظان وكاتبان»(١).

فالملائكة تعتقب في حفظ الإنسان وكلاءته والعناية به و﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ جمع معقبة من عقب مبالغة في عقبه، إذا جاء على عقبه واصله من العقب وهو مؤخر الرجل ثم تجوز به عن كون الفعل بغير فاصل ومهلة كأن أحدهم يطأ عقب الآخر(٢).

وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ يَأْتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ- كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»(٣).

المطلب الثاني: آراء العلماء في كيفية حفظ الله لعباده

سرد الماوردي(٤) في تفسيره وجهين في تأويل قوله تعالى: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٤: ص٤٣٧.

(٢) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**. ج٧: ص١٠٦.

(٣) **متفق عليه**، البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل العصر. ح (٥٣٠). ج١: ص٢٠٣. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب المساجد. باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما. ح (٦٣٢). ص٢٤٩.

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الإمام العلامة، أقضى القضاة، الماوردي، الشافعي، وكان من وجوه فقهاء الشافعية وصاحب التصانيف، حدث عن: الحسن بن علي الجبلي، صاحب أبي خليفة الجمحي وآخرين، حدث عنه أبو بكر الخطيب، ووثقه، وقال مات في=

أحدهما: يحفظونه من الموت ما لم يأت أجله قاله الضحاك، الثاني: يحفظونه من الجن والهوام المؤذية ما لم يأت قدر[1].

وورد عن كعب[2] قال: «لَوْلا أَنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِكُمْ مَلائِكَةً يَذُبُّونَ عَنْكُمْ فِي مَطْعَمِكُمْ وَمَشْرَبِكُمْ وَعَوْرَاتِكُمْ لَتَخَطَّفَتْكُمُ الْجِنُّ»[3].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]. ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ «أي: من الملائكة يحفظون بدن الإنسان من الآفات»[4].

=ربيع الأول سنة خمسين وأربع مائة، وقد بلغ ستا وثمانين سنة، وله مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير، وأصول الفقه والأدب، وكان حافظا للمذهب، مات ببغداد، وله تفسير القرآن سماه (النكت والعيون" و"أدب الدنيا والدين" و"لأحكام السلطانية" و"قانون الوزارة وسياسة الملك" وغيرها من المصنفات القيمة. ينظر: ابن الجوزي، **المنتظم**. ج١٦: ص٤١. والذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج١٨: ص٦٤ وما بعدها.

(١) الماوردي، **النكت والعيون**. ج٨: ص٩٨-٩٩.

(٢) هو كعب بن ماتع الحميري، اليماني، العلامة، الحبر، أبو إسحاق المعروف بكعب الأجلد، ويقال له: كعب الحبر أو كعب الاحبار، كان من أهل اليمن، أسلم في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكان حسن الإسلام، كان على دين اليهود فأسلم، وقدم المدينة، ثم خرج إلى الشام فسكن حمص، وكان يحدث عن قصص بني إسرائيل، ولذلك كان موضع النقد عند بعض العلماء، توفي بحمص سنة (٣٢هـ)، وقيل: (٣٤هـ) في خلافة عثمان (رضي الله عنه) وقد جاوز المائة، وقد أسند الحديث إلى عمرو، وصهيب، وعائشة. توفي كعب بحمص، ذاهباً للغزو، في أواخر خلافة عثمان (رضي الله عنه) فلقد كان من أوعية العلم. ينظر: ابن الجوزي. **المنتظم**. ج٥: ص٣٨، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج٣: ص٤٩١ وما بعدها، ابن العماد، **شذرات الذهب**. ج١: ص٢٠١.

(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٩: ص٢٩٢.

(٤) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٣: ص٢٦٧. والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٧: ص٦.

وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]. «أي: حفظة يحفظون عملك ورزقك وأجلك»[1].

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦].

قرأ ذلك حمزة والكسائي وخلف وأبو جعفر ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ «عباده» بالجمع بمعنى: أليس الله بكاف محمداً وأنبياءه من قبله ما خوّفتهم أممهم من أن تنالهم آلهتهم بسوء، وقرأها الآخرون ﴿بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ على التوحيد، بمعنى: أليس الله بكاف عبده محمدا، والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ومتواترتان في قراءة الأمصار[2].

وقال الفخر الرازي[3]: «وذكره بلفظ الاستفهام والمراد تقرير ذلك في النفوس والأمر كذلك، لأنه ثبت أنه عالم بجميع المعلومات قادر على كل الممكنات غني عن كل الحاجات فهو تعالى عالم حاجات العباد وقادر على دفعها وإبدالها بالخيرات والراحات، وهو ليس بخيلاً ولا محتاجاً حتى يمنعه بخله وحاجته عن إعطاء ذلك المراد، وإذا ثبت هذا كان الظاهر أنه سبحانه يدفع الآفات ويزيل البليات ويوصل إليه كل المرادات، فلهذا قال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ ولما ذكر الله المقدمة رتب عليها النتيجة المطلوبة فقال: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني لما ثبت أن الله كاف عبده كان التخويف بغير الله عبثاً وباطلاً»[4].

وقال السعدي[5]: «أي: أليس من كرمه وجوده، وعنايته بعبده، الذي قام بعبوديته، وامتثل أمره واجتنب نهيه، خصوصاً أكمل الخلق عبودية لربه، وهو محمد ﷺ،

---

(١) الطبري، **جامع البيان**. ج٢٤: ص٣٥٣.

(٢) ينظر: سالم، **فريدة الدهر**. ج٤: ص٢٨٥. والطبري، **جامع البيان**. ج٢١: ص٢٩٣. (بتصرف).

(٣) سبق ترجمته.

(٤) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٦: ص٤٥٤.

(٥) سبق ترجمته.

فإن الله تعالى سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه من ناوأه بسوء»[1].

قال تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

فهذه تقوية وتسلية لقلبه (ﷺ) وقلب المؤمنين وتفريج للمؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التأييد والإعزاز على أبلغ وجه لأنه تعالى إذا تكفل بالكفاية في أمر حصلت الثقة به للسين الدالة على تحقق الوقوع البتة، أو للتذييل الآتي حيث إن السين في المشهور لا تدل على أكثر من التنفيس عقب ذكر ما يؤدي إلى الجدال والقتال، والمراد سيكفيك كيدهم وشقاقهم[2].

وفي السُّنة جاء في الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه أمره أن يقول عند منامه: «**بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**»[3].

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) كنت خلف النبي (ﷺ) يوماً فقال: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتِ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ إِلاَّ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»[4].

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٧٢٤.

(٢) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١: ص٧٣. والآلوسي، **روح المعاني**. ج١: ص٣٩٤.

(٣) وهو من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ. البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الدعوات. باب التعوذ والقراءة عند النوم. ح (٥٩٦١). ج٥: ص٢٣٢٩. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الذكر والدعاء. باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع. ح (٢٧١٤). ص١٠٨٨. (واللفظ للبخاري).

(٤) الترمذي، **سنن الترمذي**. كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله (رضي الله عنه). باب (٥٩). ح (٢٥١٦). ص٥٦٦-٥٦٧. وابن حنبل، أحمد. **المسند**. ح (٢٧٦٣). ج١: ص٣٠٣. (قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح)

«فقوله (ﷺ): «**احفظ الله**» «يعني: احفظ حدودَه، وحقوقَه، وأوامرَه، ونواهيَه، وحفظُ ذلك: هو الوقوفُ عندَ أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتنابِ، وعندَ حدوده، فلا يتجاوزُ ما أمر به، وأذن فيه إلى ما نهى عنه، فمن فعل ذلك، فهو مِنَ الحافظين لحدود الله الذين مدحهمُ الله في كتابه، وقال (ﷻ): ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: ٣٢- ٣٣]، وفسر الحفيظ ها هنا بالحافظ لأوامرِ الله، وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها»[1].

وقوله (ﷺ) «**يحفظك**» يعني: أنَّ من حفظَ حدود الله، وراعى حقوقَه، حفظه الله، فإنَّ الجزاء من جنس العمل، وحِفْظُ الله لعبده يدخل فيه نوعان: أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، ومَنْ حفظ الله في صباه وقوَّته، حفظه الله في حال كبَره وضعفِ قوّته، ومتَّعه بسمعه وبصره وحولِه وقوَّته وعقله، وكذلك يحفظه في دنياه من غشيان الذنوب، وعن كل أمر مرهوب، ويحفظ ذريته من بعده، أما النوع الثاني من الحفظ وهو أشرف النوعين: حفظُ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المُضِلَّة، ومن الشهوات المحرَّمة، ويحفظ عليه دينَه عندَ موته، فيتوفَّاه على الإيمان[2].

ويظهر مما سبق أن من النعم العظيمة التي أنعمها الله على الإنسان هو الشعور بعناية الله تعالى وحفظه له من كل الشرور، حيث تنتج عن هذا الشعور: السكينة، والاطمئنان، والراحة النفسية، والابتعاد عن القلق والاضطراب النفسي، وثمرة ذلك العمل والانتاج

---

(١) ابن رجب الحنبلي، الإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي (٧٣٦-٧٩٥هـ). **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**. تحقيق ماهر ياسين الفحل. مؤسسة الاميرة العنود بنت عبد العزيز الخيرية. ص٤١٤.

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**، ص٤١٦-٤١٩. والصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد، عز الدين، المعروف بالأمير (ت١١٨٢هـ). **سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام**. دار الحديث، ج٢: ص٦٤٨.

والنشاط والتفاعل مع الحياة تفاعلاً إيجابياً، والاحساس بالتكامل التام بين جميع مخلوقات الله دون تعارض أو تصادم، أو الصراع من أجل البقاء، وفي ذلك تكمن منزلة الإنسان المؤمن، ويظهر الفرق الشاسع بينه وبين غيره.





وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: التكريم بالفطرة**

المطلب الأول: مفهوم الفطرة

المطلب الثاني: أهمية الفطرة

- **المبحث الثاني: التكريم بإنزال الكتب**

المطلب الأول: الحكمة من انزال الكتب

المطلب الثاني: فضل القرآن على الكتب السماوية الاخرى

- **المبحث الثالث: التكريم ببعث الانبياء والرسل**

المطلب الأول: الرسل هم حجة الله على الناس

المطلب الثاني: حاجة البشرية إلى الرسل

- **المبحث الرابع: التكريم بالشعائر التعبدية**

المطلب الأول: أهمية الشعائر التعبدية

المطلب الثاني: أهم الشعائر التعبدية

المبحث الأول

التكريم بالفطرة

المطلب الأول: مفهوم الفطرة

الفطرة الإنسانية السليمة هي من أصول الإسلام، وأنه مما كرم الله به النوع البشري منذ ظهوره في الأرض، فهي تسوية وعدالة ربانية بين بني البشر، وهذه التسوية أيضاً مظهر من مظاهر التكريم لآدم عليه السلام ولبنيه.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

و(الفطرة) عرفها العلماء بتعاريف عديدة منها:

ففي اللغة جاء تعريفها بالخَلِيقة والفِطْرة: «ما فَطَر اللهُ عليه الخَلْق من المَعْرِفة به»[(١)].

وعرّفها الجُرجاني[(٢)] في «تعريفاته» بـــ«الجبلة المُتهيِّئة لقبول الدين»[(٣)].

أما الراغب الاصفهاني[(٤)] فقد عرفها بأنها «هي ما ركز فيه من قوته على معرفة الإيمان وهو المشار إليه بقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧]»[(٥)].

وجاء في «المعجم الوسيط»: الفطرة بمعنى «الخلقة التي يكون عليها كل موجود أول خلقه، والطبيعة السليمة لم تشب بعيب وفي التنزيل العزيز: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾، والفطرة السليمة (في اصطلاح الفلاسفة) استعداد لإصابة الحكم

---

(١) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي. **المخصص-** تحقيق خليل إبراهيم جفال. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٤١٧هـ=١٩٩٦م). ج١: ص٢٣٢.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) الجرجاني، **التعريفات**. باب الفاء. ص١٥٤.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) الراغب، **المفردات في غريب القرآن**. كتاب الفاء. ص٣٨٢.

والتمييز بين الحق والباطل»[1].

والفخر الرازي[2] فسرها بأنها «فطرة الله هي التوحيد فإن الله فطر الناس عليه حيث أخذهم من ظهر آدم وسألهم، [الأعراف: ١٧٢]»[3].

ومن خلال التعاريف التي سبقت تبين التشابه الكبير بين التعاريف وكلها تشير إلى أن الإنسان مفطور على معرفة ربه، لكن ما ذهب إليه الراغب أدق من التعاريف الأخرى أي أن الله تعالى بفضله وكرمه على هذا الإنسان أودع فيه من القوة أي قوة المعرفة ما يعرف به ربه وركز فيه ما يعينه على معرفة إيمانه.

المطلب الثاني: أهمية الفطرة

وهذه الفطرة كما قال العلماء هي الإيمان المعهود الذي أخذ الله عليه الميثاق من بني آدم، وذلك لما ضَرَبَ صُلْبَ آدَمَ (عليه السلام) واستخرج منه كل ذريته، فأخذ عليهم الميثاق وهم في عالم الذر، وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فكل إنسان أخذ عليه هذا الميثاق، وقد يقول قائل: نحن الآن لا نذكر هذا الميثاق، فنقول: يكفي أن يخبرنا الوحي بوقوعه، فنؤمن بوقوعه كسائر أخبار الغيب التي أخبرنا الله عنها، فنصدقها وإن نسينا هذا الميثاق[4].

إذن الفطرة هي ظاهرة من مظاهر تكريم الله لابن آدم أنه خلقه على الفطرة السليمة التي تؤدي إلى عبادة الله وإخلاص الدين له، لأن «الفطرةُ ميزانٌ آخرُ متطابق مع الشرعِ الإلهي، وهو مركوزٌ في أصلِ كيانِ الإنسان ليكشفَ من خلالها خطأه»[5]، ففطر الله ابن آدم على توحيده وإخلاص دينه فعنده الاستعداد للحق إلا من شذ وعرض له عارض حال بينه وبين ذلك.

---

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط** - تحقيق مجمع اللغة العربية. دار الدعوة. ج٢: ص٦٩٤. (بتصرف)

(٢) سبق ترجمته.

(٣) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٥: ص ٩٨.

(٤) ينظر: http://www.lakii.com/vb/a-٦٧/a-٧٥٨٤٨٠ بتاريخ: ٢٠١٣/٣/٣١.

(٥) ينظر: http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=٦٣١١ بتاريخ ٢٠١٣/٣/٣١م.

ففي الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ:** ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾»(1). [الروم: ٣٠].

وأهم وأعظم مظاهر الفطرة وتجلياته هو التوحيد، وهو اعتقاد وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وفي أسمائه الحسنى وصفاته العلى وجميع حقوقه وخصائصه سبحانه وتعالى، فكل ذرة في الوجود دليل ناطق على هذه الحقيقة الأزلية، وكل الخلائق مهتدية إليها بهداية الله لها ولظهور تلك الأدلة والبراهين في الأنفس والآفاق وفي الحياة والأحياء، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ١- ٣].

ومن مظاهر الفطرة أيضاً وانعكاساتها في السلوك الإنساني اتباع شرع الله تعالى والتقيد بالمنهاج الرباني، وترك ما سواه من الطرق والمناهج الجاهلية والمحدثة، فقد شرع للناس أفضل الشرائع، وهداهم لأقوم السبل ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ولا شك أن الشريعة الإسلامية هي وحدها الكفيل بإصلاح الدين والدنيا، وإسعاد الإنسان في الآخرة والأولى، وذلك لما تنفرد بها من العقيدة الصحيحة والشعائر الجليلة والشرائع العادلة.

ومن مظاهرها أيضاً طهارة الظاهر والباطن، فإن مما فطر عليه الإنسان وجلب عليه الطهارة من النجاسات والنظافة من الأوساخ، وذلك في ظاهره وباطنه على السواء، حتى يبقى

---

(١) البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الجنائز. باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه. ح (١٢٩٢). ج١: ص٤٥٦. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب القدر. باب معنى كل مولود يولد على الفطرة. ح (٢٦٥٨). ص١٠٦٧. (واللفظ للبخاري).

على أصل النقاوة والطيب الذي يتميز به عن سائر الحيوانات الأليفة والمتوحشة، فلا يوجد من الأحياء من يعتني بمظهره ومخبره مثل الإنسان، وهذا من الفطرة التي فطره الله عليها[1].

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**الْفِطْرَةُ خَمْسٌ أو خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ الْخِتَانُ وَالاِسْتِحْدَادُ وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ وَنَتْفُ الإِبْطِ وَقَصُّ الشَّارِبِ**»[2].

قال الحافظ ابن حجر[3]: «ويتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع منها: تحسين الهيئة وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً والاحتياط للطهارتين، والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة، ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان»[4].

فيتبين من ذلك أن الفطرةُ هي ذلك الإحساس الروحي الذي يولد مع الإنسان، ويدفعه إلى توحيد الله تعالى، والإقرار بضعفه أمام عظمة الخالق (عز وجل) كما بينه النبي (ﷺ) في الحديث السابق، فإذاً أمرُ الفطرة هنا هو منحةٌ، وهبةٌ إلهيةٌ للناسِ جميعاً، قبل أن تتدخل عوامل أخرى في ضبطها وتنميتها، أو في كسرها وإفسادها، بحسب ما جاء في الحديث.

ويمكن القول بأنها قسمةٌ بالتساوِي بين بني البشر، بما هي إحساسٌ داخلي مرتبط بالجانب الاعتقادي، ومن هنا كان التكريم بالأصل الشعوري الإحساسي للإسلام، الذي هو الفطرة كما نُصَّ عليه في الحديث قبل[5].

فمن النعم العظيمة على الإنسان أن الله تعالى خلقه مفطوراً على الإيمان والتوحيد، وذلك تكريم وتفضيل، وليستقيم على هذه الفطرة، ويسير بها وفيها إلى الله (عز وجل).

---

(١) ينظر: http://www.lakii.com/vb/a-٦٧/a-٧٥٨٤٨٠ بتاريخ: ٢٠١٣/٣/٣١.

(٢) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب اللباس. باب قص الشارب. ح (٥٥٥٠). ج٥: ص٢٢٠٩. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الطهارة. باب خصال الفطرة. ح (٢٥٧). ص١٢٨.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) ابن حجر، **فتح الباري**. باب قص الشارب. ج١٠: ص٣٣٩.

(٥) ينظر: http://www.alukah.net/Culture/١٠٨٠/٤١٥٤٠ بتاريخ ٢٠١٣/٣/٣٠م.

المبحث الثاني

التكريم بإنزال الكتب

المطلب الأول: الحكمة من انزال الكتب

إن الله عز وجل نظم الكون بسننه، وسيَّره بقدرته، فالنبات له سنن، والمياه لها سنن، والجبال لها سنن، وقد أكرم الله الإنسان حين أنزل عليه كتاباً يسير على هديه، ويعرِّفه بخالقه ورازقه وما يجب له، فإنّ عقل الإنسان قاصر محدود، لا يدرك تفاصيل المنافع والمضار، وتغلب عليه الشهوات، وتلعب به الأهواء، ولا يعلم ما في الغيب، ولا ما بعد الموت، ولا ما في اليوم الآخر.

ولو وكلت البشرية إلى عقولها القاصرة لضلت وتناحرت وهلكت، ولكن الله برحمته أرسل الرسل بالكتب لبيان ذلك كله. قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ**﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ومن هذه الحِكم:

۞ أولاً: إخراج الناس من الظلمات إلى النور:

قال تعالى: ﴿**الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ**﴾ [إبراهيم: ١].

إنما شبه الكفر بالظلمات لأنه نهاية ما يتحير الرجل فيه عن طريق الهداية، وشبه الإيمان بالنور لأنه نهاية ما ينجلي به طريق هدايته، والمعنى أي أنزلنا الكتاب إليك يا محمد لتخرجهم من ظلمات الكفر والجهل والضلالة إلى نور الإيمان والعلم والهداية، فجعل الكفر بمترلة الظلمات، والإيمان بمترلة النور على طريق الاستعارة، إلى صراط العزيز الحميد، وهو طريقة الله الواضحة التي شرعها لعباده، وأمرهم بالمصير إليها والدخول فيها(١).

---

(١) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١٩: ص٥٧. والشوكاني، **فتح القدير**. ج٣: ص١١١.

۞ **ثانياً: تحقيق العدالة بين الناس:**

ويقول الله تعالى مبيناً لأهم الحِكَم للكتب المنزلة وأعظمها والتي هي العدالة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

قال الطبري[١]: «الميزان: ما يعمل الناس ويتعاطون عليه في الدنيا من معايشهم التي يأخذون ويعطون، يأخذون بميزان، ويعطون بميزان، يعرف ما يأخذ وما يعطي. والكتاب فيه دين الناس الذي يعملون ويتركون، فالكتاب للآخرة، والميزان للدنيا، ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي ليعمل الناس بينهم بالعدل»[٢].

۞ **ثالثاً: التدبر والتفكر:**

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

أي ليتدبَّروا حُجَج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به، وليتفكروا في آياته، التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن أسرار التكوين والتشريع، فيعرفوا ما في ظاهرها من المعاني الفائقة، والتأويلات اللائقة، واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة القراء: ﴿لِيَدَّبَّرُوا﴾ بالياء، يعني: ليتدبر هذا القرآن من أرسلناك إليه من قومك يا محمد، وقرئ «لتدبروا آياته» بالتاء، على الخطاب، بمعنى: لتتدبره أنت وعلماء أمتك، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وليتّعِظ به ذوو العقول الصافية، السليمة من الهوى، فيقفوا على ما فيه، ويعملوا به، فإنَّ الكتب الإلهية ما نزلت إلا ليُتدبر ما فيها، ويُعمَل به[٣].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الطبري، **جامع البيان**. ج٢٣: ص٢٠٠-٢٠١.

(٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج٢١: ص١٩٠. وابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٤: ص٥٠٢. وابن عجيبة، **البحر المديد**. ج٥: ص٢٣.

۞ رابعاً: التماس البركة والرحمة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤-١٥٥].

أي: آتيناه الكتاب الذي أنزلناه إليه تماماً كاملاً جامعاً لجميع ما يحتاج إليه في شريعته، وقوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ أي: جزاء على إحسانه في العمل، وقيامه بأوامرنا وطاعتنا ﴿وَهَٰذَا﴾ الذي تليت عليكم أوامره ونواهيه أي القرآن ﴿كِتَٰبٌ﴾ عظيم الشأن لا يقادر قدره ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ بواسطة الروح الأمين مشتملاً على فوائد الفنون الدينية والدنيوية، ﴿مُبَارَكٌ﴾ أي كثير الخير ديناً ودنيا، ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن عظم شأن الكتاب في نفسه وصفته موجب لاتباعه، أي فاعملوا بما فيه أو امتثلوا أوامره ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ مخالفته أو نواهيه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي لترحموا جزاء ذلك[1].

فالكتب السماوية هي حاجة البشرية لأنه لكل إنسان رسالة في حياته تجاه خالقه عز وجل ثم تجاه نفسه ومجتمعه والإنسانية قاطبة، فمن الذي يرسم له الطريق ويحدد الغايات والأهداف؟ ولا ينهض المجتمع إلا على قوانين عادلة تنظم سيره؛ وتكفل العدالة والطمأنينة لأفراده، فمن الذي ينهض بهذا العبء الثقيل في أمان من الخطأ والانحراف؟ وبين الدول صلات وعلاقات تحتاج إلى قواعد ثابتة؛ تحقق العدالة؛ وتدفع الظلم والعدوان؛ وتنشر لواء الحق والسلام على المجتمع الدولي فمن الذي يرسي هذه الدعائم ويسن القواعد؟ وواضح أن العقل البشري يعجز عن إدراك كثير من أسرار الكون والحياة فيما هو مشاهد، ومن ثم فهو عن إدراك ما غاب عنه اعجز، فلا علم له بما يضمره المستقبل، ولا قدرة له بذاته على الإحاطة بشؤون الدنيا والآخرة، ليتسنى له أن يضع التشريع الحكيم الذي يكفل استقامة الفرد والمجتمع ومن هذا تتبين حاجة البشرية إلى الكتب السماوية[2].

---

(١) ينظر: ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج٣: ص٣٦٨. والآلوسي، **روح المعاني**. ج٤: ص٣٠٣.

(٢) ينظر: http://www.lakii.com/vb/a-٦/a-٧٦١٦٠٢ بتاريخ ٢٠١٣/٣/٣١.

ومن هذه الكتب ما سماه الله في القرآن، ومنها ما لم يسم، والذي أخبرنا به عز وجل منها:

١- الصحف التي انزلها الله (عَزَّ وَجَلَّ) على ابراهيم وموسى (عليهما السلام)، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨-١٩].

٢- التوراة التي أنزلها الله (عَزَّ وَجَلَّ) على موسى (عليه السلام)، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢].

٣- الزبور الذي أنزله الله (عَزَّ وَجَلَّ) على داود (عليه السلام)، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

٤- الإنجيل الذي أنزله الله (عَزَّ وَجَلَّ) على عيسى (عليه السلام)، ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

٥- القرآن الكريم الذي أنزله الله (عَزَّ وَجَلَّ) على خاتم الأنبياء والرسل محمد (صلى الله عليه وسلم)، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

المطلب الثاني: فضل القرآن على الكتب السماوية الاخرى

والإيمان بالكتب هو التصديق الجازم بأن الله تعالى أنزل كتباً على أنبيائه ورسله هداية لعباده، وأنها من كلام الله حقيقة، وأن ما تضمنته حق لا ريب فيه، كما يجب أن نؤمن بأن هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى، وتوحيد الله سبحانه، في ربوبيته والوهيته وأسمائه وصفاته، وإن ما نسب اليها مما يخالف ذلك إنما هو من تحريف البشر وصنعهم، فالكتب التي سبقت القرآن قد اختلط فيها كلام الله بكلام الناس من تفسير وتاريخ وسير الانبياء واستنباطات الفقهاء، فلا يعرف فيها كلام الله من كلام البشر، أما

القرآن الكريم فهو جميعه كلام الله و لم يختلط به غيره، ويمكن القول بأنه لا يوجد اليوم على ظهر الارض كتاب تصلح نسبته إلى الخالق تبارك وتعالى سوى القرآن الكريم[1].

فعن التحريف والتغيير الذي أدخله اليهود على التوراة قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ أي التوراة التي أنزلها عليهم، يحرفونها، يجعلون الحلال فيها حراماً، والحرام فيها حلالاً والحق فيها باطلاً والباطل فيها حقاً، كما حرفوا صفة رسول الله (ﷺ) وآية الرجم، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون مفترون، وهذا التحريف ثابت عندهم، منصوص في التوراة والتاريخ الديني الذي يسمى التاريخ المقدس[2].

أما عن التحريف الذي أدخله النصارى على الإنجيل، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

فقوله (ﷻ) ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ المراد به أهل الكتابين التوراة والإنجيل، لكن ذكر الكتاب، وهو اسم الجنس، فينصرف إلى الفريقين يعني اليهود والنصارى،

---

(١) ينظر: الكيرانوي الهندي، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الحنفي (ت١٣٠٨هـ). **إظهار الحق**. تحقيق محمد أحمد ملكاوي. ط١. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (١٤١٠هـ=١٩٨٩م). ج١: ص١٦٨ وما بعدها. وياسين، محمد نعيم. **الإيمان؛ أركانه حقيقته نواقضه**. ط١. عمان: دار الفرقان، (١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م). ص٦٧.

(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج٢: ص٢٤٦. والسمعاني، **تفسير القرآن**. ج١: ص٩٧. ورشيد رضا، محمد. **تفسير المنار**. ط٢. القاهرة: دار المنار، (١٣٦٦هـ=١٩٤٧م). ج١: ص٢٩٥. والكيرانوي الهندي. **إظهار الحق**. ج١: ص١١٢.

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد (ﷺ) ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كصفته (ﷺ) وآية الرجم التي في التوراة، وكبشارة عيسى بأحمد (ﷺ) التي في الإنجيل، وكذلك تأويل الألفاظ إلى معاني تناسب أهوائهم، وتحريفها بالتبديل والزيادات والنقصان، فكل هذا ثابت في كتبهم، ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍۚ﴾ مما تخفونه وتحرفونه، فلم يخبر به، و لم يفضحكم، حيث لم يؤمر به، أو عن كثير منكم، فلا يؤاخذه بجرمه وسوء أدبه معه، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ قيل: هو الإسلام، وسمي نور لأنه يهتدى به كما يهتدي بالنور، وقيل هو محمد (ﷺ)، وسمي نوراً لأنه يتبين به الأشياء، كما يتبين بالنور، ﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ هو القرآن الكريم[1].

وأما القرآن الكريم فهو كتاب الله وشرعه ومنهجه للبشرية إلى يوم القيامة، فيجب الإيمان به والعمل بمقتضاه. كما ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨]، وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

ومن مظاهر التكريم وفضل القرآن على سائر الكتب هو كفالة الله بحفظه، فسلم من التحريف والتبديل، ومن الزيادة والنقصان كما ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. ولا يقبل الله العمل بغيره بعد نزوله، لأنه ناسخ لما قبله من الشرائع، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بيَده لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هٰذه الأُمَّة يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[2].

---

(١) ينظر: **المصدر نفسه**، ج٢: ص٤٢٧. والسمعاني، **تفسير القرآن**. ج٢: ص٢٣. وابن عجيبة، **البحر المديد**. ج٢: ص٢٠.

(٢) سبق تخريجه.

فهو أعظم الكتب الإلهية، وأفضلها، وأحسنها، وأكملها، أنزله الله على خاتم رسله، وأفضلهم محمد (ﷺ)، وجعله تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة للعالمين، كما قال سبحانه: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

فالقرآن العظيم أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة وهو جبريل (عليه السلام)، على أفضل الخلق وهو محمد (ﷺ)، على أفضل أمة أخرجت للناس وهي هذه الأمة (أمة الإسلام)، بأفضل الألسنة وأفصحها وهو اللسان العربي المبين، بأفضل شريعة وأكملها وهي ما فيه من الأحكام والسنن والفضائل والآداب، فرحمة الله تعالى بعباده اقتضت أن يرسل إليهم من أنفسهم رسلاً يبلغونهم رسالات الله ويبينون لهم طريق الرشاد بالعقيدة الصحيحة، وبتطبيق شريعة الله التي نزلت بها الكتب السماوية لتهدي إلى الخير وتقيم العدل بين الناس، وتفرق بين الحق والباطل، حينما تختلف الأهواء وتحيد النفوس عن الفطرة السليمة، فما أعظمها من كرامة وتشريف للإنسان والذي حظي بها من لدن خالقه سبحانه وتعالى.



المبحث الثالث

التكريم ببعث الأنبياء والرسل

المطلب الأول: الرسل هم حجة الله على الناس

الأنبياء هم رسل الله تعالى إلى عباده يبلغونهم أوامره، ويبشرونهم بما أعد الله لهم من النعيم إن هم أطاعوا أوامره، ويحذرونهم من العذاب المقيم إن هم خالفوا نهيه، ويقصون عليهم أخبار الأمم الماضية وما حل بها من العذاب والنكال في الدنيا بسبب مخالفتها أمر ربها، لكي لا يكون للناس حجة بعد الرسل.

قال تعالى: ﴿ **رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء: ١٦٥].

فإن الله سبحانه أراد أن يُبين الحق للناس، وأن لا يكون لأحد عذر أن لا يبلغه الحق والدين؛ ولذلك أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وورد عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**وَلا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ اللَّهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ**»(1).

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [فاطر: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ [المائدة: ٦٧].

---

(١) وهو من حديث الْمُغِيرَةِ قَالَ قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لَوْ رَأَيْتُ رَجُلاً مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ وَاللَّهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ اللَّهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ وَلا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنْ اللَّهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ». **متفق عليه**. البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب التوحيد. باب قول النبي (ﷺ) «لا شخص أغير من الله». ح (٦٩٨٠). ج٦: ص٢٦٩٨. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب اللعان. باب وجوب الاحداد في عدة. ح (١٤٩٩). ص٦٠٧.

وهذه الأوامر والنواهي الإلهية لا يمكن أن تستقل العقول بمعرفتها؛ ولذلك شرع الله الشرائع، وفرض الأوامر والنواهي، تكريماً لبني الإنسان وتشريفاً لهم وحفظاً لمصالحهم، لأن الناس قد ينساقون وراء شهواتهم فينتهكون المحرمات ويتطاولون على الناس فيسلبونهم حقوقهم، فكان من الحكمة البالغة أن يبعث الله فيهم بين آونة وأخرى رسلاً يذكرونهم أوامر الله، ويحذرونهم من الوقوع في معصيته، ويتلون عليهم المواعظ، ويذكرون لهم أخبار السابقين، فإن الأخبار العجيبة إذا طرقت الأسماع، والمعاني الغريبة إذا أيقظت الأذهان، استمدتها العقول فزاد علمها، وصح فهمها، وأكثر الناس سماعاً أكثرهم خواطر، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكراً، وأكثرهم تفكراً أكثرهم علماً، وأكثرهم علماً أكثرهم عملاً، فلم يوجد عن بعثة الرسل معدل ولا منهم في انتظام الحق بدل[1].

وقال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ...﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال ابن القيم[2]: والشرائع كلها في أصولها وإن تباينت متفقة مركوز حسنها في

---

(١) ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ). **أعلام النبوة**. ط١. بيروت: دار ومكتبة الهلال، (١٤٠٩هـ). ص٣٥. والسحيم، محمد بن عبد الله بن صالح. **الإسلام أصوله ومبادؤه**. ط١. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. (١٤٢١هـ). ص١١٠.

(٢) هو العلامة شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن حريز الزّرعي ثم الدمشقي، المتكلم، الشهير بابن قيم الجوزية، قال ابن رجب: شيخنا ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة، وسمع من الشّهاب النّابلسي وغيره، وتفقه في المذهب، وبرع، وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدّين ابن تيمية وأخذ عنه وتفنّن في علوم الإسلام، مات في ثالث شهر رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة وصنّف تصانيف كثيرة جدا في أنواع العلوم، فمن أهم تصانيفه "مراحل السائرين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين" و"زاد المعاد في هدي خير العباد" و"أعلام الموقعين عن ربّ العالمين" و"إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان" وغيرها. ينظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٨: ص٢٨٧ وما بعدها، والشوكاني، **البدر الطالع**. ج٢: ص١٤٣ وما بعدها.

العقول، ولو وقعت على غير ما هي عليه لخرجت عَن الحكمة والمصلحة والرحمة بل من المحال أَن تأتي بخلاف مَا أَتت به: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]، وكيف يجوز ذو العقل أَن ترد شريعة أحكم الحاكمين بضد ما وردت به، فدعوة جميع الأنبياء والمرسلين في الأصول الجامعة، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وكالأمر بعبادته وحده لا شريك له، واتباع صراطه وعدم اتباع السبل المخالفة، وتحريم الأجناس الأربعة وهي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم، والبغي بغير الحق، والإشراك بالله وعبادة الأوثان والأصنام، وتنزيهه عن الصاحبة والولد والشريك والنظير والمثيل، وأن يقال عليه غير الحق، وتحريم قتل الأولاد، وتحريم قتل النفس بغير حق، والنهي عن الربا وعن أكل مال اليتيم، والأمر بالوفاء بالعهود وبالكيل والميزان، وبر الوالدين، والعدل بين الناس، والصدق في القول والعمل، والنهى عن التبذير والكبر، وأكل أموال الناس بالباطل...»[1].

قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١- ١٥٣].

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ). **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**. بيروت: دار الكتب العلمية. ج٢: ص٢. والسحيم، **الإسلام أصوله ومبادؤه**. ص١٢٥.

المطلب الثاني: حاجة البشرية إلى الرسل

وعن ضرورة الرسالة وحاجة العباد اليها قال ابن تيمية[1]: «والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة، فالإنسان مضطر إلى الشرع لأنه بين حركتين: حركة يجلب بها ما ينفعه، وحركة يدفع بها ما يضره، والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، فهو نور الله في أرضه، وعدله بين عباده، وحصنه الذي من دخله كان آمناً»[2].

وقال أيضاً: «ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل المنافع والمضار في المعاش، فمن أعظم نعم الله على عباده، وأشرف مننه عليهم أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبين لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمترلة الأنعام وأشر حالاً منها، فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية»[3].

وجاء في الصحيحين عن أبي موسى (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ. وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَانْتَفَعُوا وَزَرَعُوا. وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**»[4].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ). **مجموع الفتاوى**. تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المملكة العربية السعودية - المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (١٤١٦هـ=١٩٩٥م). ج١٩: ص٩٩.

(٣) ينظر: **المصدر نفسه**. ج١٩: ص١٠٠.

(٤) البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب العلم. باب فضل من عَلِم وعلّم. ح (٧٩). ج١: ص٤٢. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الفضائل. باب بيان مثل ما بعث به النبي (صلى الله عليه وسلم) من الهدى والعلم. ح (٢٢٨٢). ص٩٣٨. (واللفظ للبخاري).

والإيمان بأنبياء الله ورسله أحد أركان الإيمان الستة، فيجب علينا الإيمان بجميع الأنبياء والرسل وتصديقهم، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعاً، ويجب علينا تصديق ما صح عنهم من أخبار، ومحبتهم، والثناء عليهم من غير إطراء، وتوقيرهم، والصلاة والسلام عليهم عند ذكرهم، والاقتداء بهم في كمال التوحيد وصدق الإيمان وحسن الخلق والدعوة إلى الله، والعمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم، وهو سيدهم وخاتمهم الذي أرسله الله إلى الناس كافة محمد (ﷺ)، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

فالواجب الإيمان برسل الله صلوات الله عليهم عامة اعتقاداً وإقراراً إلا أن الإيمان بمن عدا نبينا (ﷺ) هو الإيمان بأنهم كانوا مرسلين إلى الذين ذكروا لهم أنهم رسل الله إليهم وكانوا في ذلك صادقين محقين والإيمان بالمصطفى نبينا (ﷺ) هو التصديق بأنه نبيه ورسوله إلى الذين بعث فيهم وإلى من بعدهم من الجن والإنس إلى قيام الساعة قال الله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ فقرن الإيمان برسوله الإيمان به، والإيمان برسول الله (ﷺ) يتضمن الإيمان له وهو قبول ما جاء به من عند الله عنه والعزم على العمل به لأن تصديقه في أنه رسول الله إلزام لطاعته وهو راجع إلى الإيمان بالله والإيمان له لأنه من تصديق الرسل وفي طاعة الرسول طاعة المرسل لأنه بأمره أطاعه، ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠][1].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٣- ١٦٤].

---

(١) ينظر: البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ). **شعب الإيمان**. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٠هـ). ج١: ص١٤٥-١٤٩. والتويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، **موسوعة الفقه الإسلامي**. ط١. بيت الافكار الدولية، (١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م). ج١: ص١٨٣ وما بعدها.

قال ابن عاشور[1]: «وإنما ذكر الله تعالى هنا الأنبياء الذين اشتهروا عند بني إسرائيل لأن المقصود محاجتهم، وإنما ترك الله أن يقص على النبي (ﷺ) أسماء كثير من الرسل للاكتفاء بمن قصّهم عليه، لأن المذكورين هم أعظم الرسل والأنبياء قصصاً ذات عِبَر»[2].

وقد تبين مما سبق أن الله تعالى بين في القرآن العظيم أن حكمة إرسال الرسل إلى البشر هي من أجل غاية عظيمة اجتمعت عليها جميع أهداف ومقاصد جميع الرسالات السماوية ألا وهي هداية الناس إلى التعريف بالله وأسمائه وصفاته وبيان الطريق الموصل إليه وبيان ما للناس بعد الموت، كلما انحرفوا عن عبادة خالقهم وانصرفوا لعبادة الأوثان والمخلوقات وضلوا عن طريق الحق والصواب، وفي ذلك أعظم تكريم للإنسان وتشريفاً له كي لا يضل ولا يشقى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].



(١) سبق ترجمته.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٦: ص٣٥.

المبحث الرابع

التكريم بالشعائر التعبدية

المطلب الأول: أهمية الشعائر التعبدية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ٢].

وفي تفسير ﴿شَعَٰٓئِرَ﴾ قال الفخر الرازي[١] في تفسيره: أَنَّ الشَّعَائِرَ جَمْعٌ، وَالأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهَا جَمْعُ شَعِيرَةٍ، وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِشَعَائِرِ اللَّه، وَفِيهِ قَوْلَانِ: الأول: قَوْلُهُ ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ أَيْ لا تُخلُّوا بِشَيْءٍ مِنْ شَعَائِرِ اللَّه وَفَرَائِضه الَّتِي حَدَّهَا لِعِبَاده وَأَوْجَبَهَا عَلَيْهِمْ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَشَعَائِرُ اللَّه عَامٌّ فِي جَمِيعِ تَكَالِيفه غَيْرُ مَخْصُوصٍ بِشَيْءٍ مُعَيَّنٍ، وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُ الْحَسَنِ: شَعَائِرُ اللَّه دِينُ اللَّه. وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ شَيْءٌ خَاصٌّ مِنَ التَّكَالِيفِ[٢].

أما العبادة فهي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة[٣].

أو: «هو فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيما لربه»[٤].

فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، وإرضاء بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك، هي من العبادات لله[٥].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١١: ص٢٨٠. (بتصرف)

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. **العبودية**. تحقيق محمد زينهم محمد عزب. دار القلم للتراث، ص٩.

(٤) الجرجاني، **كتاب التعريفات**، باب "العين"، ص١٣٥.

(٥) ينظر: ابن تيمية، **العبودية**، ص٩.

وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة لله والمرضية له، التي خلق لها كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

«والنظام العبادي في الإسلام يقوم بدوره كاملا في تطهير النفس من أدران الفساد، ويحارب نوازع الانحراف والهوى فيها، ولا يحاول قتل الفطرة الإنسانية، بل يهذبها ويصقلها من أجل أداء دور متوازن في تحقيق خلافة الله في الأرض، وهو بذلك يحرِّم الرهبانية والعيش خارج حركة الزمن، وهدف الإسلام في هذا المجال خلق إنسان رباني يعبد الله ولا يعبد سواه من مظاهر الحياة المادية»(١).

قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فإذا استعرضنا الصلاة والصوم من صور العبادة التي جاء بها الإسلام، أدركنا أنهما عبادتان لتنمية شخصية الفرد، لتقوية إرادته واستطاعته على المقاومة والمغالبة، فالصلاة: هي مناجاة لله وحده خمس مرات في اليوم، في واقع أمرها تفريغ القلب من زخرف الدنيا وزينتها، لأن لقاء المصلي بالله جل جلاله فيها لا تعدله متعة من متع هذه الدنيا(٢).

والصوم: هو حرمان البطن والفرج في الدرجة الأولى حرماناً تاماً في فترة معينة، وهو العبادة المباشرة لتنمية الاختيار والإرادة وقوة المغالبة والمقاومة، فإذا صام الإنسان شهر رمضان من كل عام، انتصر في مقاومته ومغالبته وانتصرت معه الإرادة على شهوة البطن والفرج وانتصر العزم والتصميم على التردد والضعف والتبعية، وإذا استعرضنا بعد ذلك عبادتي الزكاة والحج نجدهما تطبيقاً عملياً لروح الجماعة التي أيقظتها صلاة الجماعة في الأوقات الخمس كل يوم وفي الجمعة كل أسبوع، وفي العيدين كل عام، كلتاهما ينطوي على هذه الروح وكلتاهما يزيد في قوتها وتأكيدها بالسعي والعمل(٣).

---

(١) عبد الحميد، محسن. **الفكر الإسلامي: تجديده وتقويمه**، ط١. العراق - الرمادي: مكتبة دار الانبار، (١٤٠٨هـ=١٩٨٧م). ص٥٧.

(٢) ينظر: البهي، محمد. **الإسلام كنظام للحياة**، ط٢. القاهرة: دار التضامن، (١٩٨٢م). ص١٤.

(٣) ينظر: البهي، **الإسلام كنظام للحياة**. ص١٤-١٥.

ومن ثمار العبادة يمكن أن يصل الإنسان بها إلى مرتبة عظيمة، وهي مرتبة الولاية، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

و«الأولياء» جمع «ولي»، وهو النصير، وأنَّ صفاتهم الخوف من الله، والإقبال على ما يرضاه، والإعراض عن كلِّ ما سواه، ومن كان بالصفة التي وصفه الله بها، وهو الذي آمن واتقى، وذكر الماوردي[١] في تأويل الولي خمسة أقاويل: أحدها: أنهم أهل ولايته والمستحقون لكرامته، والثاني: هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾، والثالث: هم الراضون بالقضاء، والصابرون على البلاء، والشاكرون على النعماء، والرابع: هم من توالت أفعالهم على موافقة الحق، والخامس: هم المتحابون في الله تعالى[٢].

فهؤلاء لهم كرامة خاصة كما أثبتها العلماء، حيث صنفوا فيها كتباً، واستدلوا بآيات من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وسيرة الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، فقد اثبتوا لهم الكرامة وإظهار الآيات فيهم[٣].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ينظر الطبري، **جامع البيان**. ج١٥: ص١١٨. والماوردي، **النكت والعيون**. ج٢: ص٢٤٠- ٢٤١.

(٣) قال اللالكائي: دل كتاب الله عز وجل وما روي عن النبي (ﷺ) والصحابة رضي الله عنهم والتابعين من بعدهم والخالفين لهم رحمة الله عليهم على كرامة أولياء الله تعالى، وإظهار الآيات فيهم ليزداد المؤمنون إيمانا والمرتابون بها خسارا، حيث أثبت الكرامة للأولياء في بعض القصص القرآنية كقصة مريم، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ [النمل: ٤٠]، وكذلك ما ورد عن النبي (ﷺ) من أخبار الامم السالفة، وأثبتها ايضاً لكثير من الصحابة والتابعين، فقد خصص الجزء التاسع من كتابه "شرح اصول الاعتقاد" لكرامات الأولياء. ينظر: اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي (ت ٤١٨هـ). **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**. تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان=

«والكرامة هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً، وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة»[١].

ومن ذلك قوله تعالى في قصة مريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، حيث وجد عندها الفاكهة الغضة حين لا توجد الفاكهة عند أحد، أو فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء[٢].

وقال الفخر الرازي[٣]: «احتج أصحابنا على صحة القول بكرامة الأولياء بهذه الآية، واستدل بحصول ذلك الرزق عندها وأنه خارقاً للعادة، لأنه كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، وفي ذلك روايات متواترة، واستدل أيضاً بقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨] على أنه كان آيساً من الولد بسبب شيخوخته وشيخوخة زوجته، فلما رأى انخراق العادة في حق مريم طمع في حصول الولد، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، ولولا أنه ظهر عليهما من الخوارق، وإلا لم يصح ذلك، فهذا هو وجه الاستدلال بهذه الآية على وقوع كرامات الأولياء[٤].

=الغامدي. ط٨. السعودية: دار طيبة، (١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م).ج٩: ص٧٢. والغزنوي، **أصول الدين**. ص١٦٢ وما بعدها. والصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف بالأمير (ت١١٨٢هـ). **الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف**. تحقيق عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. ط١. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، (١٤٢١هـ). ص٥٠ وما بعدها.

(١) الجرجاني، **التعريفات**. ص١٨٤.

(٢) ينظر: اللالكائي، **شرح أصول الاعتقاد**. ج٩: ص٧٢.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) ينظر: الفخر الرازي. **التفسير الكبير**. ج٨: ص٢٠٧.

المطلب الثاني: أهم الشعائر التعبدية

۞ أولاً: الصلاة:

الصلاة عبادة مشتركة بين الديانات، وهي لون من ألوان الابتهال إلى الله، وكلمة الصلاة لم يستحدثها الإسلام، بل استعملها العرب قبل الإسلام بمعنى الدعاء والاستغفار، وهي مشتقة من الصلة لأنها تصل الإنسان بخالقه وتقربه من رحمة ربه، وهي أقوال وأفعال يُقصدُ بها تعظيم الله مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣].

فهي عبادة مفروضة، وضرورة نفسية، ولا ريب أن النوع الإنساني يحتاج لأجل أن يحيا حياة طيبة، إلى عامل أدبي يحد من نزعته الوحشية ويصده عن الانقياد لطبيعته الحيوانية، فالصلاة هي التي تدفعه للتجرد من الأحوال البهيمية، والتخلق بالأخلاق الإلهية في أرفع ما يتخيله العقل من نزاهة وسمو خلقي، فلإنسان إذا لم تتصل روحه بمبدعها، ظهرت عليه عوارض القلق والاكتئاب بسبب ما يلاقيه من مصائب وخيبة أمل، فيحاول التغلب على ما يعانيه من قلق بتعاطي المخدرات، وشرب الخمر، وما المقامرة وركوب الشطط في إشباع الدافع الجنسي إلا محاولة هروبية مما يعانيه صاحبها من آلام نفسية[(١)].

فالصلاة هي عقد الصلة بين العبد وربه، بما فيها من لذة المناجاة للخالق، وإظهار العبودية لله، وتفويض الأمر له، والتماس الأمن والسكينة والنجاة في رحابه، وهي طريق الفوز والفلاح، وتكفير السيئات والخطايا، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١- ٢].

وفيها التقرب إلى الله ومعراج النفس إلى ربها، وتقوية النفس والإرادة والاعتزاز بالله دون غيره، وفيها راحة نفسية كبيرة، وطمأنينة روحية[(٢)].

---

(١) ينظر: طبّارة، عفيف عبد الفتاح، **روح الصلاة في الإسلام**. ط١٢. بيروت: دار العلم للملايين، (١٩٨١م). ص٢٣-٢٩.

(٢) ينظر: الزحيلي، وهبة. **الفقه الإسلامي وأدلته**، ط١٢. دمشق: دار الفكر، ج١: ص٥٧٤- ٥٧٥.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

«وإقامتها قطع لدابر الكبر والتمرد على الله واعتراف لله بالربوبية والتدبير فإقامتها على كمالها، وتمامها قطع لدابر العجب والغرور، بل قطع لدابر المنكر كله والفحشاء كلها»[١].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

۞ ثانياً: الزكاة:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ويقول سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الأنفال: ٣].

ويقول سبحانه: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ويقول سبحانه: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦].

«فالزكاة بهذا المعنى طُهرة أي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك، وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله، وما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق، وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله»[٢].

---

(١) حوى، سعيد. **المستخلص في تزكية الأنفس**. ط١٢. القاهرة: دار السلام، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م). ص٣٣.

(٢) الغزالي، الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. **إحياء علوم الدين**. بيروت: دار المعرفة، ج١: ص٢١٤.

۞ ثالثاً: الصيام:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

«يخبر تعالى بما منَّ به على عباده، بأنه فرض عليهم الصيام، كما فرضه على الأمم السابقة، لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان، وفيه تنشيط لهذه الأمة، بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال، والمسارعة إلى صالح الخصال، ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه، ومما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه، ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي»[١].

وهكذا تبرز الغاية الكبيرة من الصوم، إنها التقوى، فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب، وهي تؤدي هذه الفريضة، طاعة لله، وإيثاراً لرضاه، والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية، ولو تلك التي تهجس في البال، والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله، ووزنها في ميزانه، فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم، وهذا الصوم أداة من أدواتها وطريق موصل إليها[٢].

۞ رابعاً: الحج:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٨٦.

(٢) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**. ج١: ص١٦٨.

«فالحج تعويد للنفس على معان، من استسلام وتسليم، ومن بذل الجهد والمال في سبيل الله، ومن تعاون وتعارف، ومن قيام بشعائر العبودية، وكل ذلك له آثاره في تزكية النفس»[(١)].

فهذه من أهم مظاهر الشعائر التعبدية التي كُلِف بها الإنسان، وإنها في الأصل تشريف، وقربة، وتكريم، وفضل، ومنة الله تعالى على عباده، إذ أكرمهم بهذه العبادات لتزكية أنفسهم وترقيتها إلى أعلى الدرجات، فهذه العبادات أساس لبناء الإنسان بناءً سليماً، بناء الكيان الإنساني، البناء النفسي، والبناء الروحي، فالإنسان الذي يبني ذاته يستطيع أن يبني حضارته، حضارة الروح والقيم الروحية أولاً ثم حضارة الآلات والتقنيات.

«وآفة الحضارة المادية أنها سخرت العقول للشهوات، وأخرست نداء الروح وأطلقت نداء الطين، وجحدت أن الإنسان نفخة من روح الله، ورأت أنه كلا وجزءً نشأ من الأرض فلا يجوز أن يرفع رأسه إلى الأعلى يذكر الله وليّ نعمته وسر عظمته»[(٢)].

«فعلى ذلك فان العبادة تمثل الجانب الرحماني في الإنسان، ومهمة الأنبياء والمرسلين والمصلحين والمربين الذين يهتدون بهداهم أن يثيروا فيه هذا الجانب، ويجعلوه في حالة اليقظة الدائمة، فهي نظام متكامل لترقية الإنسان الخلقية، حتى يستحق هذا المقام الكريم ويؤدي التكليف الإلهي له على الوجه الأكمل[(٣)].

لأن الإنسان قد ينجرف وراء الجانب الحيواني لديه، الذي يثيره الشيطان عن طريق النفس الأمارة بالسوء. وهذا الصراع إن لم يتغلب فيه الجانب الرحماني، يعيش الإنسان في شقاء حضاري كبير، وقد نبهنا الله جل شانه إلى ذلك بقوله: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

---

(١) حوى، **المستخلص**. ص٦٥.

(٢) الغزالي، **الجانب العاطفي من الإسلام**. ص١٠٥.

(٣) عبد الحميد، **الإسلام والتنمية الاجتماعية**. ص٦٤-٦٥.

وانتصار الجانب الرحماني هو الذي ينتهي إلى وضع الإنسان على طريق إنسانيته بتهذيب الغرائز وتعديل عوج الحضارة[1].

إذن العبادات كما حددها الإسلام هي لتنمية الفرد كإنسان، وبالتالي هي لوقايته من أضرار نفسه ومن عدوان غيره عليه، أو عدوانه هو على غيره، فهي صلة بين العبد وخالقه، واستشعار بمراقبة الله تعالى، وتقوية للفرد ليكون فرداً فعالاً مهذباً متوازناً هادفاً في المجتمع، يعرف حقوقه وواجباته فلا يتهاون فيهما، ويعرف حقوق غيره فلا يتجاوز عليها.



(١) ينظر: **المصدر نفسه**، ص٦٥.



وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: التكريم بالموت**

المطلب الأول: الموت مكرمة للمؤمن

المطلب الثاني: حال المؤمن عند الموت

- **المبحث الثاني: التكريم ما بعد الموت**

المطلب الأول: مبشرات المؤمن

المطلب الثاني: حال المؤمنين في البرزخ

- **المبحث الثالث: التكريم يوم القيامة**

المطلب الأول: صور من التكريم الروحي

المطلب الثاني: تكريم الشهداء يوم القيامة

- **المبحث الرابع: التكريم بالحياة الأبدية في الجنة**

المطلب الأول: أهل الجنة مكرمون

المطلب الثاني: علو المقام

المبحث الأول

التكريم بالموت

المطلب الأول: الموت مكرمة للمؤمن

الإنسان ليس مجرد جرم صغير، ولكنه عالم وحده يمتدّ باستعداداته إلى عالم آخر، لقد هيّأ الله تعالى الإنسان إلى عالم الخلود، وأعدّ له هناك نعيما مقيما ونُزلاً كريماً، فهو لن يصير إلى عبث، ولا إلى عدم وفي هذا تكريم عظيم له.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ ﴾ [النحل: ٧٠].

﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ «أي أخسّه وأدونه، وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل، ويكون في حال أسوأ من الصغير الذي لم يميز»(١).

﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ ﴾ «أي ليعود إلى ما كان عليه في أوان الطفولة من ضعف البنية وسخافة العقل، وقلة الفهم، فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه»(٢).

فالموت مكرمة عظيمة من الله تعالى لعباده بعد أن تهرم الأجسام وتخرف العقول وتضعف البنية، وكان النبي (ﷺ) يتعوذ بالله من أن يُرد إلى أرذل العمر.

عن مُصعَبِ بن سعدٍ عن سعدِ بن أبي وقاصٍ (رضيَ الله عنهما) «كان يأمرُ هؤلاءِ

---

(١) الأشقر، محمد سليمان عبد الله. **زبدة التفسير من فتح القدير**. مختصر تفسير فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير. للإمام الشوكاني. ط١. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (١٩٨٥م). ص٤٣٣.

(٢) الصابوني، محمد علي. **صفوة التفاسير**. مكة المكرمة: دار الصابوني. ج٢: ص١١٢.

الخمسِ ويُحَدِّثُهنَّ عن النبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِنْ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بكَ مِنْ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بكَ أَنْ أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»[1].

وأما عن التكريم الذي يناله الإنسان المؤمن المستقيم على توحيد الله وطاعته عند الموت يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

«أي تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند الموت»[2].

«فهي أَمَنَةٌ عامة في كل همٍّ مستأنف، وتسلية تامة عن كل فائت ماض. وقال مجاهد[3]: المعنى لا تخافون ما تقدمون عليه، ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم»[4].

وروى الثعالبي[5] في تفسيره أن:

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات. باب التعوذ من عذاب القبر. ح (٦٠٠٤).ج٥: ص٢٣٤١. والترمذي، **سنن الترمذي**. كتاب الدعوات. باب في دعاء النبي (ﷺ) وتعوذه في دبر كل صلاة. ح (٣٥٦٧). ص٨١٠. والنسائي، **سنن النسائي**. كتاب الاستعاذة. باب الاستعاذة من شر الكِبْر، ح (٥٤٩٥). ص٨٢٨.

(٢) جبر، **روائع البيان**. ص٤٨٠.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) ابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٥: ص١٥.

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المالكي، كان إماماً علامة مصنفاً اختصر تفسير ابن عطية في جزءين وشرح ابن الحاجب الفرعي في جزءين وعمل في الوعظ والرقائق وغير ذلك ومات في سنة ست وسبعين وثمانمائة، أو في أواخر التي قبلها عن نحو تسعين سنة رحمه الله. ينظر: السخاوي، **الضوء اللامع**. ج٤: ص١٥٢. والباباني، **هدية العارفين**. ج١: ص٥٣٢.

«البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث»[1].

«فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير، وتقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياؤكم، أي قرناؤكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ «أنه تعالى أخبر عن الملائكة أنهم في أول الأمر يخبرون بأنه لا خوف عليكم بسبب ما تستقبلونه من أحوال القيامة، ثم يخبرون بأنه لا حزن عليكم بسبب ما فاتكم من أحوال الدنيا، وعند حصول هذين الأمرين فقد زالت المضار والمتاعب بالكلية، ثم بعد الفراغ منه يبشرون بحصول المنافع وهو قوله تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾»[3].

المطلب الثاني: حال المؤمن عند الموت

النبي (ﷺ) بيّن لنا حال المؤمن عند خروج الروح حيث نجد مدى إكرام الله تعالى للمؤمن وكيف أن الملائكة يبشرونه ويرفقون به، فعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال خرجنا مع رسول (ﷺ) في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد قال: فجلس رسول الله (ﷺ) وجلسنا حوله كان على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به قال: فرفع رأسه وقال: «**اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى**

---

(١) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (ت٨٧٥هـ). **تفسير الثعالبي المسمى بـ (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)**. تحقيق علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود وعبد الفتاح أبو سنّة. ط١. لبنان - بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربي، (١٤١٨هـ=١٩٩٧م). ج٥: ص١٣٦.

(٢) الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**. ج٣: ص٢٦٢.

(٣) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٧: ص٥٦١.

يَجْلسُوا منْهُ مَدَّ الْبَصَر، ثُمَّ يَجيءُ مَلَكُ الْمَوْت، عَلَيْه السَّلَام، حَتَّى يَجْلسَ عنْدَ رَأْسه، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجي إلى مَغْفرَة منَ اللَّه وَرضْوَان، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسيلُ كَمَا تَسيلُ الْقَطْرَةُ منْ فِى السِّقَاء، فَيَأْخُذُهَا فَإذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا في يَده طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِى ذَلكَ الْكَفَن، وَفِى ذَلكَ الْحَنُوط، وَيَخْرُجُ منْهَا كَأَطْيَب نَفْحَة مسْك، وُجدَتْ عَلَى وَجْه الأَرْض، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بهَا، فَلاَ يَمُرُّونَ، يَعْني بهَا، عَلَى مَلإٍ منَ الْمَلاَئكَة، إلاَّ قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلاَنُ ابْنُ فُلاَن، بأَحْسَن أَسْمَائه الَّتي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بهَا في الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بهَا إلى السَّمَاء الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ منْ كُلِّ سَمَاء مُقَرَّبُوهَا إلى السَّمَاء الَّتي تَليهَا، حَتَّى يُنْتَهَى به إلى السَّمَاء السَّابعَة، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كتَابَ عَبْدى في علِّيِّينَ...»[1].

وفي الحكمة من عدم وصل نعيم الآخرة وثوابها بنعيم الدنيا مباشرة دون حدوث الموت والذي يكون ذلك في الإنعام أبلغ في اذهان البعض، يقول الامام الفخر الرازي[2] «هذا كالمفسدة في حق المكلفين لأنه متى عجل للمرء الثواب فيما يتحمله من المشقة في الطاعات صار إتيانه بالطاعات لأجل تلك المنافع لا لأجل طاعة الله، يبين ذلك أنه لو قيل لمن يصلي ويصوم إذا فعلت ذلك أدخلناك الجنة في الحال، فإنه لا يأتي بذلك الفعل إلا لطلب الجنة، فلا جرم أخّره الله تعالى وبعّده بالإماتة ثم الإعادة ليكون العبد عابدا لربه بطاعته لا لطلب الانتفاع»[3].

وعن أبي قتادة (رضي الله عنه) أنه كان يحدث أن رسول الله (ﷺ) مُرَّ عَلَيْه بجَنَازَة فَقَالَ «**مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ منْهُ**». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ منْهُ، فَقَالَ:

---

(١) البيهقي، **شعب الإيمان**. باب فصل في عذاب القبر. ح (٣٩٥). ج١. ص٣٥٥. والتبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب. **مشكاة المصابيح**. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. ط٣. بيروت: المكتب الإسلامي، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م). ج١: ص٣٦٨. (صحيح)

(٢) سبق ترجمته.

(٣) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٣: ص٢٦٧.

«الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ»(١).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): **«الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»**(٢).

«فكل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعدّ الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخاصة من النقصان، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد»(٣).

وعَنْ أَبِى مُوسَى (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِي (ﷺ) «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»(٤).

«أي المصير إلى ديار الآخرة بمعنى أن المؤمن عند الغرغرة يبشر برضوان الله وجنته فيكون موته أحب إليه من حياته (أحب الله لقاءه) أي أفاض عليه فضله وأكثر عطاياه (ومن كره لقاء الله) حين يرى ماله من العذاب حالتئذ (كره الله لقاءه) أبعده من رحمته

---

(١) **متفق عليه**، البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الرقاق. باب سكرات الموت. ح (٦١٤٧). ج٥: ص٢٣٨٨. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الجنائز. باب ما جاء في مستريح ومستراح منه. ح (٩٥٠). ص٣٦٨.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الزهد والرقائق. باب ما بين النفختين. ح (٢٩٥٦). ص١١٨٧. وابن ماجه. **سنن ابن ماجه**. باب مثل الدنيا. ح (٤١١٣). ج٢: ص١٣٧٨.

(٣) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ). **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. ط٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٣٩٢هـ). كتاب الزهد. ج١٨: ص٩٣.

(٤) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الرقائق. باب من احب لقاء الله أحب الله لقاءه. ح (٦١٤٣). ج٥: ص٢٣٨٧. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الذكر والدعاء. باب من احب لقاء الله. ح (٢٦٨٦). ص١٠٧٨.

وأدناه من نقمته، وعلى قدر نفرة النفس من الموت يكون ضعف منال النفس من المعرفة التي بها تأنس بربها فتتمنى لقاءه، والقصد بيان وصفهم بأنهم يحبون لقاء الله حين أحب الله لقاءهم لأن المحبة صفة الله ومحبة العبد ربه منعكسة منها»[1].

«والكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها، فحينئذ يبشر كل انسان بما هو صائر إليه وما أعدّ له ويكشف له عن ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعدّ لهم ويحب الله لقاءهم أي فيجزل لهم العطاء والكرامة، وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه، ويكره الله لقاءهم أي يبعدهم عن رحمته وكرامته ولا يريد ذلك بهم وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم»[2].

ومما سبق تبين ان الموت هو أول هدية للمؤمن من الله عند مفارقته هذه الحياة، فإكرام الله لعبده المؤمن عند الموت لا يعد ولا يحد، فالهدايا العظيمة التي تتري من الله للعبد المؤمن عند لقاء ربه تتوالى عليه ليفرح بلقاء الله فيفرح الله بلقائه، وهذا للمؤمن الذي عاش مستقيماً على الطاعة، ولم يصر على المعاصي، وتاب منها قبل وفاته، فالمؤمن الذى له هذا الخير وله هذا الفضل وله هذا الكرم هو المؤمن الذى يوالى الله بطاعته فيواليه الله بكرمه وجوده وعطاءاته[3]، ويقول فيه الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

ويقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

---

(١) المناوي، محمد عبد الرؤوف. **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ=١٩٩٤م). ج٣: ص٧٤. والبرهان فوري، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت٩٧٥هـ). **كنز العمال في سنن الاقوال والافعال**. مؤسسة الرسالة. ج٢٠: ص٣٢٤.

(٢) النووي، **المنهاج**. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. ج١٧: ص٩-١٠.

(٣) ينظر: أبو زيد، فوزي محمد. **بشائر المؤمن عند الموت**. ط١. القاهرة: دار الإيمان والحياة، (١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م). ص٤١.

إذاً فالموت بالنسبة للمؤمن ليس فيها تعب ولا نصب، ولا أي شيء يخوّفه أو يحزنه كما جاء في الحديث السابق، فتخرج النفس بيسر وسلاسة وتحملها الملائكة فتفوح منها روائح طيبة ليس لها مثيل، وتسلك طريقاً لا تجد فيه غير الفرح والسعادة والسرور، مشيعاً من قبل ملائكة السماء لا يعلم عددهم الا الله العليم الخبير.



المبحث الثاني

التكريم ما بعد الموت

المطلب الأول: مبشرات المؤمن

قال الله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٤].

والمبشرات تبدأ من الدنيا فإن الله عز وجل، أعدّ لعباده المؤمنين من ألوان التكريم ومن أصناف الجود الإلهي ما لا يفي به نطق، فهي نِعَم غير معدودة ولا محصورة فبدأ بالخلق ثم بنفخ الروح ثم بسجود الملائكة ثم بالحياة الدنيا كما أسلفنا في الفصول السابقة.

ومن المبشرات ايضاً ما ورده القرطبي(١) في كتابه «التذكرة» حيث خصص باباً عما جاء في بشرى المؤمن في قبره، فعن كعب الأحبار(٢) أنه قال: «إذا وضع العبد الصالح في قبره احتوشته أعماله الصالحة فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه: فتقول الصلاة: إليكم عنه، فيأتون من قبل رأسه فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله عز وجل في دار الدنيا، فيأتون من قبل جسمه فيقول الحج والجهاد: إليكم عنه، فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله عز وجل لا سبيل لكم عليه، فيأتون من قبل يديه، فتقول الصدقة: كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين، حتى وقعت في يد الله عز وجل ابتغاء لوجهه، فلا سبيل لكم عليه قال: فيقال له: نم هنيئاً، طبت حياً وطبت ميتاً»(٣).

قال القرطبي معلقاً: «هذا لمن أخلص في عمله وصدق الله في قوله وفعله وأحسن نيته له في سره وجهره، فهو الذي تكون أعماله حجة له، ودافعة عنه، فإن الناس مختلفو الحال

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت ٦٧١هـ). **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة.** تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم. ط١. الرياض: دار المنهاج، (١٤٢٥ هـ). ص٤٠٥.

في خلوص الأعمال، والله أعلم»[1].

ومن الكرامة أيضاً الثبات على الإيمان في الدنيا والآخرة بمعونة الله سبحانه وتعالى وفي ذلك يقول جل شأنه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

حيث يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين على الثواب والكرامة، الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت «من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ «هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: «الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي، فالثبات على الطاعة يوجب الثبات في الثواب والكرامة من الله تعالى»[2].

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ «عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم، وفي هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي ﷺ في الفتنة، وصفتها، ونعيم القبر وعذابه»[3].

وفي الحديث الذي رواه البيهقي في شعب الإيمان الذي ذكرنا قسماً منه في المبحث السابق ورد عنه (ﷺ) أنه قال عن العبد المؤمن: «... **فَيَأْتِيه مَلَكَان فَيُجْلِسَانه، فَيَقُولان لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولاَن لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينيَ الإسلام، فَيَقُولاَن لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَيَقُولاَن لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِى مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ**

---

(١) القرطبي، **التذكرة**. ص٤٠٥.

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**، ص٤٢٥. والفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١٩: ص٩٣.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٤٢٥.

عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّة وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّة، وَافْتَحُوا لَهُ باباً إلى الْجَنَّة، قَالَ: فَيَأْتِيه مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِه مَدَّ بَصَرِه، قَالَ: وَيَأْتِيه رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْه، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي»[1].

وأما عن الكافر فقال (ﷺ) «... وَيَأْتِيه مَلَكَان فَيُجْلِسَانه، فَيَقُولاَن لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لاَ أَدْرِى، فَيَقُولاَن لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لاَ أَدْرِى، فَيَقُولاَن لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لاَ أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ باباً إلى النَّارِ، فَيَأْتِيه مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْه قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيه أَضْلاَعُهُ، وَيَأْتِيه رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْه، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ»[2].

ومن هذا الحديث يتبين فضل المؤمن وكرامته، وأنه في نعيم دائم منذ أن يخرج روحه إلى أن يخلد في دار المقامة، دار السلام التي يكرم الله تعالى بها عباده الصالحين.

المطلب الثاني: حال المؤمنين في البرزخ

وقد يظن البعض أن الموت هو نهاية الحياة، في حين أن الحقيقة التي ذكرها كتاب الله تعالى وبينها سيدنا رسول الله (ﷺ) هي أن الموت للجسم، أما الروح فلا تموت ولا تفوت، وإنما تنتقل إلى دار تسمى (دار البرزخ)[3] يقول الله تعالى: ﴿... وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: أبو زيد، **بشائر المؤمن**. ص٢١ وما بعدها.

ذكر الماوردي[1] في تفسير البرزخ آراء وقال: «وفيه خمسة أقاويل أحدها: أنه حاجز بين الموت والبعث، والثاني: حاجز بين الدنيا والآخرة، والثالث: حاجز بين الميت ورجوعه للدنيا، والرابع: أن البرزخ الإمهال ليوم القيامة، والخامس: هو الأجل ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة»[2].

ونجد بأن الآراء الخمسة متفقة على أن البرزخ هو أول مرحلة بعد الموت من مراحل الانتقال إلى الآخرة.

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٧- ١٨].

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ «التي لا يقادر قدرها، ولا يعلم وصفها، إلا من أكرمهم بها، وهذا شامل للبشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من اللّه، التي يرون في خلالها، أنه مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة، ولهم البشرى في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه وبره وإحسانه وحلول أمانه في الجنة»[3].

ومن كرم الله تعالى للإنسان المؤمن أن أرواحهم تتلاقى وتتزاور بعد الموت وفي ذلك قال ابن القيم الجوزية[4] عندما سُئل هل أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور وتتذاكر أم لا؟

فقال: «وهي أيضاً مسألة شريفة كبيرة القدر وجوابها أن الأرواح قسمان: أرواح معذبة وأرواح منعمة فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي، والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقي وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الماوردي، **النكت والعيون**. ج٤: ص٦٦ -٦٧.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٧٢١.

(٤) سبق ترجمته.

فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها وروح نبينا محمد في الرفيق الأعلى قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي الدار البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة»[١].

وعن مسروق[٢] قال: قال أصحاب رسول الله (ﷺ) أو من شاء الله منهم: يا رسول الله ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا فإنك لو مت رفعت فوقنا، فلم نراك، فأنزل الله ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩][٣].

وفي تفسير هذه الآية قال الامام الفخر الرازي[٤]:

«ومعلوم أنه ليس المراد من كون هؤلاء معهم هو أنهم يكونون في عين تلك الدرجات، لأن هذا ممتنع، فلا بد وأن يكون معناه أن الأرواح الناقصة إذا استكملت علائقها مع الأرواح الكاملة في الدنيا لسبب الحب الشديد، فاذا فارقت هذا العالم ووصلت إلى عالم الآخرة بقيت تلك العلائق الروحانية هناك، ثم تصير تلك الأرواح الصافية كالمرايا المجلوة المتقابلة، فكأن هذه المرايا ينعكس الشعاع من بعضها على بعض، وبسبب هذه الانعكاسات

---

(١) ابن القيم، **الروح**. ص١٧. وينظر: القرطبي، **التذكرة**. ص٢٦٨.

(٢) هو مسروق بن الأجدع الهمداني، كنيته أبو عائشة، عداده في كبار التابعين، ومن المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي (ﷺ)، روى عن علي، وابن مسعود، الفقيه العابد، صاحب ابن مسعود، وكان يصلي حتى تورم قدماه، وحج فما نام إلا ساجداً، وعن الشّعبي قال: ما رأيت أطلب للعلم منه، كان أعلم بالفتوى من شريح، سمي مسروقاً لأنه سرق وهو صغير ثم وجد، توفي سنة ثلاث وستين. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج٤: ص٦٣-٦٩. وابن العماد، **شذرات الذهب**. ج١: ص٢٨٥.

(٣) ينظر: ابن أبي شيبة، الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ابراهيم بن عثمان ابن أبي بسكر بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت٢٣٥هـ). **المصنف في الأحاديث والآثار**. دار الفكر. ج٧: ص١٤٢.

(٤) سبق ترجمته.

تصير أنوارها في غاية القوة، فكذا القول في تلك الأرواح فإنها لما كانت مجلوة بصقالة المجاهدة عن غبار حب ما سوى الله، وذلك هو المراد من طاعة الله وطاعة الرسول، ثم ارتفعت الحجب الجسدانية أشرقت عليها أنوار جلال الله، ثم انعكست تلك الأنوار من بعضها إلى بعض وصارت الأرواح الناقصة كاملة بسبب تلك العلائق الروحانية»[1].

وفي القرآن الكريم قصص كثيرة يتبين فيها تكريم الله تعالى للإنسان الذي يستحق ذلك التكريم، ونذكر منها قصة مؤمن سورة يس الذي قُتل في سبيل الله قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦ -٢٧].

حيث قال الله تعالى له إذ قتلوه كذلك فلقيه ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره فيه يقول: يا ليتهم يعلمون أن السبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي، وجعلني من الذين أكرمهم الله بإدخاله إياه جنته، كان إيماني بالله وصبري فيه، حتى قتلت، فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة[2].

«والمراد بالمكرمين: الذين تلحقهم كرامة الله تعالى وهم الملائكة والأنبياء وأفضل الصالحين قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] يعني الملائكة وعيسى عليهم السلام»[3].

ونلفت بأن (قصة مؤمن سورة ياسين) عامة في اللفظ وخاصة في السبب، (والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[4]، أي ان كل من مات أو استشهد في سبيل الله تشمله هذه المكرمة الربانية.

---

(١) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١٠: ص١٣٣.

(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج٢٠: ص٥٠٩.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٢: ص٣٧١.

(٤) ينظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ). **الموافقات في أصول الشريعة**. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط١. دار ابن عفان، (١٤١٧هـ= ١٩٩٧م). ج٤: ص٣٨-٤١.

وعن بريدة (ﷺ) قال: كان النبيّ (ﷺ) يعلِّمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ أهْلَ الدّيارِ مِنَ المؤْمنِينَ، وإنَّا إنْ شاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلاحِقُونَ، أسألُ اللَّهُ لَنا ولَكُمُ العافيَةَ**»[1].

«وفي هذا الحديث دليل لاستحباب زيارة القبور والسلام على أهلها والدعاء لهم والترحم عليهم»[2].

وعن عائشة (رضي اللّه عنها) قالت: قال رسول اللّه (ﷺ): «**لا تَسبُّوا الأمْوَاتَ فإنَّهُمْ قَدْ أفْضَوْا إلى ما قَدَّمُوا**»[3].

وعنها (رضي اللّه عنها) قالت: قال رسول الله (ﷺ) «**كسرُ عظمِ الميتِ ككسرِه حياً**»[4].

قال الحافظ ابن حجر[5] «أن حرمة المؤمن بعد موته باقية كما كانت في حياته»[6].

فالإنسان المؤمن مكرّم حياً وميتاً، وحث الإسلام على التعامل مع الميت كالحي في الحرمة والكرامة والدعاء والاحسان اليه، فكما حماه في الحياة يحميه بعد الممات تكريماً له وتشريفاً لمكانته.



---

(١) مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الجنائز. باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. ح (٩٧٥). ص٣٧٦-٣٧٧.

(٢) النووي، **المنهاج**. كتاب الجنائز. ج٧: ص٤١.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الجنائز. باب ما ينهى من سب الأموات. ح (١٣٢٩). ج١: ص٤٧٠.

(٤) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**. كتاب الجنائز. باب في النهي عن كسر عظام الميت. ح (١٦١٦). ج١: ص٥١٦. (صحيح)

(٥) سبق ترجمته.

(٦) ابن حجر، **فتح الباري**. ج٩: ص١١٣.

المبحث الثالث

التكريم يوم القيامة

المطلب الأول: صور من التكريم الروحي

هناك صور كثيرة وأنواع عديدة من التكريم الإلهي للإنسان يوم القيامة والتي تخص المؤمنين، وقد لا يستوعب هذا المبحث جميعها، لكن نذكر صوراً منها.

۞ أولاً: رؤية الله تعالى:

فقد أورد اللالكائي[1] في شرحه لـــ(أصول الاعتقاد) مفسراً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] «أن أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة هي النظر إلى وجهه الكريم، ونضرته إياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينضر بها وجوههم دون المجرمين الذين هم عن ربهم يومئذ محجوبون، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]»[2].

وأن جمهور أهل السنة يتمسكون بهذه الآية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ في إثبات أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة، وهي رؤية دون محاذاة ولا تكييف ولا تحديد كما هو معلوم، موجود لا يشبه الموجودات كذلك هو لا يشبه المرئيات في شيء، فإنه

---

(١) هو محمد بن هبة الله بن الحسن بن منصور، أبو بكر بن أبي القاسم الطبري اللالكائي الــرازي، سمع الحديث الكثير، وتفقه على أبي حامد الإسفراييني، وصنف كتباً. وحدث عن هلال الحفار وغيره، وكان ثقة كثير السماع، توفي في يوم الجمعة الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ثمــاني عشر وأربعمائة للهجرة). ينظر: ابن الجوزي، **المنتظم**. ج١٦: ص٢٠٧-٢٠٨. وابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحــد الــشيباني الجــزري (ت٦٣٠هـــ). **الكامل في التاريخ** تحقيق عمر عبد السلام تدمري. ط١. بيروت: دار الكتــاب العربي، (١٤١٧هــ=١٩٩٧م). ج٧: ص٧٠٤.

(٢) اللالكائي، **أصول اعتقاد أهل السنة**. ج: ٣. ص٥٥٦.

ليس كمثله شيء لا إله إلا هو، (وجوه يومئذ)، يعني يوم القيامة (ناضرة) حسنة جميلة من النعيم؛ يقال من ذلك: نَضُر وجه فلان: إذا حَسُن من النعمة، ونضَّرَ الله وجهه: إذا حسَّنه كذلك، فهي تنظر إلى الخالق، وحُقَّ لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق[1].

۞ ثانياً: دخول الجنة بغير حساب:

ومن الكرامة يوم القيامة دخول طائفة من أمة محمد (ﷺ) بغير حساب، مما لهم من الكرامة والفضل، قال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿... وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: «**يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفاً بِغيرِ حِسَابٍ**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللّه ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَني منْهُمْ. قَالَ: «**اللّهُمّ اجْعَلْهُ منْهُمْ**» ثُمّ قَامَ آخرُ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّه ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَني منْهُمْ. قَالَ: «**سَبَقَكَ بهَا عُكّاشَةُ**»[2].

قال النووي: «فيه عِظَمُ ما أكرم الله سبحانه وتعالى به النبيَّ ﷺ وأُمَّتَهُ زادها الله فضلاً وشرفاً»[3].

۞ ثالثاً: الشفاعة:

ومن التكريم للإنسان يوم القيامة الشفاعة بإذنه سبحانه وتعالى، ومنها الشفاعة العظمى للنبي (ﷺ) والتي تناله جميع الخلائق، فالشفاعة يوم القيامة قسمان:

أ. **الشفاعة العظمى**: وهي من المقام المحمود الذي وعده الله إياه، في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج٢٤: ص٧١ وما بعدها. وابن عطية، **المحرر والوجيز**. ج٥: ص٤٠٥. والفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٣٠: ص٧٣٠.

(٢) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الرقاق. باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب. ح (٦١٧٥). ج٥: ص٢٣٦٩. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان. باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب. ح (٢١٦). ص١١٦.

(٣) النووي، **المنهاج**. ج٣: ص٨٨.

وحقيقة هذه الشفاعة هي أن يشفع لجميع الخلق حين يؤخر الله الحساب فيطول بهم الانتظار في أرض المحشر يوم القيامة فيبلغ بهم من الغم والكرب ما لا يطيقون، فيقولون: من يشفع لنا إلى ربنا حتى يفصل بين العباد، يتمنون التحول من هذا المكان، فيأتي الناس إلى الأنبياء فيقول كل واحد منهم: لست لها، حتى إذا أتوا إلى نبينا محمد (ﷺ) فيقول: «أنا لها، أنا لها». فيشفع لهم في فصل القضاء، فهذه الشفاعة العظمى، وهي من خصائص النبي (ﷺ)[1].

والأحاديث الدالة على هذه الشفاعة كثيرة في الصحيحين وغيرهما ومنها عن ابن عمر رضي الله عنهما: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»[2].

ب. شفاعته ﷺ للمسلمين وأهل التوحيد.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النّاسُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرّيّتِكَ. فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا... فَأُوتَى فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبّي. فَيُؤْذَنُ لِي. فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ. يُلْهِمُنِيهِ الله. ثُمّ أَخِرّ لَهُ سَاجِداً. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ. وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ. وَسَلْ تُعْطَهْ. وَاشْفَعْ تُشَفّعْ. فَأَقُولُ: رَبّ أُمّتِي. أُمّتِي. فَيُقَالُ: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبّةٍ مِنْ بُرّةٍ أَو شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ. ثُمّ أَرْجِعُ إِلى رَبّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمّ أَخِرّ لَهُ سَاجِداً. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ... فَأَقُولُ: أُمّتِي. أُمّتِي. فَيُقَالُ لِيَ: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ. ثُمّ أَعُودُ إِلى رَبّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ. ثُمّ أَخِرّ لَهُ سَاجِداً. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ... فَأَقُولُ: يَا رَبّ أُمّتِي أُمّتِي. فَيُقَالُ لِيَ: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبّةٍ مِنْ**

---

(١) ينظر: الهيثمي، **مجمع الزوائد**. ج٤: ص٣٤٤.

(٢) البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب التفسير. باب عسى ان يبعثك ربك مقاما محموداً. ح (٤٤٤١). ج٤: ص١٧٤٨.

خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النّارِ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»[1].

ومن خلال ما سبق يتضح أن الشفاعة المثبتة هي الشفاعة المتعلقة بإذن الله ورضاه، لأن الشفاعة كلها ملك له، وهي من الكرامة التي يكرم بها عباده يوم القيامة.

۞ رابعاً. جزاء الأعمال بأحسن ما كانوا يعملون:

ومن التكريم أيضاً جزاء الأعمال يوم القيامة بأحسن ما كانوا يعملون، وجاء في القرآن الكريم الوعد بأن المؤمنين سينالون مكافأتهم يوم القيامة بأفضل أعمالهم وليس المتوسط العام لها (على اختلاف المفسرين) وهذا من فضل الله وكرمه سبحانه.

قال تعالى: ﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿**لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ [الزمر: ٣٥].

«أن هذه الآيات للوعد بالخيرات، والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم»[2].

«ويحتمل وجهين: أحدهما: أن يجازي على أحسن الأعمال وهي الطاعة، دون المباح منها، الثاني: مضاعفة الجزاء وهو الأحسن، كما قال تعالى: ﴿**مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٠]»[3].

---

(١) البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الرقاق. باب صفة الجنة والنار. ح (٦١٩٢).ج٥: ص٢٤٠٠. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان. باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها. ح (١٩٣). ص١٠٧. (واللفظ لمسلم)

(٢) ابن عادل، **اللباب**. ج١٢: ص١٥٣.

(٣) الماوردي، **النكت والعيون**. ج٣: ص٢١٢.

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ قرأه بالنون ابن عامر بخلفه وابن كثير وعاصم وأبو جعفر (ولنجزين)، وقرأه الباقون (وليجزين) بالياء و لم يختلفوا في قوله ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ أنه بالنون، واللام هي الموطئة، أي: لنجزينهم بسبب صبرهم على ما نالهم من مشاقّ التكليف وجهاد الكافرين والصبر على ما ينالهم منهم من الإيذاء بأحسن ما كانوا يعملون من الطاعات، وقيل: وإنما خصّ أحسن أعمالهم؛ لأن ما عداه وهو الحسن مباح، والجزاء إنما يكون على الطاعة، وقيل: المعنى: ولنجزينهم بجزاء أشرف وأوفر من عملهم، أو لنجزينهم بحسب أحسن أفراد أعمالهم، على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الأدنى من أعمالهم المذكورة ما نعطيهم بمقابلة الفرد الأعلى منها من الجزاء الجزيل، لا أنا نعطي الأجر بحسب أفرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بأن نجزي الحسن منها بالأجر الحسن، والأحسن بالأحسن[1].

وقال أبو السعود[2]: «وإنما أضيف إليه الأحسنُ للإشعار بكمال حسنِه لا لإفادة قصرِ الجزاءِ على الأحسن منه دون الحسَن، فإن ذلك مما لا يخطر ببال أحد، لا سيما بعد قوله تعالى: (أجرهم) أو (لنجزينهم) بحسب أحسنِ أفرادِ أعمالهم المذكور، على معنى

---

(١) ينظر: سالم، **فريدة الدهر**. ج٣: ص٢٤٥. والشوكاني، **فتح القدير**. ج٣: ص٢٢٩. والشنقيطي، **أضواء البيان**. ج٢: ص٤٣٩-٤٤٠.

(٢) هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى، العمادي الحنفي، مفسر، شاعر، المولود سنة (٨٩٨هـ)، بقرية قريبة من القسطنطينية (مدينة اسطنبول التركية حالياً)، قرأ كثيراً من كتب العلم على والده، وتتلمذ لكثير من جلّة العلماء، فاستفاد منهم علما جمّاً، وكان حاضر الذهن سريع البديهة، ثم طارت سمعته، وفاضت شهرته، وعظم صيته، وتولى التدريس في كثير من المدارس التركية، ثم قُلِّد قضاء بروسة، ثم نُقل إلى قضاء القسطنطينية، وهو صاحب التفسير "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" و"تحفة الطلاب" و"رسالة في مسائل الوقوف" وغيرها من الكتب، توفي سنة (٩٨٢هـ)، وهو مدفون في جوار مرقد أبي أيوب الأنصاري. ينظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**. ج١٠: ص٥٨٤. والذهبي، **التفسير والمفسرون**. ج١: ص٢٤٥-٢٥٣.

لنعطيهم بمقابلة الفردِ الأدنى من أعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة الفردِ الأعلى منها من الأجر الجزيلِ، لا أنا نُعطي الأجر بحسب أفرادِها المتفاوتةِ في مراتب الحسن، بأن نجزيَ الحسنَ منها بالأجر الحسَنِ والأحسنَ بالأحسن»[1].

فالله سبحانه وتعالى بكرمه ولطفه يكرمهم في الحساب كما اكرمهم في الدنيا، وكما يكرمهم في مستقر رحمته في الجنة.

المطلب الثاني: تكريم الشهداء يوم القيامة

وتأتي بعد ذلك الكرامة التي ينالها الشهيد الذي يُقْتل في سبيل الله، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩- ١٧٠].

فهذه الآيات الكريمات فيها فضل الشهداء وكرامتهم، وما منَّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، فقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله، ﴿أَمْوَٰتًاۚ ﴾ أي: لا يخطر ببالك وحسبانك أنهم ماتوا وفقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا والتمتع بزهرها، (بل) قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون. فهم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في دار كرامته[2].

فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم من فضله: فتم لهم النعيم والسرور، وجعلوا ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي: يبشر بعضهم بعضاً، بوصول إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي: يستبشرون بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم المستلزم كمال السرور، وفي هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان

---

(١) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**. ج٥: ص١٣٨-١٣٩. (بتصرف)

(٢) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص١٥٦.

عند ربهم، وفيه تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضا، وتبشير بعضهم بعضا[1].

وقال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٦- ٢٧].

«والمراد بالمكرمين: الذين تلحقهم كرامة الله تعالى»[2].

وعن المقدام بن معدي كرب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **«للشَّهِيد عنْدَ اللَّه ستُّ خصَال يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّل دفْعَة وَيَرَى مَقْعَدَهُ منَ الْجَنَّة وَيُجَارُ منْ عَذَاب الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ منْ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسه تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ منْهَا خَيْرٌ منْ الدُّنْيَا وَمَا فيهَا وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً منْ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ منْ أَقَارِبه»**[3].

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **«مَا منْ أَحَد منْ أَهْلِ الْجَنَّة يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجعَ إلى الدُّنْيَا غَيْرُ الشَّهِيد فَإِنَّهُ يُحبُّ أَنْ يَرْجعَ إلى الدُّنْيَا يَقُولُ حَتَّى أُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّات فِي سَبِيلِ اللَّه ممَّا يَرَى ممَّا أَعْطَاهُ منْ الْكَرَامَة»**[4].

وعنه (رضي الله عنه) عَنْ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: **«مَا منْ عَبْد يَمُوتُ لَهُ عنْدَ اللَّه خَيْرٌ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجعَ إلى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فيهَا إلا الشَّهِيدَ لمَا يَرَى منْ فَضْلِ الشَّهَادَة فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجعَ إلى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى»**[5].

---

(١) ينظر: **المصدر نفسه**، ص١٥٦.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٢: ص٣٧١.

(٣) الترمذي، **سنن الترمذي**. كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم). باب في ثواب الشهيد. ح (١٦٦٣). ص٣٨٩-٣٩٠. (قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب).

(٤) **المصدر نفسه**، ح (١٦٦١). ص٣٨٩. (حسن صحيح)

(٥) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الجهاد والسير. باب الحور العين وصفتهن. ح (٢٦٤٢). ج٣: ص١٠٢٩. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإمارة. باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى. ح (١٨٧٧). ص٧٨٣.

قال ابن بطال[1] «هذا الحديث أجلّ ما جاء في فضل الشهادة، قال وليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب»[2].

وعَنْ مَسْرُوق[3] قَالَ سَأَلْنا عَبْدَ اللَّهِ (ابن مسعود) عَنْ هَذِهِ الآيَة ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ قَالَ أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ[4]: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْف طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّة حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً فَقَالَ هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئاً قَالُوا أَيّ شَيءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّة حَيْثُ شِئْنَا فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّات فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا**»[5].

قال أبو حامد الغزالي[6]: «ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره فإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى»[7].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ابن حجر، **فتح الباري**. ج٦: ص٣٢.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) يعني النبي (ﷺ). ينظر: النووي، **المنهاج**. ج١٣: ص٣١.

(٥) مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإمارة. باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون. ح (١٨٨٧). ص٧٨٥.

(٦) سبق ترجمته.

(٧) الغزالي، **إحياء علوم الدين**. ج١: ص٣٠٣.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: «**وَالَّذي نَفْسي بِيَده لَوْلاَ أَنَّ رِجَالاً منَ الْمُؤْمنينَ لاَ تَطيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتخَلَّفُوا عَنِّي وَلاَ أَجدُ مَا أَحْملُهُمْ عَلَيْه مَا تَخلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّة تَغْزُو في سَبيلِ اللَّه وَالَّذي نَفْسي بِيَده لَوَددْتُ أَنِّي أُقْتَلُ في سَبيلِ اللَّه ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ**»[١].

«وهو يدل على تمني الخير وأفعال البر والرغبة فيها، وفيه فضل الشهادة على سائر أعمال البر، لأنه عليه السلام تمناها دون غيرها، وذلك لرفيع مترلتها وكرامة أهلها»[٢].

ومما سبق يُعلم بأن أكرم الناس يوم القيامة مترلةً بعد الأنبياء والصديقين هم الشهداء، الذين يقدمون أغلى ما يمتلكون في سبيل إحياء الأمة، فالشهيد يعيش معاني النصر ويسمو بوعد الله، وكلما اتضحت الأهداف للإنسان وكلما أعدّ العدّة ليقوم بخدمة هذه الأهداف وتحقيقها في نفسه وفي الحياة من حوله وكلما اتّسعت دائرة النفع به كانت قيمة الإنسان، فليس من يعمل لنفسه كمن يعمل لغيره، وليس من يعمل لقريته كمن يعمل لأمته، وليس من يعمل لأمته كمن يعمل للإنسانية جمعاء، فالناس يتفاوتون، وعلى قدر إيمان المرء تتفاوت مترلته، هناك أناس آتاهم الله من الإيمان ما يستطيعون أن يواجهوا به المشكلات ويتخطوا به العقبات ويصنعوا به ما يشبه المستحيلات، ولذلك قالوا فرد ذو همة، يحيي أمة. ودماء الشهداء كانت دائماً وقوداً لحركات الجهاد وتحرير البلدان من الظلم والجور وتنويرها بنور الإسلام وعدله، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد الأحد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فهنا تشمخ الشهادةُ وتعلو مترلة الشهيد، وتأتي المكرمة الإلهية وتتترّل الملائكة من كلّ حدب وصوب لاصطحاب الروح الطيبة العملاقة في معراجها من قمّة الأرض إلى قمّة السماء.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الجهاد والسير. باب تمني الشهادة. ح (٢٦٤٤). ج٣: ص١٠٣٠.

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٥: ص١٦٣.

المبحث الرابع

التكريم بالحياة الأبدية في الجنة

المطلب الأول: أهل الجنة مكرمون

۞ أولاً: بحسن اللقاء:

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الصافات: ٤١- ٤٤].

﴿فَوَٰكِهُۖ﴾ «وفيه قولان الأول: أن الفاكهة عبارة عما يؤكل لأجل التلذذ لا لأجل الحاجة، وأرزاق أهل الجنة كلها فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات، فإنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد، فكل ما يأكلونه فهو على سبيل التلذذ والثاني: أن المقصود من ذكر الفاكهة التنبيه بالأدنى على الأعلى، يعني لما كانت الفاكهة حاضرة أبداً كان الأدام أولى بالحضور، والقول الأول أقرب إلى التحقيق، واعلم أنه تعالى لما ذكر الأكل بين أن ذلك الأكل حاصل مع الإكرام والتعظيم فقال: وهم مكرمون لأن الأكل الخالي عن التعظيم يليق بالبهائم»[1].

﴿وَهُم مُّكۡرَمُونَ﴾ أي فهم معظّمون، لا يلحقهم هوان وذلك أعظم المثوبات وأليقها بأولي الهمم، و﴿وَهُم مُّكۡرَمُونَ﴾ عطف على ﴿لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ﴾ أي يعاملون بالحفاوة والبهجة، فإنه وسط في أثناء وصف ما أعدّ لهم من النعيم الجسماني، ولعل هذا إشارة إلى النعيم الروحاني بعد النعيم الجسماني الذي هو بواسطة الأكل، ونعيم الكرامة أهم لأن به انتعاش النفس مع ما في ذلك من خلوص النعمة ممن يكدرها، ذلك لأن الإحسان قد يكون غير مقترن بمدح وتعظيم ولا بأذى وهو الغالب، وقد يكون مقترنا بأذى وذلك يكدر من صفوه، فإذا كان الإحسان مع عبارات الكرامة وحسن التلقي فذلك الثواب

---

(١) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٦: ص٣٣٢.

وتتميم بليغ للنعيم لأنه ربَّ مرزوق غير مكرم، وقيل مكرمون في نيل الرزق حيث يصل إليهم من غير كسب وكد وسؤال كما هو شأن أرزاق الدنيا(١).

فالإكرام: التعظيم وحسن اللقاء، أي هم مع جزائهم بنعيم الجنات يكرمون بحسن اللقاء والثناء وهو من أعظم ما يجب أن تتوق إليه نفوس ذوي الهمم، كما أنّ من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار وصغارهم(٢).

فالله سبحانه وتعالى قضى بأن يعلي شأنهم، فيكرمهم بأنواع الكرامات فيتلقاهم بالبشرى حين الموت وفي قبورهم ومن حين قيامهم من قبورهم إلى دخولهم إلى قصورهم هذا حال المؤمنين(٣).

ومن الآية السابقة اتضح أن هذا النص من كلام الله تعالى جمع بين لون من النعيم الحسي ولون من النعيم الروحي، فهم في جنات، وهم يلقون الكرامة في هذه الجنات، فتجتمع لهم اللذة بالنعيم مع التكريم، جزاء على هذا الخلق الكريم، الذي يتميز به المؤمنون(٤).

۞ ثانياً: برؤية الله تعالى في الجنة:

ومن أعظم أنواع التكريم لأهل الجنة هو رؤية الله تعالى، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة، وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلّها، فقد دل الكتاب والسنة على أن المؤمنين يرون ربهم سبحانه وتعالى في الجنة، من غير إحاطة

---

(١) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٤: ص٤٧١. والبيضاوي، **أنوار التنزيل**. ج٥: ص٩. وابن عجيبة، **البحر المديد**. ج٤: ص٥٩٧ والآلوسي، **روح المعاني**. ج١٢: ص٨٣. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٣: ص١١١-١١٢.

(٢) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**. ج٤: ص٤٤. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٩ ص١٧٥.

(٣) ينظر: الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد (ت ٩٧٧هـ). **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**. بيروت: دار الكتب العلمية، ج٤: ص٢٨٠.

(٤) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**. ج٦: ص٣٧٠٢.

ولا كيفية، وعلى ذلك أجمع الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أهل الهدى[1].

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. أي: حسنة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم: منهم من ينظره كل يوم بكرة وعشياً، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثله شيء، فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم فازدادوا جمالاً إلى جمالهم[2].

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

والرسول (ﷺ) بيّن بأن هذه الآية الكريمة تشير إلى رؤية المؤمنين لله تعالى في الجنة، فعن صهيب (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**» وبالإسناد ذاته زيادة عن حماد بن سلمة ثم تلا «أي النبي (ﷺ)» هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[3].

---

(١) ينظر: الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر المالكي (ت٤٠٣هـ). **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل**. تحقيق عماد الدين أحمد حيدر. ط١. لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م). ص٣٠١ وما بعدها. واللالكائي، **شرح أصول الاعتقاد**. ج٣: ص٥٢٠. والغزنوي، **أصول الدين**. ص١٧. وابن ابي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين الصالحي الدمشقي (ت ٧٩٢هـ). **شرح العقيدة الطحاوية**. تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن المحسن التركي. ط١٠. بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م) ج١: ص٢٠٧-٢٠٨.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٨٩٩-٩٠٠.

(٣) مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان. باب معرفة طريق الرؤية. ح (١٨١). ص٩٩.

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ﴾ قالت فرقة وهي الجمهور: «الْحُسْنى» الجنة و«الزيادة» النظر إلى وجه الله عز وجل وهو أصرح ما ورد في تفسيرها[1].

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن أناساً في زمن النبي (ﷺ) قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال النبي (ﷺ): «**نَعَمْ هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ قَالُوا لا قَالَ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ قَالُوا لا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا...**»[2].

قال النووي[3]: أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله ﷺ

---

(١) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٣: ص١١٥. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج١١. ص١٤٦.

(٢) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. بـاب ان الله لا يظلـم مثقـال ذرة. ح (٤٣٠٥). ج٤: ص١٦٧١. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان. باب معرفة طريق الرؤية. ح (١٨٣). ص١٠٠.

(٣) هو شيخ الإسلام محيي الدّين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرّي الفقيه الشافعي، الحافظ الزّاهد، أحد الأعلام النّواوي، ولد في المحرم سنة (٦٣١هـ) بنوى (مدينة سورية)، ولزم الاشتغال ليلاً ونهاراً نحو عشرين سنة، حتّى فاق الأقران، وتقدم على جميع الطلبة، ثم أخذ في التصنيف، وسمع الكثير من الرّضي بن البرهان، والزّين خالد، وشيخ الشيوخ عبد العزيز الحموي وأقرانهم. وكـان مع تبحّره في العلم وسعة معرفته بالحديث، والفقه، واللغة، وغير ذلك مما قد سارت به الرّكبـان، رأساً في الزّهد، وقدوة في الورع، عديم المثل في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، كان قد صرف أوقاته كلّها في أنواع العلم والعمل بالعلم، من تصانيفه "الروضة" و"المنهاج" و"شرح المهذّب" سماه "المجموع" و"المنهاج في شرح مسلم" وكتاب "الأذكار" و"رياض الصالحين" وغير ذلك من الكتب القيّمة، توفي سنة ست وسبعين وستمائة ودفن ببلده رحمه الله ينظر: السبكي، **طبقات الـشافعية الكبرى**. ج٨: ص٣٩٥- ٤٠٠. وابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٧: ص٦٢١.

وآيات القرآن فيها مشهورة، وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فإنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا[1].

المطلب الثاني: علو المقام

۞ أولاً: خلود بلا موت:

ومن التكريم لأهل الجنة الخلود بلا موت، والذي يعتبر عاملاً مؤثراً من العوامل النفسية التي يزدادون بها فرحاً وبهجةً وسروراً، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إلى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إلى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحاً إلى فَرَحِهِمْ وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إلى حُزْنِهِمْ**»[2].

وهذا مصداق لقوله تعالى الذي يتبين فيه بأنه لا حزن في الجنة، وأن أهل الجنة لا يمسهم نصب ولا لغوب، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥].

حيث أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش، أو معاد، وهذا من أرجح الأقوال، والمقامة مصدر ميمي من أقام بالمكان إذا قطنه، والمراد: دار الخلود، والفضل: العطاء، وهو أخو التفضل في أنه عطاء منه وكرم، ومن فضل الله أن جعل لهم الجنة جزاء على الأعمال الصالحة لأنه لو شاء لما جعل للصالحات عطاء ولكان جزاؤها مجرد السلامة من العقاب، وكان أمر من لم يستحق الخلود في النار كفافاً، أي لا عقاب ولا ثواب فيبقى

---

(١) النووي، **المنهاج**. ج٣: ص١٥. (بتصرف)

(٢) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الرقاق. باب صفة الجنة والنار. ح (٦١٨٢). ج٥: ص٢٣٩٧. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الجنة. باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ح (٢٨٥٠). ص١١٤٤. وفي رواية لمسلم عن ابي سعيد الخدري: "**يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح...فيُؤمَرُ بِهِ فيُذبَحُ**". ح (٢٨٤٩). ص١١٤٣-١١٤٤.

كالسوائم، وإنما أرادوا من هذا تمام الشكر والمبالغة في التأدب، والمس: الإصابة في ابتداء أمرها، والنصب: التعب من نحو شدة حر وشدة برد. واللغوب: الإعياء من جراء عمل أو جري. وإعادة الفعل المنفي في قوله: ولا يمسنا فيها لغوب لتأكيد انتفاء المس[1].

۞ ثانياً: إحلال الرضوان:

ومن التكريم لأهل الجنة إحلال الرضوان عليهم فلا سخط بعده أبداً.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧- ٨].

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّة يَا أَهْلَ الْجَنَّة فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبداً»**[2].

ويُسْتَفَادُ من هذا الحديث أن مقامَ الرضا فوق جميع المقامات، وحلول رضوانه عليهم

---

(١) ينظر: الشوكاني، **فتح القدير**. ج٤: ص٤٠٢. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٢: ص٣١٦-٣١٧.

(٢) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الرقاق. باب صفة الجنة والنار. ح (٦١٨٣). ج٥: ص٢٣٩٨. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الجنة. باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً. ح (٢٨٢٩). ص١١٣٧.

أنعم لنفوسهم من كل ما خولهم في جناته تعالى[1].

وهكذا فإن التكريم الإلهي يحفّ بالإنسان من جميع جوانبه منذ أن خلقه الله سبحانه، وأودع فيه فطرة التوحيد والإسلام، وأسجد له ملائكته، وكلّفه بالعبادة والخلافة، وكرّمه في الحياة بالإيمان والهداية، وفي الآخرة بالجنان، إن اختار طريق الرحمن، لقد كرّم الله هذا الإنسان يوم خلق، ويوم يموت، ويوم يبعث حيّا.



(١) ينظر: ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك البكري القرطبي. **شرح صحيح البخاري**. تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط٢. السعودية - الرياض: مكتبة الرشد، (١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م). ج١٠: ص٥١٧-٥١٨. والكشميري، محمد أنور (ت١٣٥٢هـ). **فيض الباري على صحيح البخاري**. تحقيق محمد بدر عالم الميرتهي. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م). ج٦: ص٢٨٨.

الباب الثاني



التكريم الجسدي للإنسان في القرآن الكريم

ويشتمل على ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول: تكريمه بالخلق والرعاية**
- **الفصل الثاني: تكريم الجسد بالطيّبات**
- **الفصل الثالث: تكريمه بحفظ عوامل بقائه**

الفصل الأول

تكريمه بالخلق والرعاية

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: أصل الإنسان**

المطلب الأول: مادة الخلق

المطلب الثاني: تحسين صورته

- **المبحث الثاني: أطوار خلق الإنسان**

المطلب الأول: آيات الخلق

المطلب الثاني: تفسير الآيات وآراء العلماء

- **المبحث الثالث: تكريمه بمهمته الدينية**

المطلب الأول: العبادة

المطلب الثاني: الامانة

- **المبحث الرابع: تكريمه بمهمته على الارض**

المطلب الأول: الخلافة

المطلب الثاني: العمارة

المبحث الأول

أصل الإنسان

المطلب الأول: مادة الخلق

خلق الله تعالى آدم (عليه السلام) من الأرض أي مما تحويها الارض وفي ذلك قال تعالى: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «**النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ**»[١].

ثم جبلت تربتها بالماء فكانت طيناً وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢].

وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ [الصافات: ١١]. واللازب جاء في اللغة: «ولَزِبَ الطينُ يَلْزُبُ لُزُوباً، ولزُبَ: لَصِقَ وصَلُب، وطينٌ لازبٌ أَي لازقٌ»[٢].

ثم تغيّر الطين اللازب: فقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: ٢٦]. والحَمأُ أي: «الطين الأسود»[٣]، أو «الطين الأَسود المُنتن»[٤].

«والصَّلْصالُ مِن الطِّين: ما لم يُجْعَل خزَفاً، سُمِّي به لَتَصَلْصُله، وكلُّ ما جَفَّ من طين أو فَخَّار فقد صَلَّ صَلِيلاً، وطِينٌ صِلاَّل ومِصْلالٌ أَي يُصَوِّت كما يصوِّت الخَزَفُ الجديد»[٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**. ج١: ص٧٣٨. (بتصرف)

(٣) الرازي، **مختار الصحاح**. ص١٦٧

(٤) **المصدر السابق**، ج١: ص٦١.

(٥) ابن منظور، **لسان العرب**. ج١١، ص٣٨٢.

وحيث أن هذا الطين كان مخلوطاً بالرمل فصار يَتَصَلْصَلُ إذا جف، فإذا طُبخ بالنار فهو الفخار[1].

هكذا خلق الله تعالى آدم عليه السلام من الأرض (من تراها)، ثم جُبل بالماء فكان طيناً ثم صار طيناً أسود منتناً وكون ترابه من الأرض التي بعضها رمل لّما جبل كان صلصالاً كالفخار وبيّن ذلك النبي (ﷺ).

فعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إنّ اللَّهَ تعالى خَلَقَ آدَمَ منْ قَبْضَة قَبَضَها منْ جَميعِ الأَرْضِ فجاءَ بنو آدَمَ على قدْرِ الأَرْضِ جاءَ منْهُمُ الأَحْمَرُ والأَبْيَضُ والأَسْوَدُ وبَيْنَ ذلكَ والسَّهْلُ والحَزْنُ والخَبيث والطِّيِّبُ وبَيْنَ ذلكَ**»[2].

و«قوله (ﷺ) «**إن الله خلق آدم من قبضة**» بالضم ملء الكف وربما جاء بفتح القاف، ومن ابتدائية متعلقة بخلق أو بيانية حال من آدم، «**قبضها**» أي أمر الملك بقبضها، «**من جميع الأرض**» يعني وجهها، «**فجاء بنو آدم على قدر الأرض**» أي مبلغها من الألوان والطباع، «**فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود**» بحسب تراهم، وهذه الثلاثة هي أصول الألوان وما عداها مركب منها وهو لمراد بقوله «**وبين ذلك**» أي بين الأحمر والأبيض والأسود باعتبار أجزاء أرضه، «**والسهل**» أي ومنهم السهل أي اللين «**والحَزْنُ**» بفتح الحاء وسكون الزاي أي الغليظ، «**والخبيث**» أي خبيث الخصال «**والطيب**» على طبع أرضهم وكل ذلك بتقدير الله تعالى لوناً وطبعاً وخلقاً»[3].

قال ابن القيم رحمه الله[4]: «لما اقتضى كمال الرب تعالى (جل جلاله) وقدرته التامة وعلمه المحيط ومشيئته النافذة وحكمته البالغة تنويع خلقه من المواد المتباينة، وأنشأهم من الصور

---

(١) ينظر: الرازي، **مختار الصحاح**. ص٣٧٥.

(٢) أبو داود، **سنن ابي داود**. كتاب السنة. باب في القدر. ح (٤٦٩٣). ص٨٤٧. والترمذي، **سنن الترمذي**. كتاب تفسير القرآن عن رسول الله (ﷺ). باب ومن سورة البقرة. ح (٢٩٥٥). ص٦٦٢. (قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح).

(٣) المباركفوري، **تحفة الأحوذي**. ج٨: ص٢٣٣.

(٤) سبق ترجمته، ص٩١.

المختلفة والتباين العظيم بينهم في المواد والصور والصفات والهيئات والأشكال والطبائع والقوى، اقتضت حكمته أن اخذ من الأرض قبضة من التراب ثم ألقى عليها الماء فصارت مثل الحمأ المسنون ثم أرسل عليها الريح فجففها حتى صارت صلصالاً كالفخار، ثم قدر لها الأعضاء والمنافذ والأوصال والرطوبات وصورها فأبدع في تصويرها وأظهرها في أحسن الأشكال وفصلها أحسن تفصيل مع اتصال أجزائها وهيأ كل جزء منها لما يراد منه وقدره لما خلق له عن أبلغ الوجوه ففصلها في توصيلها وأبدع في تصويرها وتشكيلها، ومعنى كل ذلك صنعته تبارك وتعالى في قبضة من تراب ثم اشتق منه صورة هي مثله في الحسن والجمال ليسكن إليها وتقر نفسه وليخرج من بينهما من لا يحصى عدده من الرجال والنساء سواه»(١).

ولذلك لمّا وصف الله تعالى خلق آدم في القرآن في كل مرة وصفه بأحد أطواره التي مرَّت بها طريقة خلقه وتكوينة طينته فلا تعارض في آيات القرآن، ثم أصبح أبناء آدم بعد ذلك يتكاثرون وصار خلقهم من الماء وهو المني الذي يخرج من الرجال والنساء وهو معروف، وكما بيّنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا** ﴾ [الفرقان: ٥٤].

وفي ذلك أيضاً مراحل للخلق يبنها قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ** ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

وفيما سبق اتضح أن خلق آدم (عليه السلام) مرّ بثلاث مراحل، أما المرحلة الأولى من خلق آدم فيمكن الاصطلاح عليها بالمرحلة الترابية من قبضة تراب من جميع الأرض

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. **التبيان في أقسام القرآن**. دار الفكر. ص٢٠٢. (بتصرف)

فكانت مخلطة فلذلك كان في الناس الحزن والسهل والأسود والأبيض وما نراه من اختلاف الناس، ثم جاءت المرحلة الثانية والتي هي مزج هذا التراب بالماء حتى أصبح طيناً لازباً، ثم بدأت المرحلة الثالثة وهي ترك الطين اللازب مدة حتى يجف ويصبح كالصلصال بحيث لو قرعته لأحدث صوتاً، ثم إن الله عز وجل نفخ في هذا الجسد الذي خلقه وهو جسد آدم عليه السلام نفخ فيه تبارك وتعالى من روحه ثم أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام سجود تكريم كما بينا ذلك في الباب الأول من هذه الدراسة.

المطلب الثاني: تحسين صورته

إن الله تعالى خلق الإنسان ليس كخلق أي كائن آخر بل كرّمه وعدله وقوّمه، قوّامة تليق بنوع الإنسان، فهو تقويم خاص بالإنسان لا يشاركه فيه غيره من المخلوقات، فهو تعديل للقوى الظاهرة والباطنة بحيث لا تكون إحدى قواه موقعة له فيما يفسده، ولا يعوق بعض قواه البعض الآخر عن أداء وظيفته، فإن غيره من جنسه كان دونه في التقويم، لكي يكون موضعاً للأوامر الربانية وأهلاً للتكليف(١).

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: «**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ**»(٢).

والمعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالاً ولا تردد في الارحام أطواراً كذريته، بل خلقه الله رجلاً كاملاً سوياً من أول ما نفخ فيه الروح على

---

(١) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٣٠: ص٤٢٤.

(٢) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الاستئذان. باب بدء السلام. ح (٥٨٧٣). ج٥: ص٢٢٩٩. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الجنة. باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير. ح (٢٨٤١). ص١١٤١.

صورته التي كان عليها في الأرض، وتوفي عليها وكانت صورته في الجنة هي صورته في الأرض لم تتغير، ثم عقب ذلك بقوله «**طوله ستون ذراعاً**» فعاد الضمير أيضاً على آدم وقيل معنى قوله على صورته أي لم يشاركه في خلقه أحد بخلاف بنيه فإن كلا منهم يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً وأعصاباً عارية ثم مكسوة لحما ثم حيواناً مجننا لا يأكل ولا يشرب ثم يكون مولوداً رضيعاً ثم طفلاً مترعرعاً ثم مراهقاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً[(١)].

وعن أبي هريرة (ﷺ) قال: «وفي حديث ابن حاتم عن النبي (ﷺ)» قال: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»[(٢)].

واختُلف في الضمير على من يعود فالأكثر على أنه يعود على المضروب أي على صورة المضروب لما تقدم من الامر بإكرام وجهه، ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها[(٣)].

لكن النووي[(٤)] ذكر بأن هذا الحديث من أحاديث الصفات وأن من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول نؤمن بأنها حق وأن ظاهرها غير مراد ولها معنى يليق بها وهذا مذهب جمهور السلف وهو أحوط وأسلم، وهناك من يرى انها تتأول على حسب ما يليق بتنزيه الله تعالى وإنه ليس كمثله شيء[(٥)].

أما ابن بطال[(٦)] فقد ضعّف الرأي الذي يقول بأن الضمير يعود إلى الله تعالى وقال: «فالهاء على هذا الوجه كناية عن المضروب في وجهه، وذهب طائفة إلى أن الهاء كناية

---

(١) ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**. ج٢٠: ص٧. والنووي، **المنهاج**. ج٩: ص١٨١. والمناوي، **فيض القدير**. ج١٣: ص١٠٨.

(٢) مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب البر والصلة والآداب. باب النهي عن ضرب الوجه. ح (٢٦١٢). ص١٠٥٠.

(٣) ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**. ج١٧: ص٢٦٢. والمناوي، **فيض القدير**. ج٧: ص١١.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) ينظر: النووي، **المنهاج**. ج٨: ص١٦٥.

(٦) سبق ترجمته.

عن الله تعالى وهذا أضعف الوجوه، لأن حكم الهاء أن ترجع إلى أقرب المذكور، إلا أن تدل دلالة على خلاف ذلك، وعلى هذا التأويل يكون معنى الصورة معنى الصفة كما يقال: عرفني صورة هذا الأمر أي صفته ولا صورة للأمر على الحقيقة إلا على معنى الصفة، ويكون تقدير التأويل أن الله خلق آدم على صفته أي خلقه حياً عالماً سمعياً بصيراً متكلماً مختاراً مريداً، فعرفنا بذلك إسباغ نعمه عليه وتشريفه بهذه الخصال[1].

وهذا ما نراه من أرجح الأقوال، فعليه يكون أمر النبي (ﷺ) لمن قاتل غيره أو ضرب عبده أن يجتنب الوجه إكراماً لآدم، لمشابهة المضروب له، فلا يضرب صورة خلقها الله بيده، فانتسب إلى هذا العبد، ومراعاة لحق الأبوة، وتفضيل الله لها حين خلق آدم بيديه، وأسجد له ملائكته، فالهاء راجعة في قوله: «على صورته» عند الأكثرين إلى المضروب، وهذا حسن[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١].

معناه: ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صوّرناه، وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن الذي يتلو ذلك قوله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم، قبل أن يصوِّر ذريته في بطون أمهاتهم، بل قبل أن يخلُق أمهاتهم»[3].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

---

(١) ينظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**. ج٩: ص٧.

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**. ج٧: ص٧٠. والعيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (ت ٨٥٥هـ). **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج١٣: ص١١٦.

(٣) الطبري، **جامع البيان**. ج١٢: ص٣٢١.

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣].

والمراد بقوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي: فخلقكم في أحسن الأشكال، ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم، ولم يخلق حيواناً أحسن صورة من الإنسان، حيث خلق كلاً منكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الأعضاء والتخطيطات متهيأ لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات، ولم يجعلكم كالبهائم منكوسين تمشون على أربع[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦ -٧]. وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ خلاف بين القرّاء في قراءة (فَعَدَلَك)، فقرأه الكوفيون بالتخفيف والباقون بالتشديد[2]، والامام الطبري[3] حسّن القراءة بالتشديد وعلّله تعليلاً حسناً.

حيث قال: «الذي خلقك أيها الإنسان فسوّى خلقك ﴿فَعَدَلَكَ﴾ واختلفت القرَّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرَّاء المدينة ومكة والشام والبصرة (فعدّلك) بتشديد الدال، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بتخفيفها، وكأن من قرأ ذلك بالتشديد وجَّه معنى الكلام إلى أنه جعلك معتدلاً معدّل الخلق مقوّماً، وكأن الذين قرأوه بالتخفيف، وجَّهوا معنى الكلام إلى صرفك وأمالك إلى أيّ صورة شاء، إما إلى صورة حسنة، وإما إلى صورة قبيحة، وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجبهما إليّ أن أقرأ به قراءة من

---

(١) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**. ج٥: ص٦٢. وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٧: ص١٥٦. والزمخشري، **الكشاف**. ج٦: ص١٣٢. والآلوسي، **روح المعاني**. ج١٢: ص٣٣٥. والصابوني، **صفوة التفاسير**. ج٣. ص٩٥.

(٢) ينظر: سالم، **فريدة الدهر**. ج٤: ص٧١٥.

(٣) سبق ترجمته.

قَرَأ ذلك بالتشديد، لأن دخول «في» للتعديل أحسن في العربية من دخولها للعدل، ألا ترى أنك تقول: عدّلتك في كذا، وصرفتك إليه، ولا تكاد تقول: عدلتك لي كذا وصرفتك فيه، فلذلك اخترت التشديد»[1]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

والمراد من الإنسان هذه الماهية (أي ماهية الإنسان وكينونته) والتقويم تصبير الشيء على ما ينبغي أن يكون في التأليف والتعديل، يقال: قَوَّمْتُهُ تَقْوِيماً فَاسْتَقَامَ وَتَقَوَّمَ، وقوله تعالى: (أحسن) أي أنه تعالى خلق كل ذي روح مكباً على وجهه إلا الإنسان فإنه تعالى خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده وكان بعض الصالحين يقول: إلهنا أعطيتنا في الأولى أحسن الأشكال، فأعطنا في الآخرة أحسن الفعال، وهو العفو عن الذنوب، والتجاوز عن العيوب[2].

ومن التكريم أيضاً حرمة الإنسان ميتاً كحرمته حياً، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١]. أي جعله ذا قبر يواري فيه إكراماً له، ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله السباع والطير، أو يستقذره من يراه، فأمر الله تعالى بدفنه، لذا أجمع العلماء على أن للميت على ذويه وإخوانه حقوق أربعة، هي فروض كفائية[3] بالإضافة إلى حق أو واجب التجهيز: وهي الغسل، والتكفين والصلاة عليه ودفنه[4]. وعن عائشة (رضي اللّه عنها) قالت: قال رسول الله (ﷺ) «**كسرُ عظمِ الميتِ ككسرِهِ حياً**»[5].

---

(١) الطبري، **جامع البيان**. ج٢٤: ص٢٦٩-٢٧٠. (بتصرف)

(٢) ينظر: الفخر الرازي. **التفسير الكبير**. ج٣٢: ص٢١٢

(٣) الفرض أو الواجب الكفائي: هو ما يطلب الشارع حصوله من مجموع المكلفين بدون النظر إلى مكلف بعينه بحيث إذا فعله واحد منهم سقط الطلب عن الباقين. ينظر: عبد الرحمن، فاضل عبد الواحد. **الأنموذج في أصول الفقه**. بغداد: دار الحكمة، (١٩٨٧م). ص٣٧.

(٤) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٥: ص٤٣٩. والآلوسي، **روح المعاني**. ج١٥: ص٢٤٧. والاشقر، **زبدة التفسير**. ص٧٩٢. والزحيلي، **الفقه الإسلامي وأدلته**. ج٢: ص١٤٨٣.

(٥) سبق تخريجه.

المبحث الثاني

أطوار خلق الإنسان

المطلب الأول: آيات الخلق

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز وفي آيات كثيرة كيفية خلق الإنسان ومراحل الخلق، تذكيراً بهذه النعمة العظيمة، والتي تدل على قدرته سبحانه وتعالى العظيمة، وفي هذا المطلب نذكر من هذه الآيات ما تناسب وموضوع بحثنا.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ [النحل: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢- ١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر: ١١].

وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر: ٦].

المطلب الثاني: تفسير الآيات وآراء العلماء

نأخذ من الآيات التي مرّت سورة [الحج: ٥]، وسورة [المؤمنون: ١٢- ١٤] تفسيراً ودلالة على الخلق، وذلك لأن هذه الآيات فيها تفاصيل مراحل الخلق، حيث يُستنبط من هذه الآيات الكريمات بأن الإنسان خُلق على سبعة أطوار:

* **الطور الأول:** قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ «وفيه وجهان: أحدهما: إنا خلقنا أصلكم وهو آدم عليه السلام من تراب، والثاني: أن خلقة الإنسان من المني ودم الطمث وهما إنما يتولدان من الأغذية، والأغذية إما حيوان أو نبات وغذاء الحيوان ينتهي قطعاً

للتسلسل إلى النبات، والنبات إنما يتولد من الأرض والماء"[١].

ورجح الشنقيطي[٢] الوجه الأول وقال ببطلان الوجه الثاني، حيث قال فلما كان أصلهم الأول من تراب، أطلق عليهم أنه خلقهم من تراب لأن الفروع تبع للأصل، وقد ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أطوار خلق الإنسان، فالتراب هو الطور الأول[٣].

* **الطور الثاني:** قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ والنطفة اسم للماء القليل أي ماء كان، وهو ههنا ماء الفحل، فكأنه سبحانه يقول: أنا الذي قلبت ذلك التراب اليابس ماءً لطيفاً، مع أنه لا مناسبة بينهما، أو ثم أنشأناكم من نطفة آدم والنطفة تقع على قليل الماء وكثيره[٤].

ومن المفسرين من قال: «إن النطفة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة، خلافاً لمن زعم أنها من ماء الرجل وحده[٥].

وقد أشار القرآن الكريم إلى النطفة باعتبارها المادة التي يتم منها هذا التكوين، ووردت كلمة «**نطفة**» في القرآن الكريم في اثني عشر موضعاً، إلّا أن المني وحده لا يكفي لتكوين الإنسان جنيناً في رحم الأم، فهنا يجب ألا يقتصر على المني الذكري أي ماء الرجل، وإنما يجب أن يمتد ليشمل ماء المرأة، فالنطفة المذكرة «الحيوان المنوي»، والنطفة المؤنثة «البويضة الأنثوية»، يندمجان معاً ليتكون من كلٍّ منهما نطفة جديدة مخصبة، هي التي يسميها علم الأجنة بـــ«اللاقحة» وهي تمثل الطور الأول من تكوين الجنين ويعبر القرآن الكريم عن هذه العملية تعبيراً معجزاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، والأمشاج هي الأخلاط الناتجة عن امتزاج ماء الرجل بماء المرأة[٦].

---

(١) الفخر الرازي. **التفسير الكبير**. ج٢٣: ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) ينظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**. ج٤: ٢٦٥-٢٦٦.

(٤) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج١٨: ص٥٦٧. وابن عطية، **المحـــرر الـــوجيز**. ج٤: ص١٠٧. والفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٣: ص٢٠٤.

(٥) ينظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**. ج٤: ص٢٦٦.

(٦) ينظر: صادق، آمال. وأبو حطب، فؤاد. **نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلـــة المـــسنين**. ط٤. مكتبة الأنجلو المصرية. ص٣٨.

* **الطور الثالث:** قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ العلقة قطعة الدم الجامدة أو الدم العبيط، أي الطري، ولا شك أن بين الماء وبين الدم الجامد مباينة شديدة[1].

وهناك من فسّر «**العلقة**» بأنها: «جنين يعلق بجدار الرحم كأنه دودة، ومنه قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢] أي: حيوان يعلق بجدار الرحم كأنه دودة»[2].

* **الطور الرابع:** قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فالمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ، نحو الغُرْفَة والأكْلَة بمعنى المغروفة والمأكولة[3].

اختار الطبري[4] في قوله تعالى: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ قول من قال: المخلقة المصورة خلقاً تاماً، وغير مخلقة: السِّقط قبل تمام خلقه، لأن المخلقة وغير المخلقة من نعت المضغة والنطفة بعد مصيرها مضغة، لم يبق لها حتى تصير خلقاً سوياً إلا التصوير، وذلك هو المراد بقوله ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ خلقاً سوياً، وغير مخلقة بأن تلقيه الأم مضغة ولا تصوّر ولا ينفخ فيها الروح[5].

وقال الماوردي[6] «فيه أربعة تأويلات: أحدها: أن المخلقة ما صار خلقاً، وغير مخلقة ما دفعته الأرحام من النطف فلم يصير خلقاً، والثاني: معناه تامة الخلق وغير تامة الخلق، والثالث: معناه مصورة وغير مصورة كالسقط، والرابع: يعني التام في شهوره، وغير التام»[7].

---

(١) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٤: ص١٠٧. والفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٣: ص٢٠٤. والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٢: ص٦. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج١٧: ص١٩٧. والشنقيطي، **أضواء البيان**. ج٤: ص٢٦٦.

(٢) الجمل، **معجم وتفسير لغوي**. ج٣: ص١٥٣.

(٣) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٣: ص٢٠٤. وابن عادل، **اللباب**. ج١٤: ص١٨.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) ينظر: **الطبري، جامع البيان**. ج١٨: ص٥٦٨-٥٦٩.

(٦) سبق ترجمته.

(٧) الماوردي، **النكت والعيون**. ج٤: ص٧.

ورجح الفخر الرازي[1] القول الثاني بأن يكون المراد من تمت فيه أحوال الخلق ومن لم تتم، كأنه سبحانه قسم المضغة إلى قسمين: أحدهما: تامة الصور والحواس والتخاطيط وثانيهما: الناقصة في هذه الأمور، وهو أقرب لأنه تعالى قال في أول الآية: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾ وأشار إلى الناس فيجب أن تحمل مخلقة وغير مخلقة على من سيصير إنساناً وذلك يبعد في السقط لأنه قد يكون سقطاً و لم يتكامل فيه الخلقة[2].

وأيده ابن عاشور[3] في ذلك حيث قال: «قوله تعالى: مخلقة وغير مخلقة صفة مضغة، وذلك تطور من تطورات المضغة، أشار إلى أطوار تشكل تلك المضغة فإنها في أول أمرها تكون غير مخلقة، أي غير ظاهر فيها شكل الخلقة، ثم تكون مخلقة، والمراد تشكيل الوجه ثم الأطراف، ولذلك لم يذكر مثل هذين الوصفين عند ذكر النطفة والعلقة، إذ ليس لهما مثل هذين الوصفين بخلاف المضغة، وإذ قد جعلت المضغة من مبادئ الخلق تعين أن كلا الوصفين لازمان للمضغة، فلا يستقيم تفسير من فسر غير المخلقة بأنها التي لم يكمل خلقها فسقطت»[4].

أما قوله تعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ «أي كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة»[5].

وقوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول تعالى ذكره: «من كنا كتبنا له بقاء وحياة إلى أمد وغاية، فإنا نقرّه في رحم أمه إلى وقته الذي جعلنا له أن

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٣: ص٢٠٤.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج١٧: ص١٩٨.

(٥) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن (ت ٧٤١هـ). **لباب التأويل في معاني التتريل**. تحقيق محمد علي شاهين. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ). ج٣: ص٢٤٩.

يمكث في رحمها، فلا تسقطه، ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله، فإذا بلغ وقت خروجه من رحمها أذنا له بالخروج منها، فيخرج، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[1].

* **الطور الخامس:** قوله: ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ﴾ «وإنما وحَّدَ الطفل لأن الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل أن يخرج كل واحد منكم طفلاً»[2].

* **الطور السادس:** قوله: ﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ﴾ والأشد كما جاء في معظم التفاسير هو كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد وكأنها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع، والمراد والله أعلم ثم سهل في تربيتكم وأغذيتكم أموراً لتبلغوا أشدكم فنبه بذلك على الأحوال التي بين خروج الطفل من بطن أمه وبين بلوغ الأشد ويكون بين الحالتين وسائط، وذكر بعضهم أنه ليس بين حال الطفولية وبين ابتداء حال بلوغ الأشد واسطة حتى جوز أن يبلغ في السن ويكون طفلاً كما يكون غلاماً ثم يدخل في الأشد[3].

* **الطور السابع:** قوله: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ «والمعنى أن منكم من يتوفى على قوته وكماله، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر وهو الهرم والخرف، فيصير كما كان في أول طفوليته ضعيف البنية، سخيف العقل، قليل الفهم، فإن قيل كيف قال: ﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ مع أنه يعلم بعض الأشياء كالطفل؟ قلنا المراد أنه يزول عقله فيصير كأنه لا يعلم شيئاً لأن مثل ذلك قد يذكر في النفي لأجل المبالغة»[4].

وقوله تعالى: ﴿... فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. «أي جعلها الله سبحانه متصلبة

---

(١) **الطبري، جامع البيان**. ج١٨: ص٥٦٩.

(٢) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٣: ص٢٠٥.

(٣) ينظر: **المصدر نفسه**، ج٢٣، ص٢٠٥.

(٤) **المصدر نفسه**. ج٢٣: ص٢٠٥.

لتكون عموداً للبدن على أشكال مخصوصة ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ أي أنبتَ الله سبحانه على كل عظم لحماً على المقدار الذي يليق به ويناسبه ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ أي نفخنا فيه الروح بعد أن كان جماداً ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ أي استحق التعظيم والثناء، وقيل: مأخوذ من البركة، أي كثر خيره وبركته، والخلق في اللغة: التقدير، يقال: خلقت الأديم: إذا قسته لتقطع منه شيئاً، فمعنى ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾: أتقن الصانعين المقدّرين»[1].

والرسول (ﷺ) يبيّن هذه المراحل والمراتب من خلق الإنسان، فعن عبد الله[2] قال حدثنا رسول الله (ﷺ) وهو الصادق المصدوق: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيّ أو سَعِيدٌ...**»[3].

وقال تعالى: ﴿... يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].

فالجنين في بطن امه يتحول من طور إلى طور وفي ظلمات ثلاث، ظلمة الكيس الذي يغلف الجنين، وظلمة الرحم الذي يستقر فيه هذا الكيس، وظلمة البطن الذي تستقر فيه الرحم، والله تعالى يخلق هذه الخلية الصغيرة خلقا من بعد خلق، وعين الله ترعى هذه الخليقة وتودعها القدرة على النمو، والقدرة على التطور، والقدرة على الارتقاء، والقدرة على السير في تمثيل خطوات النفس البشرية كما قدر لها بارئها، وتتبع هذه الرحلة القصيرة الزمن البعيدة الآماد، وتأمل هذه التغيرات والأطوار وتدبر تلك الخصائص العجيبة

---

(١) الشوكاني، **فتح القدير**. ج٣: ص٥٦٥.

(٢) وهو عبد الله بن مسعود. ينظر: ابن رجب. **جامع العلوم والحكم**. ص١٥٣.

(٣) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب بدء الخلق. باب ذِكرِ الملائكة. ح (٣٠٣٦). ج٣: ص١١٧٤. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب القدَر. باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته. ح (٢٦٤٣). ص١٠٦٠.

التي تقود خطى هذه الخلية الضعيفة في رحلتها العجيبة، في تلك الظلمات وراء علم الإنسان وقدرته وبصره، هذا كله من شأنه أن يقود القلب البشري إلى رؤية يد الخالق المبدع، رؤيتها بآثارها الحية الواضحة الشاخصة، والإيمان بالوحدانية الظاهرة الأثر في طريقة الخلق والنشأة(1).

قال تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١].

فكما خلق الله تعالى آدم بمراحل خلق ذريته بمراحل أيضاً، حيث تبدأ بمرحلة النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم يرسل الله تعالى الملك لينفخ فيه الروح ويؤمر بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، وكل هذه لحكمة ارادها الله تعالى فتبارك الله حسن الخالقين، ولكي يعلم الإنسان كما كان موضعاً للعناية الإلهية في هذه المراحل سيكون أيضاً موضعاً للعناية والرعاية والتكريم الإلهي في الدنيا، وكذلك في الآخرة شريطة خضوعه وإطاعته له سبحانه.



---

(١) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**. ج٥: ص٣٠٣٩-٣٠٤٠.

المبحث الثالث

تكريم الإنسان بمهمته الدينية

إن الإنسان لا يمكن أن يشعر بالسعادة الحقيقية إلا عندما يصل إلى حقيقة مهمة، ألا وهي الغاية من خلقه ومهمته على هذه الأرض، فإذا بقي دون أن يكشف سر وجوده والغاية من خلقه ومهمته، تصبح حياته قلقاً، وخوفاً، واضطرابات نفسية، وضيقاً، وفي بعض الأحيان تؤدي به إلى الانتحار.

إن منهاج الله تعالى هو الذي يبين لنا هذه المهمة بصورها العامة في أربعة مصطلحات قرآنية ربانية نذكرها فيما يلي، فإن المصطلحات الأربعة مجتمعة تعرض المهمة من جميع جوانبها، ثم يُفَصِّلُ سبحانه وتعالى المهمة كلها بالتفصيل الأوفى، حتى لا يبقى لأحد عذر في عدم الوفاء بها[1]:

۞ **أولاً - العبادة:** يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

۞ **ثانياً - الأمانة:** يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢- ٧٣].

۞ **ثالثاً - الخلافة:** يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

---

(١) النحوي، عدنان علي رضا، **حتى نغير ما بأنفسنا**. ط١. الرياض: دار النحوي، (١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م). ص٦٥-٦٦.

۞ **رابعاً - العمارة:** يقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هود: ٦١].

المطلب الأول: العبادة[(١)]

فالقرآن الكريم يبيّن لنا أن العبادة بمفهومها العام هي التي لأجلها خلق الخلق وبها أرسل جميع الرسل، كما قال نوح لقومه، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم[(٢)].

وبهذا لا يمكن أن يخرج أي شيء من نشاط الإنسان وأعماله، سواء كان ذلك في العبادات المحضة، أو في المعاملات المشروعة، أو في العادات التي طبع الإنسان على فعلها، ومن ذلك يتضح أن الدين كله داخل في العبادة، والدين منهاج الله جاء ليسع الحياة كلها، وينظم جميع أمورها من أدب الأكل والشرب وقضاء الحاجة إلى بناء الدولة، وسياسة الحكم، وسياسة المال، وشؤون المعاملات والعقوبات، وأصول العلاقات الدولية

---

(١) سبق تعريفها.

(٢) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٨١٣.

في السلم والحرب[1].

يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

لقد كان الجيل الأول الذي رباه رسول الله (ﷺ) يفهم الحياة كلها على إنها عبادة، تشمل الصلاة والنسك وتشمل العمل كله، وتشمل لحظة الترويح كذلك، فلا شيء في حياة الإنسان كلها خارج من دائرة العبادة التي تنحصر فيها غاية الوجود الإنساني على هذه الأرض، وإنما هي ساعة بعد ساعة في أنواع مختلفة من العبادة، كلها عبادة وإن اختلفت أنواعها ومجالاتها ونطاقاتها، فالصلاة عبادة والنسك عبادة، والكدح عبادة، سواء كان كدحاً سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو فكرياً أو علمياً.. الخ[2].

وهكذا يقضون الحياة كلها في عبادة.. عبادة تشمل نشاط الروح كله، ونشاط العقل كله، ونشاط الجسد كله، ما دام هذا كله متوجهاً به إلى الله، وملتزماً فيه بما أنزل الله. وهذا هو المفهوم الصحيح للعبادة كما أنزله الله.. المفهوم الشامل الواسع العميق[3].

فالعبادة في الإسلام نظام متكامل لترقية الإنسان الخلقية، حتى يستحق هذا المقام الكريم ويؤدي التكليف الإلهي له على الوجه الأكمل، فأي إنسان يتحرك في أي اتجاه لتحقيق أية مصلحة اجتماعية يُعد عابداً لله[4].

وقال الامام الفخر الرازي[5] في تفسير قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

---

(١) ينظر: الصلابي، علي محمد الصلابي. **تبصير المؤمنين بـ(فقه النصر والتمكين) في القرآن الكريم**. الاسكندرية: دار الإيمان، (٢٠٠٢م). ص٢١٥-٢١٦.

(٢) ينظر: قطب، محمد. **مفاهيم ينبغي أن تصحح**. ط٨. القاهرة- مصر: دار الشروق، (١٩٩٤م). ص٢٠٣.

(٣) ينظر: **المصدر نفسه**، ص٢٠٥.

(٤) ينظر: عبد الحميد، **الإسلام والتنمية الاجتماعية**. ص٦٥.

(٥) سبق ترجمته.

و«من عرف فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها، وثقل عليه الاشتغال بغيرها، وبيانه من وجوه: الأول: أن الكمال محبوب بالذات، وأكمل أحوال الإنسان وأقواها في كونها سعادة اشتغاله بعبادة الله، فإنه يستنير قلبه بنور الإلهية، ويتشرف لسانه بشرف الذكر والقراءة، وتتجمل أعضاؤه بجمال خدمة الله، وهذه الأحوال أشرف المراتب الإنسانية والدرجات البشرية، فمن وقف على هذه الأحوال زال عنه ثقل الطاعات وعظمت حلاوتها في قلبه. الثاني: أن العبادة أمانة بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. وأداء الأمانة واجب عقلاً وشرعاً، بدليل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وأداء الأمانة صفة من صفات الكمال محبوبة بالذات[1].

«ومن هنا فإن النظريات الروحية الفلسفية التي دخلت في المجتمع الإسلامي عبر التاريخ، والتي أدت إلى الانهزامية في الحياة والرهبانية السلبية، تتعارض مع النظام الروحي الإسلامي الذي كله تربية وبناء وحركة لأن مملكة الإنسان هي في هذه الحياة على الأرض وليست في عوالم روحية موهومة، يقول سبحانه: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]»[2].

ومما سبق يُعلم إن كل شيء في الحياة ينقلب إلى عبادة خالصة، إذا كان قصد العمل فيه طاعة الخالق، وفيه تحقيق أكبر قدر ممكن من المنفعة الذاتية والاجتماعية المشروعة، وكل حركة الإنسان محسوبة عليه سلباً وإيجاباً، سلباً إذا عادت عليه بالضرر أو على مجتمعه، وإيجاباً إذا عادت عليه بالنفع أو على مجتمعه، وكذلك جميع ما يقوم به الإنسان يدخل ضمن العبادة بمعناها الشامل الواسع، إذا قصد بذلك العمل إرضاء الله سبحانه وتعالى.

---

(١) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١: ص٢١٣. (بتصرف)

(٢) ينظر: عبد الحميد، **الإسلام والتنمية الاجتماعية**. ص٦٦.

المطلب الثاني: الأمانة

تدخل الأمانة تحت المفهوم الشامل للعبادة والتي سبقت ولكن بقي أن نذكر بعض الآيات التي صرحت بكلمة الأمانة وآراء بعض المفسرين فيها:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

«والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور»[١].

فالأمانة هي الفرائض التي ائتمن الله عليها العباد، وقد اختلف في تفاصيل بعضها على أقوال: فقال ابن مسعود (رضي الله عنه): هي في أمانات الأموال كالودائع وغيرها، وروى عنه أنها في كل الفرائض وأشدها المال، وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: الأمانة الفرائض، عرضها الله عز وجل على السموات والأرض والجبال، إن أدوها أثابهم، وأن ضيعوها عذبهم. فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيما لدين الله عز وجل ألا يقوموا به، ثم عرضها على ادم فقبلها بما فيها[٢].

وهذا النوع من التكليف ليس في السموات ولا في الأرض، لأن الأرض والجبل والسماء كلها على ما خلقت عليه، وذلك لأن الجبل لا يطلب منه السير، والأرض لا يطلب منها الصعود، ولا من السماء الهبوط ولا في الملائكة لأن الملائكة وإن كانوا مأمورين منهيين عن أشياء لكن ذلك لهم كالأكل والشرب لنا فيسبحون الليل والنهار لا يفترون كما يشتغل الإنسان بأمر موافق لطبعه[٣].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]. إن الله تعالى يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور وغير

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٤: ص٢٥٣.

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**، ج١٤: ص٢٥٤ وما بعدها.

(٣) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٥: ص١٨٧.

ذلك، مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض، كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به من غير اطلاع بينة على ذلك، فأمر الله عز وجل بأدائها فمن لم يفعل ذلك في الدنيا اخذ منه ذلك يوم القيامة[1].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْـلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ ﴾ «ما اؤتمنتم عليه من الدين وغيره وانتم تعلمون»[2].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ [المعارج: ٣٢].

«أي إذا اؤتمنوا لم يخونوا بل يؤدوها إلى أهلها وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك»[3].

والذي تبين هنا عند تفسير آيات الأمانة، أنها من الأعمال التي يحبها الله تعالى وهي من أعمال البر التي أوصى بها الله تعالى ورسوله المؤمنين بالله ورسوله وباليوم الآخر، وهي صفة محمودة، بل صفة لابد منها، وبدونها لا يمكن للمجتمع أن ترتاح له البال، فبها تنهض المجتمعات وتطمئن القلوب وتنتشر الثقة بين شرائح المجتمع وتنهض المؤسسات، وهي تدخل من جملة الصفات والأعمال التي تتكون منها العبادة.



(١) ينظر: الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**. ج١: ص٤٠٦.

(٢) خلوف، علي بن مصطفى. **مهذب تفسير الجلالين**. للإمامين جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي. ط١. دمشق: مؤسسة الرسالة، (٢٠٠٠م). ص١٨٠.

(٣) **المصدر السابق**، ج٢: ص٥٥٧.

المبحث الرابع

تكريمه بمهمته على الارض

المطلب الأول: الخلافة[1]

من أهم الواجبات والمهمات التي كلف بها الإنسان على الأرض هي واجب الخلافة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

إن تكامل الإنسان وترقيه لاقترابه من الله لا يكون إلا عبر منهاج العبادة، ولذلك قال تعالى في بيان قطعي: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ووظيفة الخلافة التي جعلت غاية للوجود الإنساني تعني بما تقدم من المعاني مباشرة الإنسان للكون بالروح والجسم: اعتباراً به واستثماراً لمنافعه وخيراته كل ذلك تكميلاً للذات في بعدها الفردي والجماعي وترقية لها في وجهتها إلى الله تعالى عبر منهاج العبادة ائتماراً بما أمر وانتهاء بما نهى[2].

ولا زال القرآن الكريم بعد الإعلان الأول يعظم هذه المهمة ويبين محتواها وأهدافها وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ﴾ [فاطر: ٣٩].

والمراد بالخلافة إما الخلافة من جهته سبحانه في إجراء أحكامه وتنفيذ أوامره بين الناس وسياسة الخلق، لكن لا لحاجة به تعالى إلى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات، وإما الخلافة ممن كان في الأرض قبل ذلك فتعم حينئذ الجميع[3].

---

(١) تم تفسيرها وذكر آراء العلماء فيها، ص٤٩-٥٠.

(٢) ينظر: النجار، **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل**، ص٦٢-٦٣.

(٣) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**. ج١: ص٨١-٨٢.

فالخليفة هنا الذي يخلف صاحب الشيء في التصرف في مملوكاته ولا يلزم أن يكون المخلوف مستقرا في المكان من قبل، فالخليفة آدم وَخَلَفِيَّتُهُ قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض، بالإلهام أو بالوحي وتلقين ذريته مراد الله تعالى من هذا العالم الأرضي، فهي إذن المهمة الوجودية للإنسان لتنفيذ مراده في الأرض وإجراء أحكامه فيها وهذا معناه أن يكون الإنسان سلطانا في الكون بغاية تطبيق المهمة التي كلفه بها المستخلِف(١).

ومضمون «الأمانة» الإلهية، وبالتالي مضمون «الخلافة»، هو بناء الثقافة والحضارة والسمو بها، إن محور «الخلافة» هو تحقيق السلام والأمن على الحياة والممتلكات وتنظيم البشرية في مجتمعات منظمة قادرة على إنتاج الطعام وعلى معالجته وتخزينه وتوزيعه على الجميع بشكل كاف كماً ونوعاً، وتهيئة المأوى والدفء والراحة والاتصالات واليسر، وإعداد ما يكفي من الأدوات اللازمة لتحقيق هذه الأهداف، وأخيراً، تهيئة الفرص للتعليم وتحقيق الذات وللتمتع الترفيهي والجمالي. وهذا مرادف لإقامة ثقافة وحضارة ولبناء الحياة في هذا الوجود(٢).

ويأتي هذا الاستخلاف على أنه عمل سياسي (ادارة شؤون العباد) في المقام الأول، وكثيرا ما ربط القرآن الكريم الاستخلاف بإقامة السلطة السياسية وبضمان الأمن والسلام.

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

قال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦].

---

(١) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج١: ص٣٩٩. والنجار، **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل**. ص٦٢-٦٣

(٢) ينظر: الفاروقي، إسماعيل راجي. **أسلمة المعرفة: المبادئ العامة وخطة عمل**. ترجمة عبد الوارث سعيد. الكويت: دار البحوث العلمية، (١٩٨٣م). ص٥٩.

وبالقضاء على أعداء الله واستبدال نُظم حكمهم الظالمة بحكم الله في الأرض قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ١٣-١٤].

إذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلِّمَ لهذا الكائن الجديد في الوجود، زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحوير والتبديل، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله -بإذن الله- في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه(١).

هذه المهمة التي كلّف الله به الإنسان، وجعلها غاية لوجوده تنبني على عنصر أساسي هو معنى الخليفة عن الله، ومن هذا العنصر تستمد جوهر حقيقتها وكل أبعادها: فالخَلَفية تقتضي أن يكون الهم الأكبر للخليفة ترقّيه نحو مستخلفه، واقترابه منه ليحقق معنى الاستخلاف على الوجه الأفضل، ولذلك فان الإنسان الخليفة جوهر خلافته أن يحصر همه وجهده في الاقتراب من الله مستخلفه، وذلك بالعمل الدائب والكدح المستديم لترقية ذاته وتنميتها حتى يبلغ من الكمال إلى الدرجة التي ذكرها الله في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق: ٦].

المطلب الثاني: العمارة

إن محور الدين الذي ألزم الله به عباده، بما فيه من نسك وعبادات، إنما هو تزكية النفس البشرية، وتطهيرها مما قد يعلق بها عادة من الأدران يقول سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤].

---

(١) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج١: ص٥٦

وليست تزكية النفس بدورها، إلا الشرط الأساسي لتحمل الإنسان لمسؤولياته الحضارية بصدق وجد، فبمقدار ما تتزكى النفس وتصفو من كدوات الأهواء والرعونات، يُخلص صاحبها في تحمل كل ما يجب أن يتحمله في سبيل بني جنسه من المهام والواجبات المختلفة، وبمقدار ما تنطوي تلك النفس على شوائبها ورعوناتها، يغدو صاحبها أداة للإفساد في الأرض، ولإهلاك الحرث والنسل، ابتغاء مصالحه وأهوائه الشخصية، مهما تحلى ظاهره بالصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة[1].

فالوظيفة التي يحملها القرآن للإنسان في الحقيقة، إنما هي عمارة الأرض، بمعناها الشامل، وهي تشمل فيما تشمل، إقامة مجتمع إنساني سليم، وإشادة حضارية إنسانية شاملة، ليكون الإنسان بذلك مظهراً لعدالة الله تعالى وحكمه في الأرض، ولكن ليس بالقسر والإجبار، بل بالتعليم والاختيار، وينص القرآن في أكثر من موطن على هذه الوظيفة التي حملها الإنسان، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]. «أي كفلكم بعمارتها»[2].

«فلأجل منافعهم في الأرض قيدت نعمة الخلق بأنها من الأرض التي أنشئوا منها، ولذلك عطف عليه واستعمركم فيها، والاستعمار: الإعمار، أي جعلكم عامريها، فالسين والتاء للمبالغة كالتي في استبقى واستفاق، ومعنى الإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع، لأن ذلك يعد تعميرا للأرض، حتى سمي الحرث عمارة لأن المقصود منه عَمْرُ الأرض»[3].

ويقول تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

ويقول سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

---

(١) ينظر: البوطي، محمد سعيد رمضان. **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**. ط١. دمشق: دار الفكر، (١٩٨٢م). ص٢٥-٢٦.

(٢) **المصدر نفسه**، ص٢٦.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج١٢: ص١٠٨.

فهذه الآيات ومثلها في القرآن كثير، تنطوي على تعريف صريح بالمهمة الأساسية التي كلف الإنسان بها في حياته الدنيوية هذه أن ينهض بها ألا وهي تحقيق جامعة إنسانية فعّالة، في سبيل النهوض بعمارة هذا الكوكب الأرضي عمارة كلية شاملة لكل ما تتسع له كلمة «العمارة» من المعاني المادية والعلمية والاقتصادية، ومن هنا شرّف الله الإنسان الذي قبل النهوض بهذه المهمة على الوجه الذي رسمه الله تعالى له بلقب «الخليفة» وأعطاه صفة «الإمامة» وخلع عليه خلعة التكريم[1].

«وهكذا يتبين أن مدار الإسلام (هو دين الله المطلق لهذه الخليقة منذ نشأتها) على النهوض بعمارة الأرض على خير وجه، وإنما شرع الله فيه ما شرع من جزئيات الأحكام السلوكية أو الالزامات الاعتقادية، تيسيراً للنهوض بهذا الواجب المقدس على النحو الذي أمر به الله عز وجل»[2].

فإن الله سبحانه وتعالى استخلف البشر في الأرض بقصد عمارة الكون وإنمائه، واستغلال كنوزه وثرواته، والناس في ذلك شركاء، والمسلمون ينفذون أمر الله ومقاصده، قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا أَيْ: «وَجَعَلَكُمْ عُمَّاراً فِيهَا مِنَ الْعُمْرَانِ،... وَالْمُرَادُ أَنَّهُ هُوَ الْمُنْشِئُ لِخَلْقِكُمْ وَالْمُمِدُّكُمْ بِأَسْبَابِ الْعُمْرَانِ وَالنِّعَمِ فِيهَا»[3].

كما هو واضح من قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

---

(١) ينظر: البوطي، **منهج الحضارة الإنسانية**. ص٢٦، ٢٧.

(٢) **المصدر نفسه**. ص٢٧.

(٣) رشيد رضا، **تفسير المنار**. ج١٢: ص١٢١-١٢٢.

فكما أن الالتزام العام بفروض الكفاية يؤدى إلى التضامن بين أبناء الأمة، كذلك فإن الإنسان بالعمل يكون قدوة للآخرين وقد جمع النبي (ﷺ) ذلك في الحديث الآتي:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللَّه منَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيف وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ باللَّه وَلاَ تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا قُلْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[1].

«والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلباً لها ومُحَافَظَةً عليها ونحو ذلك وأما قوله ﷺ وفي كل خير فمعناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات»[2].

لذا فإن عمارة الأرض واستغلالها، يتقيدان في الإسلام بطاعة الله والاهتداء بهديه والامتناع عمّا نهى عنه، والاعتقاد بأن الناس جميعاً شركاء في المنتجات الطبيعة المباحة، فكان لا بد لهم من التراحم والتعاون في العمل والانتاج (العطاء) بدون تخصيص، أو تمييز البشر في الجنس أو اللون أو العنصر.

ويقدم الإسلام أروع صورة لعمارة الأرض في ظل ثقافة التوحيد لله والاستخلاف للإنسان، في داخل إطار المشروعية العليا الإسلامية، ألا وهى العدل المستمد من التوحيد، فكما أن الإسلام دينٌ الدعوة للتراحم والمودة فإنه كذلك دينٌ يدعو للعمل والإنتاج، لتعمير الكون، حتى يعيش الإنسان في خير وسعادة.

---

(١) مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب القدر. باب في الامر بالقوة وترك العجز. ح (٢٦٦٤). ص١٠٦٩.
وابن ماجه. **سنن ابن ماجه**. المقدمة. باب في القدر. ح (٧٩). ج١: ص٣١.

(٢) النووي، **المنهاج**. ج١٦: ص٢١٥.



وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: الطيبات في القرآن**

المطلب الأول: مفهوم الطيبات

المطلب الثاني: معاني الطيبات ودلالاتها

- **المبحث الثاني: تحريم الخبائث**

المطلب الأول: مفهوم الخبائث

المطلب الثاني: الحِكْمةُ من تحريم الخبائث

- **المبحث الثالث: حق الجسد**

المطلب الأول: الحفاظ عليه

المطلب الثاني: دفع المشقة والهلاك عنه

- **المبحث الرابع: الطيبات في الجنة**

المطلب الأول: خصائصها

المطلب الثاني: تنوعها

المبحث الأول

الطّيبات في القرآن

إن مفهوم الطيّب في القرآن يشمل كل ما سخره الله للإنسان من الطيبات المادية والمعنوية، لأن طيب العيش ورغده نجده في الطيبات المباحة والحلال، وهي من نعم الله تعالى على الناس التي خلقها لهم، كي يتمتعوا بها في هذه الحياة، وهي إما طيّباتٍ ماديةً مثل لذيذ الطعام والشراب ونحوها والتي نحن بصددها في هذا المبحث، وإما طيباتٍ معنويةً، كالصفاتِ الخُلُقية الطيّبة التي يتحلى بها الإنسان، ويعيش بها في المجتمع، ومن الطيبات الرزق الحلال الذي يبارك الله فيه للناس، والذي يأتيهم من طريق مشروع، وبهذه الطيبات تَجمُل الحياة.

المطلب الأول: مفهوم الطيبات

ففي اللغة الطيِّباتُ جمع طيّب، والطّيب خلاف الخبيث، أو الحلال، وقد تتّسع معانيه فيُقال: أرضٌ طيّبةٌ التي تصلح للنبات، وريحٌ طيّبة إذا كانت ليِّنةً ليست بشديدة، وطُعْمة طيّبة إذا كانت حلالاً، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وامرأة طيّبة إذا كانت حصاناً عفيفةً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: ٢٦]، وكلمةٌ طيّبة إذا لم يكن فيها مكروه، وبلدة طيّبة أي آمنة كثيرة الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]، ونكهة طيّبة إذا لم يكن فيها نتن، وإن لم يكن فيها ريح طيّبة كرائحة العود والسّند وغيرهما(١).

وأصل الطيّب ما تستلذه الحواس وما تستلذه النفس، والطعام الطيب في الشرع ما كان متناولاً من حيث ما يجوز، وبقدر ما يجوز، ومن المكان الذى يجوز، فإنه متى كان كذلك كان طيباً عاجلاً وآجلاً، وإلا فإنه وإن كان طيباً عاجلاً لم يطب آجلاً، وهذا هو المراد

---

(١) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**. ج١: ص٥٦٣. والفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ج١: ص١٤١. والفيومي، **المصباح المنير**. ج٢: ص٣٨٢.

بقوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [الأعراف: ٣٢]، والطيب من الإنسان من تعرى من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الاعمال وتحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الاعمال، وإياهم قُصد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقيل الاطيبان الاكل والنكاح، وطعام مطيبة للنفس إذا طابت به النفس[1].

فقد وهب الله تعالى للناس في هذه الحياة ألواناً من الطيبات كالطعام والشراب المختلفة، الصافية، اللذيذة، فهي من مظاهر فضل الله الذي لا ينتهي، ورحمته بالعباد، وحريّ بالإنسان الذي يعرف أن كل هذه النعم من الله تعالى، أن يتفكر فيها ويشكر الله على ما منّ عليه من النعم وكرّمه بها وفضله على كثير مما خلق تفضيلاً.

ووردت الطيبات في القرآن الكريم بمعاني ودلالات متعددة، وبمفاهيم واسعة، ومما يدخل في إطار هذا المبحث ما يلي:

۞ **أولاً: طيّبات المأكل والمشرب**: يقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٨].

۞ **ثانياً: طيّبات الملبس والزينة**: يقول تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

۞ **ثالثاً: طيّبات المركب**: يقول تعالى: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

---

(١) ينظر: الراغب الاصفهاني، **المفردات**. ص٣٠٩.

۞ **رابعاً: طيّبات المسكن:** يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ [النحل: ٨٠].

۞ **خامساً: الطيبات من النساء:** قال تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: ٣]. وفي قوله تعالى: ﴿مَا طَابَ﴾ رجّح الامام الرازي بعد أن ذكر بعض الوجوه من اراء العلماء على أن (ما) مع ما بعده في تقدير المصدر، وتقديره: فانكحوا الطيب من النساء، وحمّل الطيب على استطابة النفس وميل القلب[١].

المطلب الثاني: معاني الطيبات ودلالاتها

ذكر الله تعالى في آيات كثيرة من القرآن الكريم أنّه أنعم على الناس بأنواع كثيرة من الطيبات، والإنسان بطبيعته مفطور على حب التمتع بهذه الطيبات، فكل واحد منها ألذ من الآخر، وهي في نفس الوقت ضرورية للبقاء على قيد الحياة، ولو شاء الله لكان هذه الأطعمة المغذية والضرورية للبقاء على قيد الحياة، كانت بدون نكهة أو كان طعمها رديئاً، أو كانت مضرة بالرغم من طعمها الطيب، أو كان هناك عدد قليل من الأطعمة يتغذى بها الإنسان فقط من أجل البقاء على قيد الحياة، لكن الله تعالى برحمته ولطفه وكرمه شاء أن يتمتع الإنسان بهذا الكم الهائل من الطيبات، فتعبيرُ «الطيبات» تكرّر في القرآن الكريم في مواضع عديدة وهو يحمل معاني الحُسن والنقاء واللذة والطهارة والأناقة وغيرها[٢].

فإن الإسلام في تحديده للطيب والخبيث يراعي الجسد والروح معاً، و«المصالح المجتلبة

---

(١) ينظر، الفخر الرازي. **التفسير الكبير**. ج٩: ص٤٨٩.

(٢) ينظر: عبد الباقي، **المعجم المفهرس**. باب الطاء. ص٤٣١-٤٣٢.

و alukah.net/Web/rommany/١٠٢٦٩/٢١٦٢٦/#_ftnref١٩ بتاريخ٢٠١٣/٦/١٣.

http://balagh.com/pages/tex.php?tid=٢١٩٣ بتاريخ ٢٠١٣/٦/١٣.

شرعاً والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية، أو درء مفاسدها العادية»[١].

والطيّبات قد أباحها الله للناس، ولها شروطها لتبقى طيّبة ولكي تُستخدم فيما هو طيّب، فالطيبات المسموح بها هي التي تكون ماهيتها طيّبة، وصفتها طيّبة، بمعنى أن تكون في الأصل طاهرة مما حللها الشرع، وأن تأتي عن طريق الكسب المشروع، والتي يمكن تسميتها باختصار طيّبة لذاتها ولصفاتها[٢].

لأن تحديد المنافع لابدّ أن يرتبط ابتداء وانتهاء بالحلال والحرام، لأن الله وحده هو القادر على تحديد النافع والضار للناس، قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

فالإنسان جوهر مركب من النفس والبدن، فالنفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي، وبدنه أشرف الأجسام الموجودة في العالم السفلي، وتقرير هذه الفضيلة في النفس الإنسانية هي أن النفس الإنسانية قواها الأصلية ثلاث، وهي الإغتذاء والنمو والتوليد[٣].

فقوله تعالى «ورزقناه من الطيبات» مدح للإنسان، لأن الأغذية إما حيوانية وإما نباتية، وكلا القسمين إنما يتغذى الإنسان منه بألطف أنواعها وأشرف أقسامها بعد التنقية التامة والطبخ الكامل والنضج البالغ، وذلك مما لا يحصل إلا للإنسان[٤].

وقد ذكر أهل التفسير أن الطيبات في القرآن على سبعة أوجه[٥].

---

(١) الشاطبي، **الموافقات**. ج٢: ص٦٣.

(٢) ينظر: http://dr-ghiathalnajar.com/?lec=٩٤ بتاريخ ٢٠١٣/٦/١٣.

(٣) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢١: ص٣٧٢.

(٤) ينظر: **المصدر نفسه**، ص٣٧٥.

(٥) ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ). **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**. تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م). كتاب الطاء. باب الطيبات. ص٤١٨-٤١٩.

* **أحدها: الحلال**. ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

* **والثاني: المن والسلوى**. ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

* **والثالث: الشحوم ولحوم كل ذي ظفر**. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴾ [النساء: ١٦٠].

* **والرابع: الذبائح**. ومنه قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [المائدة: ٤].

* **والخامس: الغنيمة**. ومنه قوله تعالى: ﴿... فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٦].

* **والسادس: الحسن من الكلام**. ومنه قوله تعالى: ﴿... وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ ﴾ [النور: ٢٦].

* **والسابع: أنواع الطيبات على الاطلاق**. ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقد أشار القرآن الكريم في العديد من الآيات بالإضافة إلى ما سبق ذكره إلى أنواع كثيرة من الطيبات دلالةً ومعنىً منها:

أ. **لحوم الأنعام**: قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾ [غافر: ٧٩].

ب. **اللبن**: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦].

ت. **صيد البحر**: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٤].

ث. **النخيل والزيتون والرمان والأعناب**: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وقال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٩].

وفي قوله تعالى: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ أقوال: أحدها: مشتبها في المنظر وغير متشابه في الطعم، والثاني: مشتبهاً ورقه مختلفاً ثمره، والثالث: منه ما يشبه بعضه بعضاً، ومنه

ما يخالف، فالتشابه مما تقارب لونه أو طعمه أو شكله مما يتطلبه الناس من أحواله على اختلاف أميالهم، وعدم التشابه ما اختلف بعضه عن البعض الآخر فيما يتطلبه الناس من الصفات على اختلاف شهواقم، فمن أعواد الشجر غليظ ودقيق، ومن ألوان ورقه قاتم وداكن، ومن ألوان ثمره مختلف ومن طعمه كذلك، والمقصود من التقييد بهذه الحال التنبيه على أنها مخلوقة بالقصد والاختيار لا بالصدفة(١).

وبإمعان النظر في هذه الألوان الخلابة الجميلة لبعض الأطعمة التي أنعم الله بها على الإنسان مثل الفواكه والخضروات لوجد فيها متعة خاصة وجاذبية تسعد العين بالنظر إليها قبل أن يتمتع الفم بتذوقها، ولا يقتصر ما في هذه الألوان من عظمة وإعجاز على هذه المتع والنعم الظاهرة والمحسوسة التي تشبع الأحاسيس، بل يتعداها إلى ما تعكسه هذه الألوان بتعدداتها وتعدد درجاتها وطعمها من فوائد غذائية وصحية شفائية إعجازية كبرى كشفها العلم الحديث، وهذا من فضل الله ومَنّه وكرمه، ومن أوجه هذه العظمة الإلهية أن هذه الألوان (الصبغيات) بتركيبها الكيميائي تدخل تحت مسمى الكيميائيات النباتية التي هي تلك المجموعات الباهرة من المواد المكتشفة حديثا لمكافحة للأمراض المزمنة كمواد مضادة للأكسدة ومضادة للسموم، ومانعة ومضادة للأورام ومقوية لمناعة الجسم، وأن هذه الكيميائيات ليست في حقيقتها سوى مرادفات لذات الألوان التي تتلون بها هذه النباتات، اي أن الفائدة واللون هما في الحقيقة شيء واحد، فسبحان الله العظيم(٢).

ولا يقتصر معنى الطيب إلى المنفعة الغذائية، بل يتعداه ليراعي الناحية النفسية في الطعام، فلكي يكون الطعام طيبا يجب أن يكون حلالا، إذ يشعر الإنسان بنشوة خاصة، وسعادة كبيرة، عندما يأكل من كسب يديه، بعكس تلك النفسية الجشعة التي تسلب الناس أرزاقهم: فيقول تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٨].

---

(١) ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير**. ج٢: ص٦٠. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٧: ص٤٠٢.

(٢) ينظر: http://majdah.maktoob.com/vb/majdah١٢٥٢٨٢ بتاريخ ٢٠١٣/٦/١٤.

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٤]. وبهذه النظرة الواقعية يحلل القرآن للناس أنواع الطعام التي تستسيغها أذواقهم، وفيها فائدة لأجسامهم ولنفوسهم، ولا تلحق بهم الضرر، ثم لا يكتفي بذلك بل يستنكر على كل من يحاول أن يحرم زينة الله، أو يحرم الطيب من رزقه لما يعلمه من الضرر الذي يلحق بهم[1]. قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]. ثم يؤكد على هذا المعنى فيقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].



(١) ينظر: دياب، عبد الحميد و قرقوز، أحمد. **مع الطب في القرآن الكريم**. ط٢. دمشق: مؤسسة علوم القرآن، (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م). ص١٥٤ وما بعدها.

المبحث الثاني

تحريم الخبائث

المطلب الأول: مفهوم الخبائث

الخَبيثُ ضِدُّ الطَّيِّبِ من الرِّزْق والولدِ والناسِ، قال تعالى: ﴿... **وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وخَبُثَ الرجلُ خُبْثاً فهو خَبيثٌ أَي خَبٌّ رَديءٌ، والخابثُ الرَّديُّ من كل شيء فاسد، يقال هو خَبيثُ الطَّعْم وخَبيثُ اللَّوْنِ وخَبيثُ الفعْل، والحَرامُ البَحْتُ يسمى خَبيثاً مثل الزنا والمال الحرام والدم وما أَشْبهها مما حَرَّمه الله تعالى، وفي حديث أنس أَنَّ النبي (ﷺ) كان إِذا أَراد الخَلاءَ قال «**أَعُوذُ بالله من الخُبْثِ والخَبائث**»[1]، قيل الخبث الكفر، والخبائث الشياطين، وقيل الخُبث الشر، والخبائث الشياطين، وقيل الخُبث الشيطان الذكر، والخبائث جمع خبيثة وهي انثى الشياطين[2].

فالخبيث في اللغة يدل على الرديء، والحرام، والزنا، والشيطان، فهو نقيض الطيب من كل شيء.

أما عند المفسرين فوردت الخبائث في تفاسيرهم على أنها: «المستخبثات كالحشرات ولحم الخنزير والميتة والدم والرِّبا وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التي حرمها الله»[3].

«والخبيث من الأطعمة ما تَمُجُّهُ الطباع السليمة وتستقذره ذوقا كالميتة والدم المسفوح، أو تصد عنه العقول الراجحة لضرره في البدن كالخنزير الذي تتولد من أكله الدودة الوحيدة، أو لضرره في الدين كالذي يذبح للتقرب به إلى غير الله تعالى على سبيل العبادة»[4].

وللعلماء آراء في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الوضوء. باب ما يقول عند الخلاء. ح (١٤٢). ج١: ص٦٦.

(٢) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**. ج٢: ص١٤١ وما بعدها. وابن سيدة، **المخصص**. ج٤: ص٤٥.

(٣) الطبري، **جامع البيان**. ج١٣: ص١٦٥. والشوكاني، **فتح القدير**. ج٢: ص٢٨٨-٢٨٩. والقاسمي، **محاسن التأويل**. ج٥: ص١٩٤.

(٤) رشيد رضا، **تفسير المنار**. ج٩: ص١٩٧.

قال الفخر الرازي[1]: «المراد من الطيبات الأشياء المستطابة بحسب الطبع وذلك لأن تناولها يفيد اللذة، والأصل في المنافع الحل فكانت هذه الآية دالة على أن الأصل في كل ما تستطيبه النفس ويستلذه الطبع الحل إلا لدليل منفصل، والخبائث كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس كان تناوله سببا للألم، والأصل في المضار الحرمة، فكان مقتضاه أن كل ما يستخبثه الطبع فالأصل فيه الحرمة إلا لدليل منفصل»[2].

أما ابن تيمية[3] فقال: «فكل ما نفع فهو طيب وكل ما ضر فهو خبيث، والمناسبة الواضحة لكل ذي لب أن النفع يناسب التحليل والضرر يناسب التحريم والدوران، فإن التحريم يدور مع المضار وجوداً في الميتة والدم ولحم الخنزير وذوات الأنياب والمخالب والخمر وغيرها مما يضر بأنفس الناس، وعدماً في الأنعام والألبان وغيرها»[4].

وقال أيضاً «فالطيبات التي أباحها هي المطاعم النافعة للعقول والأخلاق، والخبائث هي الضارة للعقول والأخلاق، كما أن الخمر أم الخبائث لأنها تفسد العقول والأخلاق، فأباح الله للمتقين الطيبات التي يستعينون بها على عبادة ربهم التي خلقوا لها، وحرّم عليهم الخبائث التي تضرهم في المقصود الذي خُلقوا له»[5].

وتبين من ذلك أن الله تعالى كرّم الإنسان بأن جعل له حصانة من كل ما يضر به نفسياً وعقلياً وجسدياً وسلوكياً، من خلال الطبع السليم المتمثل بالفطرة، والتحريم الثابت بالدليل.

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١٥: ص٣٨١. (بتصرف)

(٣) سبق ترجمته.

(٤) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس. **الفتاوى الكبرى**. تحقيق حسنين محمد مخلوف. ط١. بيروت: دار المعرفة، (١٣٨٦هـ). ج١: ص٣٦٧.

(٥) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. **رسالة جواب أهل العلم والإيمان أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن**. مكتبة مشكاة الإسلامية. نسخة (word). ص٤٥ -٤٦.

المطلب الثاني: الحِكْمةُ من تحريم الخبائث

الحِكْمةُ هي علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء بالعلم والعمل، ومعرفة الموجودات وفعل الخيرات بها، أو معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، وفي التتريل العزيز ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]، حيث يقال: حكمة التشريع، وما الحكمة في ذلك؟[١].

ويفرق العلماء بين الحكمة والعلة، فالذي يستخدمه الأصوليون في باب القياس هو العلة، لأن العلة هي مناط الحكم، فالعلة: هي الوصف الظاهر المنضبط الذي بني عليه الحكم، وربط به وجوداً وعدماً، فالحكم يوجد متى وُجدت علته، أما الحكمة فإنها أشمل من ذلك وأعم، فهي المصلحة التي قصد الشارع تحقيقها بتشريع الحكم، ومثال ذلك: أن الله سبحانه وتعالى حرم الخمر، والعلة من تحريم الخمر هي الإسكار، ولهذا فإن الأصوليين ينظرون إلى أي مادة، فإذا وجدوها مسكرة قالوا: هي حرام؛ لأن العلة التي يدور معها الحكم حيث دارت، فالعلة عندهم الإسكار، لكن الحكمة من تحريم الخمر هي العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، كما ذكره الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١][٢].

وتم ذكر هذا الفرق بين العلة والحكمة لأن بعض المفسرين ذكروا العلة من تحريم الخبائث والمحرمات، وآخرون ذكروا الحكمة من تحريمها، وما نحن هنا بصددها هي الحكمة من تحريم هذه الخبائث، والتي تكمن في تحقيق المصالح الإنسانية، وإن كان نذكر علتها أحياناً بهدف أن نبين مدى اهتمام الشريعة بالإنسان، وحمايته وصيانته من الأضرار.

وقد جمع القرآن الكريم معظم الخبائث في هذه الآية الكريمة من سورة المائدة.

---

(١) ينظر: الجرجاني، **التعريفات**. ص١٢٣. والمناوي، محمد عبد الرؤوف المناوي. **التوقيف على مهمات التعاريف**. تحقيق محمد رضوان الداية. ط١. بيروت، دمشق: دار الفكر، (١٤١٠هـ). ص٢٩١. ومصطفى ابراهيم، **المعجم الوسيط**. ج١: ص١٩٠.

(٢) ينظر: زيدان، عبد الكريم. **الوجيز في أصول الفقه**. مؤسسة قرطبة. ص٢٠١ وما بعدها.

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ...﴾ [المائدة: ٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

وقال تعالى مبيناً لصفة من صفات النبي (ﷺ) الذي يحل لأمته الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث بإذنه سبحانه: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فنأخذ بعض هذه المحرمات التي سُمّيت بالخبائث ونقف عند تفسيرها وآراء العلماء فيها ودواعي وأسباب تحريمها.

وقبل ذلك يجب أن يُعلم أن ما حرّمه الله تعالى في كتابه أو على لسان نبيه (ﷺ) فهو من الخبائث، سواءً وصل العلم البشري إلى حكمة هذا التحريم أو لم يصل، فقد قرر العلم الإلهي أن هذه المطاعم ليست طيبة، وهذا يكفي، فالله لا يحرّم إلا الخبائث وما يؤذي الحياة البشرية سواء علم الناس بهذا الأذى أو جهلوه[1].

لأن تحقيق المصالح للعباد، ودفع المفاسد عنهم من تمام نعم الله تعالى وفضله وكرمه على هذا الإنسان الضعيف الذي لا يعرف أين تكمن مصالحه وذلك لمحدودية ادراكه وعقله، فلله تعالى حكم كثيرة في تحليل أمر وتحريم آخر، وهذه الحكم منها الظاهرة ومنها الخفية التي لا يدركها الإنسان[2].

۞ **أولاً: الميتة:** في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ تأويلان أحدهما: أنه كل ما له

---

(١) ينظر: عبد العزيز، محمد كمال. **لماذا حرم الله هذه الأشياء**. القاهرة: مكتبة القرآن. ص١٦.

(٢) ينظر: حمد، سعد سمير محمد. **الخبائث وحكمها في الفقه الإسلامي**. (رسالة ماجستير) فلسطين- نابلس: جامعة النجاح الوطنية- كلية الدراسات العليا، (٢٠٠٨م). ص٧٣.

نفس سائلة من دواب البر وطيره، والثاني: أنه كل ما فارقته الحياة من دواب البر وطيره بغير ذكاة[1].

«فالْمَيْتَةُ كل حيوان له نفس سائلة خرجت نفسه من جسده على غير طريق الذكاة المشروع سوى الحوت، لان أكثر أهل العلم على جواز أكل جميع دواب البحر حيها وميتها، وهو مذهب مالك، لقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ [المائدة: ٩٦]، والجراد مع أن كثير من العلماء يرى في الجراد أنه لا بد من فعل فيها يجري مجرى الذكاة، وقرأ جمهور القرآء «المَيْتة» بسكون الياء، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع «الميّتة» بالتشديد في الياء قال الزجاج: هما بمعنى واحد، وقال قوم من أهل اللسان: الميت بسكون الياء ما قد مات بعد والميّت يقال لما قد مات ولما لم يمت وهو حي بعد ولا يقال له ميت بالتخفيف ورد الزجاج هذا القول واستشهد على رده بقول الشاعر: ليس من مات فاستراح بميت... إنما الميت ميت الأحياء»[2].

وعلة تحريمها أن الموت ينشأ عن علل يكون معظمها مضراً بسبب العدوى، وتمييز ما يعدي عن غيره عسير، ولأن الحيوان الميت لا يدرى غالباً مقدار ما مضى عليه في حالة الموت، فربما مضت مدة تستحيل معها منافع لحمه ودمه مضار، فنيط الحكم بغالب الأحوال وأضبطها، ومع ذلك فإن الطبع السليم يعافها ويستقذرها، والعقلاء يعدون أكلها مهانة تنافي كرامة الإنسان[3].

۞ **ثانياً: الدم:** ﴿وَٱلدَّمُ﴾ أي أن الحرام منه ما كان مسفوحاً لقوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]. على الراجح من أقوال المفسرين، لأنه بهذه الآية تقيد الدم فيرد

---

(١) ينظر: الماوردي، **النكت والعيون**. ج٢: ص١٠.

(٢) ينظر: سالم، **فريدة الدهر**. ج٢: ص٢١٩. وابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٢: ص١٥٠. والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٢: ص٢١٧.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٦: ص٨٩. والقرضاوي، يوسف. **الحلال والحرام في الإسلام**. ط١٣. بيروت: المكتب الإسلامي، (١٤٠٠هـ=١٩٨٠). ص٤٤.

المطلق إلى المقيد وأجمعت الأمة على تحليل الدم المخالط للحم وعلى تحليل الطحال ونحوه[1].

والحكمة من تحريمه هي أن الدم المسفوح مستقذر يعافه الطبع الإنساني السليم، فهو يضر بالصحة ويسبب للإنسان أمراضاً كثيرة جداً، مثل نمو الميكروبات الضارة في الإنسان وتكاثرها، وإن وجود الدم بكثرة في أمعاء الإنسان يساعد على إنشاء مركبات تؤثر على المخ، وقد تصل إلى حد فقدان الوعي والدخول في غيبوبة[2].

۞ **ثالثاً: لحم الخنزير:** ﴿وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن التحريم يختص بلحم الخنزير دون شحمه، والثاني: وحُرِّم عليكم لحم الخنزير، أهليُّه وبَرِّيّه، أنه يعم اللحم وما خالطه من شحم وغيره، وهو قول الجمهور، فإن ظاهره كباطنه، وباطنه كظاهره، حرام جميعه، لم يخصص منه شيء، ولا فرق بين الأهلي منه والوحشي، وإنما خص اللحم، لأنه معظم المقصود وهذا هو الراجح[3].

وفي حكمة تحريم الخنزير قال أهل العلم: الغذاء يصير جزءاً من جوهر المغتذي، فلا بد أن يحصل للمغتذي أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا في الغذاء، والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في المشتهيات، فحرم أكله على الإنسان لئلا يتكيف بتلك الكيفية[4].

ولحم الخنزير تستخبثه الطبائع السليمة؛ لأنه مخالف لفطرة الإنسان فلا يقربه عاقل، ولا يستحله مسلم لقذارته ونتانة لحمه، وأكل لحمه يصيب الإنسان بأمراض كثيرة لا تحمد عقباها، وفي هذا اعتداء على مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية وهو حفظ النفس، فقد

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج٩: ص٤٩٢- ٤٩٣. وابن عطية، **المحرر والوجيز**. ج٢: ص١٥٠. وابن الجوزي، **زاد المسير**. ج١: ص١٣٣. والفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١١: ص٢٨٣.

(٢) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٦: ص٩٠. وعبد العزيز، **لماذا حرم الله هذه الأشياء**. ص١٥. (بتصرف)

(٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج٩: ص٤٩٣. والماوردي، **النكت والعيون**. ج٢: ص١٠. والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٢: ص٢٢٢. وابن الجوزي، **زاد المسير**. ج١: ص١٣٣.

(٤) ينظر: الفخر الرازي. **التفسير الكبير**. ج١١: ص٢٨٣.

أثبت الأطباء أنّ في لحم الخنزير ودمه وأمعائه دودّة شديدة الخطورة على الإنسان وهي ما تسمى (بالدودة الشريطية) وبويضاتها المتكيسة، وعند وصول البويضات إلى المعدة تتحول إلى يرقات لتقوم، بدورها بثقب جدار المعدة ومن ثم إلى الدورة الدموية، لتصل إلى جميع أجزاء الجسم وأشدها خطراً المتجهة نحو القلب والمخ، ويزعم البعض أن هذه الدودة لم تعد تشكل مصدر خطر على الإنسان لإمكانية القضاء عليها عن طريق طهو لحم الخنزير جيداً نظراً لكون الحرارة العالية تقضي عليها وتعمل على إبادتها، ويرد عليهم أن العلم لم يتوصل إلى معرفة آفة واحدة إلا بعد مئات السنين فمن يضمن أنه ليس ثمة آفات متعددة أخرى سيكشف عنها الطب بعد فترة من الزمن، ومن الباحثين من قال إن المداومة على أكل لحم الخنزير تورث ضعف الغيرة على الحرمات[1].

ومن الحِكَم الظاهرة في تحريمه هي ما فيه من الضرر، وكونه مما يستقذر أيضاً، وإن كان استقذاره ليس لذاته كالميتة والدم، بل هو خاص بمن يتذكر ملازمته للقاذورات ورغبته فيها، لأن أشهى غذائه القاذورات والنجاسات، والغرض من هذا أن الإسلام طيب أحل الطيبات، وحرّم الخبائث، وبالغ في أمر النظافة، فلا غرو إذا عد أكل الخنزير للقاذورات علة أو حكمة من علل تحريم لحمه أو حكمها وإن لم يترتب عليه ضرر، فكيف إذا ترتب عليه ضرر عظيم[2].

۞ **رابعاً: الخمر والميسر:** قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

---

(١) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٦: ص٩٠. والقرضاوي. **الحلال والحرام**. ص٤٤-٤٥. وعبد العزيز، **لماذا حرم الله هذه الأشياء**. ص١٢. وقوش، سليمان. **حكمة وأسباب تحريم لحم الخنزير في العلم والدين**. القاهرة: دار البشير، ص٥٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**. ج٦: ص١١٢. والقرضاوي، **الحلال والحرام**. ص٤٤.

فقوله سبحانه «من عمل الشيطان» «وهذا أيضاً مكمل لكونه رجساً لأن الشيطان نجس خبيث لأنه كافر، والكافر نجس لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، والخبيث لا يدعو إلا إلى الخبيث لقوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور: ٢٦]، وأيضاً كل ما أضيف إلى الشيطان فالمراد من تلك الإضافة المبالغة في كمال قبحه»[(١)].

والظاهر فيمن يشرب الخمر أنه يشربها مع جماعة أراد أن يستأنس بهم، إلا أن ذلك في الأغلب ينقلب إلى الضد لأن الخمر يزيل العقل، وإذا زال العقل استولت الشهوة والغضب من غير مدافعة العقل، وعند استيلائهما تحصل المنازعة بين أولئك الأصحاب، وربما أدت إلى الضرب والقتل والمشافهة بالفحش، وذلك يورث أشد العداوة والبغضاء[(٢)].

ففي الخمر والميسر أي بما يحدث في شرب الخمر من إثارة الخصومات والإقدام إلى الجرائم، وما يقع في الميسر من التحاسد على القامر، والغيظ والحسرة للخاسر، وما ينشأ عن ذلك من التشاتم والسباب والضرب، فمجرد حدوث العداوة والبغضاء بين المسلمين مفسدة عظيمة، لأن الله أراد أن يكون المؤمنون إخوة إذ لا يستقيم أمر أمة بين أفرادها البغضاء، وأما الصد عن ذكر الله وعن الصلاة فلما في الخمر من غيبوبة العقل، وما في الميسر من استفراغ الوقت في المعاودة لتطلب الربح، وهذه أربع علل كل واحدة منها تقتضي التحريم، فلا جرم أن كان اجتماعها مقتضياً تغليظ التحريم[(٣)].

فإن الفلاح لا يتم إلا بترك ما حرم الله تعالى، ولا سيما هذه الفواحش المذكورة، وهي الخمر وهي: كل ما خامر العقل أي: غطاه بسكره، والميسر وهو جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، كالمراهنة ونحوها، والأنصاب التي هي الأصنام والأنداد ونحوهما، مما يُنصب ويُعبد من دون الله، والأزلام التي يستقسمون بها، فهذه الأربعة نهى الله عنها وزجر، وأخبر عن مفاسدها الداعية إلى تركها واجتنابها، فمنها: أنها رجس، أي: خبث،

---

(١) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١٢: ص٤٢٣-٤٢٤.

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**، ج١٢: ص٤٢٣.

(٣) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧: ص٢٦-٢٧.

نجس معنى، وإن لم تكن نجسة حساً، والأمور الخبيثة مما ينبغي اجتنابها وعدم التدنس بأوضارها، ومنها: أنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان[1].

وكذلك يحدث من خلالها ارتكاب الجرائم الجنسية بسبب تسهيل النشاط الجنسي للمتعاطي، وزيادة الرغبة الجنسية، واختلال وظائف الجهاز العصبي المركزي مما يؤدي إلى الدوار والتهاب العصب البصري، وطنين الأذن، كما يؤدي إلى ضعف التركيز والذاكرة، وفقدان الشهية للطعام، والتهابات وقرح المعدة، وسرطان المري، وتلف الكبد وأمراض نقص الغذاء، وفقدان الوعي والتسمم الكحولي، الذي يؤدي إلى الوفاة أحياناً[2].

فإن هذه المسكرات تحرم الإنسان من نعمة العقل التي هي مظهر من مظاهر تكريمه، والتي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، لذا فالخمر تستحق أن تسمى بأُم الخبائث لأنها تذهب بالعقل وبالتالي تنطلق الفواحش والشرور والمعاصي التي توقع بصاحبها الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة.



---

(١) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٢٤٣. والقرضاوي، **الحلال والحرام**. ص٦٩ وما بعدها.

(٢) ينظر: حمد، **الخبائث وحكمها**. ص٧٣ وما بعدها. ودياب، قرقوز. **مع الطب في القرآن الكريم**. ص١٤٠ وما بعدها.

المبحث الثالث

حق الجسد

المطلب الأول: الحفاظ عليه

إن جسد الإنسان هو المكون الثاني من مكوناته والذي نفخ فيه الروح، والعلاقة بين الجسد والروح علاقة تكاملية، وليس بينهما نقيض، ولا أنهما ضدان لبعضهما، وأكد القرآن الكريم على عنصري الإنسان في أكثر من آية.

يقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨-٢٩].

ومنهج الإسلام في تربية الجسم وسياسته مع الطاقة الحيوية يراعي الأمرين معاً، يراعي الجسم من حيث هو جسم ليصل منه إلى الغاية المرتبطة به، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

«فكل هذا لغاية نفسية تقام على قاعدة جسمية لتوفير الطاقة الحيوية اللازمة للكيان الإنساني ككل، حتى يصل إلى هدفه المنشود من الحياة في أسمى صورة أرادها له الله سبحانه»[(١)].

فالروح والجسد في القرآن الكريم ملاك الذات الإنسانية، تتم بهما الحياة ولا تنكر في سبيل أحدهما الأخر، فلا يجوز للمؤمن بالكتاب أن يبخس للجسد حقاً ليوفي حقوق الروح، ولا يجوز له أن يبخس للروح حقاً ليوفي حقوق الجسد، ولا يحمد منه الإسراف في مرضاة هذا ولا مرضاة ذاك وعلى الله قصد السبيل[(٢)].

والقرآن الكريم ينهى عن تحريم المباح كما ينهى عن إباحة المحرم، يقول سبحانه:

---

(١) نصير، **إنسانية الإنسان**، ص٢٢.

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**، ص٢١-٢٣. والعقاد، **الإنسان في القرآن**. ص٣٠ وما بعدها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾ [المائدة: ٨٧- ٨٨].

ويقول سبحانه: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠٠- ٢٠٢].

أي من الناس من تكون الدنيا همه فيقول: اللهم اجعل عطائي ومنحتي في الدنيا خاصة، وما له في الآخرة من حظ ولا نصيب، ومنهم من يطلب خيري الدنيا والآخرة وهو المؤمن العاقل، وقد جمعت هذه الدعوة كل خير وصرفت كل شر، فالحسنة في الدنيا تشمل الصحة والعافية، والدار الرحبة، والزوجة الحسنة، والرزق الواسع إلى غير ما هنالك والحسنة في الآخرة تشمل الأمن من الفزع الأكبر، وتيسير الحساب ودخول الجنة والنظر إلى وجه الله الكريم... الخ، ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ أي نجّنا من عذاب جهنم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾، أي هؤلاء الذين طلبوا سعادة الدارين لهم حظ وافر مما عملوا من الخيرات، والله سريع الحساب يحاسب الخلائق بقدر لمحة بصر[1].

«لقد جاء الإسلام لكي يؤكد موقفه من العمل الحضاري من خلال رؤية متوازنة تضم جناحيها على كل ما هو روحي أخلاقي ومادي جسدي في الوقت نفسه»[2].

وهكذا يرشد القرآن الإنسان لحفظ التوازن بين الدنيا والآخرة، بين الروح والجسد، وينهى عن المغالاة في واحد منهما على حساب الآخر.

والحق أن المثل التطبيقي الأعلى للتكامل وللتوازن بين المثال والواقع، بين القلب والعقل، بين الإيمان والعلم، بين الروح والمادة، بين الفردية والجماعية، بين حق الرب وحظ النفس،

---

(١) ينظر: الصابوني، **صفوة التفاسير**. ج١، ص١٠٧

(٢) خليل، عماد الدين. **أصول تشكيل العقل المسلم**. ط١. بيروت: دار ابن كثير، (١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م). ص٩٨.

وإعطاء كل منها حقه بلا طغيان ولا إخسار هو رسول الله (ﷺ)، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وأنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان[1].

«وكان الرسول (ﷺ) يلبس من الثياب ما تيسر، وكان يرجّل شَعره، ويتطيب، ويحب الطيب، وينظر في المرآة، ويوصي أصحابه بالنظافة والتجمل، حتى يكون أحدهم حسن المظهر، طيب الرائحة، ويوصي بنظافة أشياء معينة في جسم الإنسان»[2].

فمن الحفاظ على الجسد الاهتمام به بالنظافة والزينة والطيب والعلاج وغير ذلك، وفي ذلك جملة من الأحاديث الشريفة منها:

عن علي (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) كان إذا نظر في المرآة قال: «**الحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ كما حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي**»[3].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ**»[4].

وعن صالح بن أبي حسَّان قال سمعتُ سعيدَ بنِ المسيِّبِ يقول: «**إن الله طَيِّبٌ يحِبُّ الطِّيب، نظيفٌ يحب النظافة، كريمٌ يحب الكرم، جوادٌ يحب الجُودَ، فَنَظِّفُوا** أراه قال: **أَفْنِيَتَكُم، ولا تَشَبَّهُوا باليهود**» قال: فذكرت ذلك لمهاجر بن مسمار فقال: حدثنيه عامر ابن سعد عن أبيه عن النبي (ﷺ) مثله إلا أنه قال: «**نظفوا أفنيتكم**»[5].

---

(١) ينظر: القرضاوي، يوسف. **الحياة الربانية والعلم**. سلسلة تيسير فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة. في الطريق إلى الله (١). ط١. عمان: دار الفرقان، (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ص٥٣.

(٢) **المصدر نفسه**، ص٦٠-٦١.

(٣) أحمد، **المسند**. ح (٣٨٢٣)، ج١: ص٤٠٣. والنووي: أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي، **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار**. باب ما يقول إذا نظر في المرآة، عمان-الأردن: دار العلوم، (٢٠٠١م)، ص٢٦٨. (إسناده حسن)

(٤) أبو داود، **سنن أبي داود**. كتاب الترجُّل. باب في إصلاح الشعر. ح (٤١٦٣)، ص٧٤٢. (حسن صحيح)

(٥) الترمذي، **سنن الترمذي**. كتاب الأدب عن رسول الله (ﷺ). باب ما جاء في النظافة. ح (٢٧٩٩). ص٦٢٧. والتبريزي، **مشكاة المصابيح**. ح (٤٤٨٧). ج٢: ص٥١٦. (جواد يحب الجود الخ صحيح).

وعن عبد الله بنِ مسعود (رضي الله عنه) عَنِ النَّبيِّ (صلى الله عليه وسلم) قال: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِه مِثْقَالُ ذَرَّة مِنْ كِبْرٍ**» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «**إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»(1).

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُنيا النِساءُ والطِّيبُ وجُعِل قُرَّةُ عَيْني في الصلاة**»(2).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «**حَقٌّ لله على كُلِّ مُسْلِمٍ أنْ يَغْتَسِلَ في كُلِّ سَبْعَةِ أيَّامٍ يَوْماً، يَغْسِلُ فِيهِ رَأسَهُ وَجَسَدَهُ**»(3).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وأَحَبُّ إلى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ**»(4).

وعن أسامة بن شريك (رضي الله عنه) قال: أتيت النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير فسلمتُ ثم قعدتُ، فجاء الأعراب من ها هنا وها هنا، فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: «**تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ دواءً، غيرَ داءٍ وَاحِدٍ: الْهَرَمُ**»(5).

---

(1) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، ح (91)، ص63. وابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**. تحقيق شعيب الأرنؤوط. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة، (1414هـ=1993م). كتاب الزينة والتطيب. باب ذكر ما يستحب للمرء تحسين ثوبه وعمله إذا قصد به غير الدنيا، ح (5466)، ج12، ص280.

(2) النسائي، **سنن النسائي**. كتاب عشرة النساء. باب حب النساء. ح (3939). ص608-609. (حسن صحيح).

(3) البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الجمعة. باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم. ح (856). ج1: ص305. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الجمعة. باب الطيب والسواك يوم الجمعة. ح (849). ص329. (واللفظ لمسلم).

(4) سبق تخريجه.

(5) أبو داود، **سنن أبي داود**. كتاب الطب. باب في الرجل يتداوى. ح (3855). ص693.=

ومن الحفاظ على الجسد أيضاً الحفاظ عليه بعدم التقرب إلى ما نهى الله عنه من الآثام والمعاصي، ومنها حفظ السَّمع والبصر واللسان من المحرمات، وحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى، ويتضمن أيضاً حفظ القلب عن الإصرار على المحرمات وحبها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. ويتضمن أيضاً حفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب[١].

ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله (ﷻ) اللسان والفرج، ومن حفظ الله في صباه وقوَّته، حفظه الله في حال كبَره وضعف قوّته، ومتَّعه بسمعه وبصره وحولِه وقوَّته وعقله، وكان بعض العلماء قد جاوز المئة سنة وهو ممتَّعٌ بقوَّتِه وعقله، ويقول: هذه جوارحُ حفظناها عَنِ المعاصي في الصِّغر، فحفظها الله علينا في الكبر، وعكس هذا أنَّ بعض السَّلف رأى شيخاً يسأل الناسَ، فقال: إنَّ هذا ضيَّع الله في صغره، فضيَّعه الله في كبره[٢].

وبذلك أراد الإسلام من المسلمين أن يحفظوا قوهم، حفظا لكيان الدولة، ورد غائلة المعتدين، واتخاذ العدة التي بها يكافح الأعداء، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

«وقد أرشدت الآية الكريمة إلى أن القوة ليست في نظر الإسلام إلا طريقاً من طرق الإصلاح، وسبيلاً من سبل السلم بإرهاب المفسدين ورد المغيرين وتقوية جانب الخير وشد أزر المصلحين، وأنه لا يقرها طريقاً للإذلال والتخريب وإخراج الناس من ديارهم وسلب أموالهم والتضييق عليهم في الحياة»[٣].

=والترمذي، **سنن الترمذي**. كتاب الطب عن رسول الله (ﷺ). باب ما جاء في الدواء والحث عليه. ح (٢٠٣٨). ص٤٦١. وابن ماجه، **سنن ابن ماجه**. كتاب الطب. باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له الشفاء. ح (٣٤٣٦). ج٢: ص١١٣٧. (حسن صحيح)

(١) ينظر: ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**. دار السلام، (٢٠٠٤م). ج٢: ص٥٥٤.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٢: ص٥٥٤. (بتصرف)

(٣) ينظر: شلتوت، محمود. **من توجيهات الإسلام**. ط٨. القاهرة: دار الشروق، (١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م) ص٦٠.

ومن أجل ذلك وحفاظا على الجسد وعنايةً به أمر الإسلام بحفظ الصحة وحارب المرض، فأمر بالوقاية وحذر من العدوى وحث على التداوي وأباح للمريض أو الخائف من المرض إذا توضأ أن يتيمم واكتفى به طهارة له، وأباح الفطر في المرض والسفر والحيض والنفاس والحمل والارضاع والشيخوخة كل ذلك عناية بالصحة ووقاية من الامراض، وذلك لأن الإسلام دين واقعي ويراعي واقع الإنسان ومصالحه، ويبني أمره على الواقع، وفي الواقع نجد أنه لا علم إلا بالصحة ولا جهاد إلا بالصحة ولا عمل إلا بالصحة(١).

وهذا الاهتمام بالجسم في الإسلام يأتي على أن أثر صحة المؤمن وقوته يعود إليه بالعمل الصالح والتقرب إلى الله، وإلى المسلمين بنشر الخير والعطاء والتعاون على البر والتقوى، لأنه لا سبيل للعمل والحركة الا بالقوة، وبذلك يتبين أن الإسلام اراد من المسلمين أن يكون لديهم القوة يحفظون بها الإنسان ودينه وكرامته وحقوقه، وينشرون بها عدالة الإسلام اذا ما دعت الواقع لاستخدامها.

المطلب الثاني: دفع المشقة والهلاك عنه

فإن الشارع لم يقصد التكليف بالشاق والإعنات فيه قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿... هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ ...﴾ [الحج: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

---

(١) **المصدر نفسه**، ص٥٩. (بتصرف)

«وما ثبت من مشروعية الرخص، وهو أمر مقطوع به، ومما علم من دين الأمة ضرورةً، كرخص القصر، والفطر، والجمع، وتناول المحرمات في الاضطرار، فإن هذا يدل قطعاً على مطلق رفع الحرج والمشقة»[1].

وإن الحرج مرفوع عن المكلف لوجهين: «**أحدهما**»: الخوف من الانقطاع من الطريق، وبغض العبادة، وكراهة التكليف، وينتظم تحت هذا المعنى الخوف من إدخال الفساد عليه في جسمه أو عقله أو ماله أو حاله، «**والثاني**»: خوف التقصير المتعلقة بالعبد المختلفة الأنواع مثل قيامه على أهله وولده[2].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

ففي قوله تعالى ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ تحدثت الآية عن حالة خاصة وهي أكل شيء من المحرمات عند الاضطرار، لأن فيها جلب مصلحة، ودفع مفسدة بشرط ألا يكون ساعيا في فساد ولا متجاوزاً مقدار الحاجة، لأن في الأكل حفظ النفس التي يعد حفظها من الضروريات الخمس التي أمرت الشريعة بحفظها[3]، ونهت عن إلقائها إلى التهلكة ولقد ذهب العلماء إلى انه يجب على المضطر أن يأكل منها أخذاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، «ومعنى هذا أن أكل الميتة للمضطر عزيمة وليس رخصة»[4].

---

(١) الشاطبي، **الموافقات**. ج٢: ص٢١٢.

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**، ج٢: ص٢٣٣.

(٣) الضرورات الخمس التي أمرت الشريعة بحفظها هي (النفس، الدين، المال، العقل، النسل)، ينظر: القرضاوي، يوسف. **دراسة في فقه المقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، (٢٠٠٦م). ص٢٧ وما بعدها.

(٤) العاني، إبراهيم عبد الرحمن عبد العزيز. **الموازنة بين المصالح والمفاسد في ضوء مقاصد الشريعة**. ط١. العراق - بغداد: ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة (٦). (٢٠٠٦م). ص١٢٦.

ومن أمثلة رفع المشقة: قصر الصلاة للمسافر وجمعها، وكذا الفطر في رمضان للمسافر والمريض، وصلاة النفل على الدابة، والتيمم للمريض عند الخوف على نفسه، والإكراه كالتهديد بإتلاف جميع المال أو بقتل، وكذلك التخفيف في صلاة الخوف والجمع في العرفات والمزدلفة، وترخيص شرب الخمر للغصة وأكل الميتة للمضطر وغيرها(١).

وفي ذلك أسس العلماء كثير من القواعد الفقهية على ضوء الكتاب والسنة، والتي من خلالها تقدّر المشقة، كالمشقة تجلب التيسير، وإذا ضاق الأمر اتسع، والضرورات تبيح المحظورات وغيرها، وتفاصيل ذلك موجودة في كتب الأصول(٢).

إذن المشقة التي رخّص الشارع بها هي المشقة التي لا يستطيع المكلف تحملها ولا القيام بها، والتي هي التكليف بما لا يطاق الذي إذا فعل أوقع في العناء والتعب الذي لا يجدي أو هي التي يستطيع المكلف تحملها غير انه خارجة عن المعتاد في الأعمال العادية بحيث يحصل للنفوس التشوش والقلق في القيام بها لما في ذلك من التعب الشديد والحرج البالغ(٣).

وحين بالغ احد اصحاب النبي (ﷺ) في العبادة على حساب جسده، وواصل صيام النهار وقيام الليل، وتلاوة القرآن، أراد الرسول الكريم (ﷺ) أن يوقفه عند الحد الوسط، وأسمعه هذه الكلمة المعبّرة «**إن لجسدك عليك حقاً**».

فعن عبدِ الله بن عمرو (رضي الله عنه) قال: دَخلَ عليَّ رسولُ الله (ﷺ) فقال: «**ألم أُخبَرْ أنكَ تقومُ الليلَ وتصومُ النهار؟ قلت: بَلى. قال: فلا تَفعلْ، قُم ونَم، وصُم وأفطر، فإنَّ لجسَدِكَ عليك حقاً وإن لِعَينكَ عليكَ حقاً، وإنَّ لزَورِك(٤) عليكَ حقاً، وإنَّ لزَوجك**

---

(١) ينظر: زيدان، عبد الكريم. **الوجيز في شرح القواعد الفقهية في الشريعة الإسلامية**. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٢٢هـ=٢٠٠١م). ص٥٣ وما بعدها.

(٢) ينظر: الشاطبي، **الموافقات**. ج٢: ص٢١٢ وما بعدها. وزيدان، **الوجيز في شرح القواعد**. ص٥٣ وما بعدها. **والعاني، الموازنة بين المصالح والمفاسد**. ص١٢٥وما بعدها. والخادمي، نور الدين بن مختار. **علم المقاصد الشرعية**. ط١. الرياض: مكتبة العبيكان، (١٤٢١هـ). ص١١٩ وما بعدها.

(٣) ينظر: **المصدر نفسه**، ص١٢٣.

(٤) لزورك: أي زائرك، النووي، **المنهاج**. ج٨: ص٤٢.

عليكَ حقاً. وإنكَ عسى أن يَطولَ بكَ عُمرٌ، وإنَّ من حَسْبِكَ أن تصومَ من كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيام، فإن بكلِّ حسَنة عَشرَ أمثالها، فذلك الدَّهرُ كلُّه. قال: فشدَّدتُ فشُدِّدَ عليَّ. قلتُ: فإني أطيقُ غيرَ ذلك، قال: فصُم مِن كلِّ جمعة ثلاثةَ أيامٍ قال: فشدَّدتُ فشُدِّدَ عليَّ. قلتُ: فإني أطيقُ غيرَ ذلك، قال: فصم صوم نبي الله داودَ، قلتُ: وما صومُ نبيِّ الله داوُدَ؟ قال: نصفُ الدَّهر»(١).

وورد عن عبد الله بن عمرو عندما كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظفه على نفسه عند رسول الله (ﷺ)، قال: «وددت أني كنت قبلت رخصة رسول الله (ﷺ)»(٢).

وكذلك نهى النبي (ﷺ) عن صوم الوصال وذلك لان فيه المشقة والعناء على الجسد، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبيِّ (ﷺ) قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ مَرَّتَيْنِ قِيلَ إِنَّكَ تُوَاصِلُ قَالَ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ فَاكْلَفُوا مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ**»(٣).

والوصال هو صوم يومين فصاعداً من غير أكل أو شرب بينهما، وقد اختلف في حق غيره (ﷺ) فقيل: التحريم مطلقاً، وقيل: محرم في حق من يشق عليه ويباح لمن لا يشق عليه، وبالنهي عنه قال جمهور العلماء، واحتجوا بعموم النهي وقوله ﷺ لا تواصلوا وأجابوا على قوله رحمة بأنه لا يمنع ذلك كونه منهيا عنه للتحريم، وسبب تحريمه الشفقة عليهم لئلا يتكلفوا ما يشق عليهم، وفي الحديث دلالة على تحريم الوصال، وأنه من خصائصه (ﷺ)(٤).

---

(١) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الأدب. باب حق الضيف. ح (٥٧٨٣). ج٥: ص٢٢٧٢. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الصيام. باب النهي عن صوم الدهر. ح (١١٥٩). ص٤٤٨.

(٢) النووي، **المنهاج**. ج٨: ص٤٣.

(٣) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الصوم. باب التنكيل لمن اكثر الوصال. ح (١٨٦٥). ج٢: ص٦٩٤. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الصيام. باب النهي عن الوصال في الصوم. ح (١١٠٣). ص٤٢٧.

(٤) ينظر: النووي، **المنهاج**. ج٧: ص٢١١-٢١٢. والصنعاني، **سبل السلام**. دار الحديث. ج١: ص٥٦٥.

ونهى النبي (ﷺ) رجلاً أراد أن يتعبد ويتقرب إلى الله تعالى ولكن بتعذيب جسده، وتعرضه إلى المشقة، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) بَيْنَا النَّبِيُّ (ﷺ) يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي (ﷺ) «**مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ**»[1].

وفي رواية عن أنس (رضي الله عنه) عن النبيِّ (ﷺ) قال: «**إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ**»[2].

وقد عالج النبي (ﷺ) بعض الأفكار التي سرت إلى بعض الصحابة، حيث حرّم بعضهم النوم على نفسه، وبعضهم تعاهد أن يصوم الدهر، وبعضهم قرر التبتل إلى الله وعدم الاقتراب من النساء، احتساباً لزيادة الاجر وطلباً لمغفرة الله تعالى.

فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي (ﷺ) يسألون عن عبادة النبي (ﷺ) لما أُخبروا كأهم تقالوها، فقالوا وأين نحن من النبي (ﷺ) وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم أمّا أنا فإني أُصلي الليل أبداً وقال الآخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال الآخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله (ﷺ) إليهم فقال: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؛ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[3].

وهذا دليل واضح على أن المشروع هو الاقتصاد في العبادات دون الانهماك والإضرار بالنفس، وهجر المألوفات كلها، وأن الملة المحمدية شريعتها مبنية على الاقتصاد والتسهيل

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الإيمان والنذور. باب النذر فيما لا يملك وفي معصية. ح (٦٣٢٦). ج٦: ص٢٤٦٥.

(٢) **المصدر نفسه**، ح (٦٣٢٣). ج٦: ص٢٤٦٤.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب النكاح. باب الترغيب في النكاح، ح (٤٧٧٦). ج٥: ص١٩٤٩. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب النكاح. باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، ح (١٤٠١)، ص٥٤٩. (واللفظ للبخاري).

والتيسير، وعدم التعسير والمشقة والهلاك[1].

وهكذا أكرم الشرع الحنيف الإنسان، وأبعد عنه المشقة والهلاك حتى في أخطر الجوانب التي هي العبادات، والله سبحانه وتعالى بكرمه ولطفه خفف عن الإنسان حتى لا يهلك ولا يشقى، فله الحمد وله الفضل والمِنّة.



(١) ينظر: الصنعاني، **سبل السلام**. ج٢: ص١٦١.

المبحث الرابع

الطيبات في الجنة

المطلب الأول: خصائصها

إن للجنة ونعيمها خصائص لا توجد في الدنيا، وبما الإنسان مجبول على حب التنعم والاستمرارية فيه، فقد يأتيه هواجس الخوف والقلق، وأحياناً يؤدي به إلى الارهاق من زوال النعم بأنواعها، الجسدية والنفسية وغير ذلك، فالله تعالى بكرمه جعل للجنة خصائص تقضي على جميع هذه الهواجس التي تشغل بال الإنسان، فمن هذه الخصائص:

۞ **أولاً: لا ينفد**، قال تعالى: ﴿**مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ**﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا**﴾ [النساء: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص: ٥٤]. فبعدما ذكر الله تعالى من ألوان النعم والكرامات، أخبرهم بأن ما أعطاهم لا فراغ لها ولا انقضاء ولا زوال ولا انتهاء ولا انقطاع أبداً[١].

۞ **ثانياً: الإقامة الدائمة**، قال تعالى: ﴿**يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ**﴾ [التوبة: ٢١]. وقال تعالى: ﴿ **لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ** ﴾ [الحجر: ٤٨].

فتمام النعمة تتم بالخلود والمراد بقوله تعالى (وما هم بمخرجين) كونه خلوداً بلا زوال وبقاء بلا فناء، وكمالاً بلا نقصان، وفوزاً بلا حرمان على سائر الأوقات، وفي هذا الخلود الدائم وعلمهم به تمام اللذة وكمال النعيم، فإنّ علم من هو في نعمة ولذة بانقطاعها

---

(١) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٧: ص٧٨. والآلوسي، **روح المعاني**. ج١٢: ص٢٠٥. والشنقيطي، **أضواء البيان**. ج٦: ص٣٤٨.

وعدمها بعد حين موجب لتنغص نعيمه وتكدّر لذته[1].

۞ **ثالثاً: درجات متعددة،** قال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿... فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥- ٩٦].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) «**إِنَّ فِي الْجَنَّة مائَةَ دَرَجَة أَعَدَّهَا اللَّهُ للْمُجَاهدينَ فِي سَبِيله كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّة وَأَعْلَى الْجَنَّة وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّة**»[2]. «أي درجات كثيرة جداً ومنازل عالية شامخة فالمراد بالمائة التكثير لا التحديد فلا تدافع بينه وبين خبر إن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة، وقيل الحصر في المائة للدرج الكبار المتضمنة للصغار»[3].

۞ **رابعاً: سلام وأمان:** قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

قال الماوردي[4]: «وفي تسميتها دار السلام وجهان: أحدهما: لأنها دار السلامة الدائمة من كل آفة، والثاني: أن السلام هو الله، والجنة داره، فلذلك سُمِّيَتْ دار السلام»[5].

---

(١) ينظر: **الفخر الرازي**، التفسير الكبير. ج١٩: ص١٤٨. والبيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج٣: ص٢١٣. والشوكاني، **فتح القدير**. ج٣: ص١٦١. والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٤٣١.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب التوحيد. باب (وكان عرشه على الماء). ح (٦٩٨٧). ج٦: ص٢٧٠٠.

(٣) المناوي، **فيض القدير**. ج١٠: ص٣٠٥.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) أورد الوجه الأول عن الزجاج، والثاني عن الحسن والسدي. الماوردي، **النكت والعيون**. ج٢: ص١٦٧.

وقال الزمخشري[1]: «دار السلام: دار الله، يعني الجنة أضافها إلى نفسه تعظيماً لها، أو دار السلامة من كل آفة وكد»[2].

أما عن الامان في الجنة فقال تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٦].

«آمنين» أي من عذاب الله وعقابه، أو أن تُسلبوا نعمة أنعمها الله عليكم، وكرامة أكرمكم بها ومن الموت والآفات والنوم والنصب والمرض والخوف الحزن والهم واللغوب، وسائر المكدرات وانقطاع شيء من النعيم الذي أنتم فيه أو نقصانه[3].

فالجنة التي هي أمل المؤمنين ومستقر الطائعين لله تعالى، وصفه سبحانه بأنها دار السلام، فهي سلام وأمان وطمئنة لأهلها مما يخافون منها في الدنيا، ومن هذه المخاوف:

أ. **نار جهنم**: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١- ١٠٣].

ب. **الموت**: قال تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [الدخان: ٥٦].

ت. **الفقر**: عن المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال: «**سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّة مَنْزِلَةً قَالَ هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدخلَ أَهْلُ الْجَنَّة الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ أَىْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ فَيُقَالُ لَهُ أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ لَكَ**

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الزمخشري، **الكشاف**. ج٢: ص٦٤.

(٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج١٧: ص١٠٧. وابن الجوزي، **زاد المسير**. ج٢: ص٥٣٥. والبغوي، **معالم التتريل**. ج٤: ص٣٨٣. والخازن، **لباب التأويل**. ج٣: ص٥٧. والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٤٣١.

ذَلكَ وَمثْلُهُ وَمثْلُهُ وَمثْلُهُ وَمثْلُهُ. فَقَالَ فِى الْخَامسَة رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَاله وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ...»[1].

فالفقر من الامور التي يخاف منها الإنسان، وهاجس دائم يقلقه، ويصرف جل وقته وعمره لدفعه، فإذا كان أدنى أهل الجنة يملك عشرة أمثال مُلك مَلك من ملوك الدنيا فكيف بأعلاهم، فهذه دلالة جلية على أنه لا فقر في الجنة.

الهرم: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال قلنا يا رسول الله ممّ خلق الخلق؟ قال «**من الماء**» قلنا الجنة ما بناؤها؟ قال «**لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من دخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم**»[2]. فقوله (صلى الله عليه وسلم) «**ولا يفنى شبابهم**» «أي لا يهرمون ولا يخرفون ولا يغيرهم مضي الزمان»[3].

أ. **المرض:** قال تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩].

وجاء معنى الغول والصدع: بالوجع والصداع، فهما من أعراض المرض[4].

ووصف النبي (صلى الله عليه وسلم) أهل الجنة بأنهم لا يمرضون في الحديث الذي رواه أبو هريرة (رضي الله عنه)، حيث ذكر جملة من صفاتهم ومنها أنهم «**لا يَسْقَمُونَ**»[5]..........................

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان. باب أدنى أهل الجنة مترلة فيها. ح (١٨٩). ص١٠٥.

(٢) الترمذي، **سنن الترمذي**. كتاب صفة الجنة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم). باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها. ح (٢٥٢٦). ص٥٦٨-٥٦٨. (صحيح)

(٣) المباركفوري، **تحفة الاحوذي**. ج١٤: ص٢٢١.

(٤) ينظر: الماوردي، **النكت والعيون**. ج٥: ص٤٧. والبغوي، **معالم التتريل**. ج٧: ص٤٠.

(٥) ونص الحديث هو أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «**أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لا اخْتِلافَ بَيْنَهُمْ وَلا تَبَاغُضَ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ**=

أي لا يمرضون[1].

ب. التعب والمشقة: قال تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨]. قوله تعالى: «نصب» أي «المشقة والأذى»[2].

ت. الخوف والحزن: قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٨- ٦٩].

المطلب الثاني: تنوعها

۞ **أولاً: مساكن طيبة:** قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً ﴾ أي أنها «تستطيبها النفس، أو يطيب فيها العيش، ومرجع العطف فيها يحتمل أن يكون إلى تعدد الموعود لكل واحد، أو للجميع على سبيل التوزيع، أو إلى تغاير وصفه، فكأنه وصفه أولاً بأنه من جنس ما هو أبهى الأماكن التي يعرفونها لتميل إليه طباعهم أول ما يقرع أسماعهم، ثم وصفه بأنه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها أماكن الدنيا، وفيها ما تشتهي

=**لَحْمِهَا مِنْ الْحُسْنِ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا لَا يَسْقَمُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبْصُقُونَ آنِيَتُهُمْ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَأَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ وَوَقُودُ مَجَامِرِهِمْ الْأَلُوَّةُ قَالَ أَبُو الْيَمَانِ يَعْنِي الْعُودَ وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ»** البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب بدأ الخلق. باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. ح (٣٠٧٤). ج٣: ص١١٨٦.

(١) **المصدر نفسه**، ج٣: ص١١٨٦.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٤: ص٥٣٩.

الأنفس وتلذ الأعين، ثم وصفه بأنه دار إقامة وثبات في جوار عليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير، ثم وعدهم بما هو أكبر من ذلك فقال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ لأنه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي إلى نيل الوصول والفوز باللقاء»[1].

وقال السعدي[2] عن هذه المساكن: «قد زخرفت وحسنت وأعدت لعباد اللّه المتقين، قد طاب مرآها، وطاب مترلها ومقيلها، وجمعت من آلات المساكن العالية ما لا يتمنى فوقه المتمنون، حتى إن اللّه تعالى قد أعد لهم غرفاً في غاية الصفاء والحسن، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها فهذه المساكن الأنيقة، التي حقيق بأن تسكن إليها النفوس، وتترع إليها القلوب، وتشتاق لها الأرواح، لأنها في جنات عدن، أي: إقامة لا يظعنون عنها، ولا يتحولون منها»[3].

وعن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إِنَّ فِي الْجَنَّة خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَة مُجَوَّفَة عَرْضُهَا ستُّونَ ميلاً في كُلِّ زَاويَة منْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ الْمُؤْمنُونَ وَجَنَّتَان منْ فضَّة آنيَتُهُمَا وَمَا فيهمَا وَجَنَّتَان منْ كَذَا آنيَتُهُمَا وَمَا فيهمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إلى رَبِّهِمْ إلا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِه فِي جَنَّة عَدْن**»[4].

وعن علي (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) «**إِنَّ فِي الْجَنَّة لَغُرَفاً يُرَى بُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا وَظُهُورُهَا مِنْ بُطُونهَا**» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنْ هِيَ قَالَ: «**لِمَنْ أَطَابَ الْكَلامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَصَلَّى لِلَّه بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»[5].

۞ **ثانياً: أزواج مطهرة:** قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

---

(١) البيضاوي، **أنوار التتريل**. ج٣: ص٨٩.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٣٤٣.

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير. سورة الرحمن. ح (٤٥٩٨) ج٤: ص١٨٤٩.

(٥) أحمد، **المسند**. ح (١٣٣٧). ج١: ص١٥٥. (حسن لغيره)

«والمراد بتطهير الأزواج: أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة، وما لا يختص بهنّ من الأقذار والأدناس، ويجوز لمجيئه مطلقاً: أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق الذي عليه نساء الدنيا، مما يكتسبن بأنفسهنّ، ومما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشيء المفسدة، ومن سائر عيوبهنّ ومثالهنّ وخبثهنّ وكيدهنّ»[1].

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٦- ٥٨].

وعن أبي هريرة (ﷺ) قال قال رسول الله (ﷺ) «... **لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنْ الْحُسْنِ**..»[2].

۞ **ثالثاً: أنهار الجنة**: قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

﴿ءَاسِنٍ﴾ معناه غير متغير، قرأ جمهور القراء «آسِن» على وزن فاعل، وقرأ ابن كثير «أسِن» على وزن فعل، وهي قراءة أهل مكة، والأسن أيضاً هو الذي يخشى عليه من ريح منتنة من ماء[3].

قال ابن عاشور[4]: والأنهار: جمع نهر، وهو الماء المستبحر الجاري في أخدود عظيم من الأرض فأما إطلاق الأنهار على أنهار الماء فهو حقيقة، وأما إطلاق الأنهار على ما هو من لبن وخمر وعسل فذلك على طريقة التشبيه البليغ، أي مماثلة للأنهار، فيجوز أن تكون المماثلة تامة في أنها كالأنهار مستبحرة في أخاديد من أرض الجنة فإن أحوال الآخرة خارقة

---

(١) الزمخشري، **الكشاف**. ج١: ص١٠٩.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: ابن عطية، **المحرر والوجيز**. ج٥: ص١١٤. وسالم، **فريدة الدهر**. ج٤: ص٤٣٢.

(٤) سبق ترجمته.

للعادة المعروفة في الدنيا، فإن مرأى أنهار من هذه الأصناف مرأى مبهج، ويجوز أن تكون مماثلة هذه الأصناف للأنهار في بعض صفات الأنهار وهي الاستبحار، وهذه الأصناف الخمسة المذكورة في الآية كانت من أفضل ما يتنافسون فيه ومن أعز ما يتيسر الحصول عليه، فكيف الكثير منها»[1].

ولعل قصده بالصنف الخامس هو الثمرات، لأن الانهار المذكورة في الآية أربعة فقط، الماء واللبن والخمر والعسل.

وقال الفخر الرازي[2]: «اختار الأنهار من الأجناس الأربعة، ثم عرى كل واحد من الأشياء الأربعة عن صفات النقص التي هي فيها وتتغير بها الدنيا، فالماء يتغير يقال أسن الماء يأسن على وزن أمن يأمن فهو آسن وأسن اللبن إذا بقي زماناً تغير طعمه، والخمر يكرهه الشارب عند الشرب، والعسل يشوبه أجزاء من الشمع ومن النحل يموت فيه كثيراً»[3].

۞ **رابعاً: الأكل والشرب:** قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠-٢١]. وقال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٣].

ذكر المفسرون في تفسير هذه الآيات وجوهاً عديدة، إلا أن معانيها على الراجح من الأقوال كالآتي: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾: النبق الذي لا شوك فيه، ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾: الموز المصفوف ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾: الظل الدائم، ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾: الماء المنصب في غير أخدود ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾: وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان، ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾:

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٦: ص٩٥-٩٦.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٨: ص٤٦-٤٧. (بتصرف)

لا تنقطع شتاء ولا صيفاً، بل أكلها دائم مستمر أبداً، مهما طلبوا وجدوا، لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء[1].

۞ **خامساً: اللبس والزينة:** قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا﴾ [الكهف: ٣١].

«أي: أولئك الموصوفون بالإيمان والعمل الصالح، لهم الجنات العاليات التي قد كثرت أشجارها، فأجنت من فيها، وكثرت أنهارها، فصارت تجري من تحت تلك الأشجار الأنيقة، والمنازل الرفيعة، وحليتهم فيها الذهب، ولباسهم فيها الحرير الأخضر من السندس، وهو الغليظ من الديباج، والإستبرق، وهو ما رق منه، متكئين فيها على الأرائك، وهي السرر المزينة، المجملة بالثياب الفاخرة فإنها لا تسمى أريكة حتى تكون كذلك، وفي اتكائهم على الأرائك، ما يدل على كمال الراحة، وزوال النصب والتعب، وكون الخدم يسعون عليهم بما يشتهون، وتمام ذلك الخلود الدائم والإقامة الأبدية، فهذه الدار الجليلة ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾ للعاملين ﴿وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا﴾ يرتفقون بها، ويتمتعون بما فيها، مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، من الحبرة والسرور، والفرح الدائم، واللذات المتواترة، والنعم المتوافرة»[2].

۞ **سادساً: ولدان مخلدون:** قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا﴾ [الإنسان: ١٩].

والطواف: المشي المكرر حول شيء وهو يقتضي الملازمة للشيء، ووصف الولدان بالمخلدين، أي دائمين على الطواف عليهم ومناولتهم لا ينقطعون عن ذلك، وإذ قد ألفوا رؤيتهم فمن النعمة دوامهم معهم، وقد فسر مخلدون بأنهم مخلدون في صفة الولدان، أي

---

(١) ينظر: الماوردي، **النكت والعيون**. ج٥: ص٤٥٤. وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٧: ص٥٢٥ وما بعدها.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٤٧٥.

بالشباب والغضاضة، أي ليسوا كولدان الدنيا يصيرون قريباً فتياناً فكهولاً فشيوخاً، فالولدان فهم صغار الخدم، صغار الأسنان، ووصفهم بالخلد وإن كان جميع ما في الجنة كذلك إشارة إلى أنهم في حال الولدان «مخلدون» لا تكبر بهم سن(1).

۞ **سابعاً: فيها ما تشتهيه الأنفس:** قال تعالى: ﴿ **يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴾ [الزخرف: ٧١].

وإضافة إلى ذلك ففي الجنة ما لا عين رأت ولا وأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما أخبر عنه الصادق المصدوق (ﷺ)، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (ﷺ) «**قَالَ اللهُ تَعَالَى أعْدَدْتُ لعِبَادِي الصَّالحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فاقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ:** ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة: ١٧]»(2).

ومما سبق يُعلم أن السعادة الحقيقية التي يبحث الإنسان عنها لا توجد في الدنيا، لأنها فانية وزائلة، ولا يأمن الإنسان فيها من الموت والمرض والهرم والنقص والزوال وغير ذلك، فالجنة هي المرحلة النهائيَّة لرحلة الإنسان في مشوار حياته، ويجب أن تكون الغاية التي من أجلها يعيش الإنسان، لأن فيها السعادة الحقيقة الأبدية، والخلود الدائم والنعيم المقيم المتنوع، من الحدائق، والأنهار، والعيون، والأطعمة، والأشربة الطهورة، والألبسة، والحور العين، والولدان المخلَّدين، والخدم، والأسرّة والقصور الفاخرة من ذهب وفضة وغيرها من النعم.



---

(١) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٥: ص٢٤٢. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٧: ص٢٩٣.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب بدأ الخلق. باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. ح (٣٠٧٢). ج٣: ص١١٨٥. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب الاقتصاد في الموعظة. ح (٢٨٢٤). ١١٣٦. (واللفظ للبخاري).

الفصل الثالث

تكريم الإنسان بحفظ عوامل بقائه

- **المبحث الأول: تحريم قتله**

المطلب الأول: القتل هدم للبنية الإنسانية

المطلب الثاني: انواع القتل وعقوبته

- **المبحث الثاني: تحريم الاعتداء عليه**

المطلب الأول: ما دون النفس

المطلب الثاني: الاعتداء المعنوي

- **المبحث الثالث: الحفاظ على حقوقه**

المطلب الأول: ماهية الحق

المطلب الثاني: الحقوق الضرورية

- **المبحث الرابع: حق الكرامة الإنسانية**

المطلب الأول: الحقوق الخاصة

المطلب الثاني: تكريم المرأة

المبحث الأول

تحريم قتله

المطلب الأول: القتل هدم للبنية الإنسانية

الإنسان ذلك المخلوق الذي خلقه الله سبحانه وتعالى وفضله على كثيراً من خلقه تفضيلاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

فيحرم الاعتداء على الإنسان في الإسلام بجميع ما تحمله كلمة الاعتداء من دلالات، وهنا نبحث عن اشدها خطراً، وأعظمها إثماً الا وهي القتل.

و**القتل:** «هو الفعل المزهق أي القاتل للنفس»[1].

قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ...﴾ [المائدة: ٣٢].

هذه الآية جاءت بعد ذكر قصة ابني آدم، والصحيح أنهما ابناه لصلبه على قول الجمهور من المفسرين، وقاله ابن عباس وابن عمر وغيرهما، وهما قابيل وهابيل، والقاتل هو قابيل[2]، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢٧-٣٠].

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ أي من جراء ذلك القاتل وجريرته، وبسبب هذه النازلة فرضنا، وقد خص بني إسرائيل بالذكر، وقد تقدمتهم أمم قبلهم كان قتل النفس فيهم محظوراً،

---

(١) الخطيب الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الشافعي (ت ٩٧٧هـ). **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**. ط١. دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ=١٩٩٤م). ج٥: ص٢١١.

(٢) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٦: ص١٣٣.

لأنهم أول أمة نزل الوعيد عليهم في قتل الأنفس مكتوباً، وكان قبل ذلك قولاً مطلقاً، فغلظ الأمر على بني إسرائيل بالكتاب بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء، ومعنى ﴿نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي بغير أن يقتل نفساً فيستحق القتل، وقد حرم الله القتل في جميع الشرائع إلا بثلاث خصال: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس ظلماً وتعدياً[(١)].

ذكر ابن الجوزي[(٢)] في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ خمسة أقوال:

---

(١) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٦: ص١٤٦. (وتفاصيل ذلك مذكور في كتب الفقه تحت أبواب "الجنايات والحدود"). أما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣] وغيرها، فهي من آيات الجهاد والقتال ضد الكفار المحاربين ومن على شاكلتهم، دفاعاً عن الدين والنفس والأرض وغيرها، أو نشراً لدين الإسلام، فالقرآن قسّمهم إلى قسمين: كفار محاربين، وغير محاربين (مسالمين)، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨-٩]، وللجهاد أحكام ومراحل ومراتب وفضائل. ينظر: العز بن عبد السلام، الإمام الفقيه عزالدين عبد العزيز بن عبد السلام السلّمي (ت٦٦٠هـ). **أحكام الجهاد وفضائله**. تحقيق نزيه كمال حماد. ط١. جدة: مكتبة دار الوفاء، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م). ص٨٩ وما بعدها. وابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري (ت٧٠٢هـ). **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**. تحقيق مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس. ط١. مؤسسة الرسالة، (١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م). ص٤٨٩ وما بعدها.

(٢) هو الشيخ، الحافظ، المفسر، مَفْخَرُ العراق، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، من ذرية محمد بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، التيمي، البكري، البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف، ولد سنة ٥١٩هـ، كان بحراً في التفسير، علامة في السير والتاريخ، ومجموع تصانيفه مائتان ونيف وخمسون كتابا، منها: "زاد المسير"، "تذكرة الأريب"، "الوجوه والنظائر"، "جامع المسانيد"، "المنتظم في التاريخ"، وغيرها، توفي سنة٥٩٧هـ، ينظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٦: ص٥٣٧. وابن خلكان، **وفيات الأعيان**. ج٣: ص١٤٠- ١٤٢.

أحدها: أن عليه إثم من قتل الناس جميعاً، **والثاني**: أنه يصلى النار بقتل المسلم كما لو قتل الناس جميعاً، فيُعذَّبُ كما يُعذّب قاتل النَّاسِ جميعاً، **والثالث**: أنه يجب عليه من القصاص مثل ما لو قتل الناس جميعاً، **والرابع**: أن معنى الكلام: ينبغي لجميع الناس أن يُعينوا ولي المقتول حتى يُقيدوه منه، كما لو قتل أولياءَهم جميعاً، **والخامس**: أن المعنى: من قتل نبياً أو إماماً عادلاً، فكأنما قتل الناس جميعاً، قال ابن الجوزي: والقول بالعموم أصح[1].

وهناك تشابه بين القول الأول والثاني، فالأول تحدث عن عظمة إثم القاتل، حيث أنه يحمل إثم من قتل الناس جميعاً، أما الثاني، فهو عن الأثر الذي يترتب على ذلك الإثم، وهو عقاب الله تعالى في الآخرة، وبذلك يكون الوعيد في الآية وعيداً أخروياً، لأن الجزاء الدنيوي (القصاص) جاءت في الآيات التي تليها، وعليه يمكن ترجيحهما على غيرهما.

قال الفخر الرازي[2]: «المقصود من تشبيه قتل النفس الواحدة بقتل النفوس المبالغة في تعظيم أمر القتل العمد العدوان وتفخيم شأنه، يعني كما أن قتل كل الخلق أمر مستعظم عند كل أحد، فكذلك يجب أن يكون قتل الإنسان الواحد مستعظماً مهيباً، فالمقصود مشاركتهما في الاستعظام، لا بيان مشاركتهما في مقدار الاستعظام وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ المراد من إحياء النفس تخليصها عن المهلكات: مثل الحرق والغرق والجوع المفرط والبرد والحر المفرطين، والكلام في أن إحياء النفس الواحدة مثل إحياء النفوس على قياس ما قررناه في أن قتل النفس الواحدة مثل قتل النفوس»[3].

وأكد ذلك ابن عاشور[4] حيث قال: «وهذا بيان أن قتل النفس بغير حق جرم

---

(١) القول **الأول**: عن الحسن والزجاج، **والثاني**: عن مجاهد وعطاء وابن قتيبة، **والثالث**: عن ابن زيد، **والرابع**: عن القاضي أبو يعلى، **والخامس**: عن عكرمة عن ابن عباس، ينظر: ابن الجوزي. **زاد المسير**. ج١: ص٥٣٩.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١١: ص٣٤٤.

(٤) سبق ترجمته.

فظيع، كفظاعة قتل الناس كلهم، والمقصود التوطئة لمشروعية القصاص المصرح به في الآية الآتية: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ... ﴾ [المائدة: ٤٥][1].

وقال: «فالمقصود من ذلك التشبيه تهويل القتل، وليس المقصود أنه قد قتل الناس جميعا، ألا ترى أنه قابل للعفو من خصوص أولياء الدم دون بقية الناس»[2].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٨].

قال القرطبي[3]: «دلت هذه الآية على أنه ليس بعد الكفر أعظم من قتل النفس بغير الحق ثم الزنى»[4].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ...﴾ [النساء: ٩٢].

«هذا النفي هو بمعنى النهي المقتضي للتحريم، ولو كان هذا النفي على معناه لكان خبراً، وهو يستلزم صدقه، فلا يوجد مؤمن قتل مؤمناً قط؛ وقيل المعنى: ما كان له ذلك في عهد الله، وقيل: ما كان له ذلك فيما سلف، كما ليس له الآن ذلك بوجه، ثم استثنى منه استثناء منقطعاً فقال: إلا خطأ، أي: ما كان له أن يقتله البتة، لكن إن قتله خطأ فعليه كذا»[5].

فالقتل هدم للبنية الإنسانية وجريمة كبرى، ومن السبع الموبقات التي يترتب عليها استحقاق العقاب في الدنيا والآخرة إذا كان عمداً، وذلك بالخلود في نار جهنم؛ لأنه اعتداء على أكرم مخلوقات الله، وتهديد لأمن الجماعة وحياة المجتمع، لذا جاء وعيد القاتل عمداً، وعيداً ترجف له القلوب وتنصدع له الأفئدة، وتترعج منه أولو العقول، فلم يرد في

---

(١) **التحرير والتنوير**، ج٦: ص١٧٧.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٦: ص١٧٨.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٣: ص٧٦.

(٥) الشوكاني، **فتح القدير**. ج١: ص٥٧٤.

أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد، بل ولا مثله، ألا وهو الإخبار بأن جزاءه جهنم، أي: فهذا الذنب العظيم قد انتهض وحده أن يجازي صاحبه بجهنم، بما فيها من العذاب العظيم، والخزي المهين، وسخط الجبار، وفوات الفوز والفلاح، وحصول الخيبة والخسار، لذلك اختلف العلماء في قاتل العمد هل له من توبة؟ أي هل تقبل توبته إذا تاب بعد ارتكابه هذه الكبيرة؟ فقال بعضهم لا توبة له لعموم الآية، وقال آخرون يبقى في مشيئة الله إن شاء عذبه وان شاء عفا عنه، وقال آخرون له إن يتوب للأدلة الواردة في الكتاب والسنة وهو الأصح والله تعالى اعلم(١).

المطلب الثاني: أنواع القتل وعقوبته

يرى أكثر العلماء ومنهم الشافعية والحنابلة: أن القتل ثلاثة أنواع: قتل خطأ، وعمد، وشبه عمد(٢).

فالقتل الخطأ: «فهو القتل الحادث بغير قصد الاعتداء لا للفعل، ولا للشخص، كأن وقع شخص على آخر فمات، أو رمى شجرة أو دابة فأصابت الرمية إنساناً فمات، أو رمى آدمياً فأصاب غيره فمات»(٣).

والقتل العمد: «هو قصد الفعل العدوان والشخص بما يقتل غالباً، جارحٍ، أو مثقل، مباشرة، أو تسبباً، كحديد وسلاح وخشبة كبيرة، وإبرة في مقتل، أو غير مقتل كفخذ وألية إن حدث تورم وألم واستمر حتى مات، أو كأن قطع إصبع إنسان، فسرت الجراحة إلى النفس ومات»(٤).

---

(١) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٥: ص٣٣٢ وما بعدها. والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص١٩٣. والزحيلي، **الفقه الإسلامي**. ج٧: ص٥٣١.

(٢) ينظر: الخطيب الشربيني، **مغني المحتاج**. ج٥: ص٢٩٨. وابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الشهير بابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ). **المغني**. مكتبة القاهرة، (١٣٨٨هـ=١٩٦٨م). ج٨: ص٢٦٠.

(٣) الزحيلي، **الفقه الإسلامي**، ج٧: ص٥٣٧.

(٤) **المصدر نفسه**. ج٧: ص٥٣٧.

أما شبه العمد: «فهو قصد الفعل العدوان والشخص بما لا يقتل غالباً، كضرب بحجر خفيف أو لكمة باليد، أو بسوط، أو عصا صغيرين أو خفيفين، ولم يوال بين الضربات، وألا يكون الضرب في مقتل، أو كان المضروب صغيراً أو ضعيفاً، وألا يكون حر أو برد مساعد على الهلاك، وألا يشتد الألم ويبقى إلى الموت، فإن كان شيء من ذلك فهو عمد؛ لأنه يقتل غالباً. ولا قصاص في شبه العمد، وإنما فيه دية مغلظة»(١).

فعن **القتل الخطأ** قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ...﴾ [النساء: ٩٢]. وقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ فعليه تحرير رقبة مؤمنة يعتقها كفارة عن قتل الخطأ، وعبر بالرقبة عن جميع الذات، «والدية: ما تعطى عوضاً عن دم المقتول إلى ورثته، والمسلمة: المدفوعة المؤداة، والأهل: المراد بهم الورثة من أهله من أهل الإسلام، وأجناس الدية وتفاصيلها قد بينتها السنة المطهرة، إلا أن يصدقوا أي: إلا أن يتصدق أهل المقتول على القاتل بالدية، سمي العفو عنها: صدقة، ترغيباً فيه»(٢).

وعن مقادير الديات قال الحَجَّاوي(٣):

---

(١) **المصدر نفسه.** ج٧: ص٥٣٧.

(٢) الشوكاني، **فتح القدير**. ج١: ص٥٧٥. (بتصرف)

(٣) هو موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا، الإمام العلّامة، فقيه ومفتي حنبلي، من أهل دمشق، وشيخ الإسلام بها، كان إماماً، بارعاً، أصولياً، فقيهاً، محدّثاً، ورعا، من تأليفه كتاب "الإقناع" جرّد فيه الصحيح من مذهب الإمام أحمد، لم يؤلّف أحد مؤلّفاً مثله في تحرير النقول وكثرة المسائل، ومنها "شرح المفردات" و"شرح منظومة الآداب" لابن مفلح، و"زاد المستقنع في اختصار المقنع" و"حاشية على الفروع" وغير ذلك. نسبته إلى (حجّة) من قرى نابلس، وكانت وفاته سنة ثمان وستين وتسعمائة. ينظر: الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت١٠٦١هـ). **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة.** تحقيق خليل المنصور. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٨هـ= ١٩٩٧م). ج٢: ص١٩٢. وابن العماد، **شذرات الذهب**. ج١٠: ص٤٧٢-٤٧٣.

«دية الحر المسلم مائة بعير[1]، أو ألف مثقال ذهباً، أو اثنا عشر ألف درهم فضة، أو مائتا بقرة، أو ألفا شاة، هذه أصول الدية فأيها أحضر من تلزمه لزم الولي قبوله»[2].

والحر المسلم: يشمل الكبير والصغير، والعاقل والمجنون، والعالم والجاهل، والذكر والأنثى، والمريض والصحيح، والأخرس والناطق، والأعمى والبصير، والأصم والسميع، وغير ذلك، لكن العلماء اختلفوا في دية المرأة ودية الكتابي، والأصل عدم الفرق حتى يقوم دليل صحيح على ذلك، أما دية المجوسي والوثني فثمانمائة درهم (أي من الفضة)[3].

أما عن **القتل العمد** والذي هو أشد خطراً ووبالاً على مرتكبه، قال سبحانه:

---

(١) والدية نوعان، دية مخففة ودية مغلظة، ففي قتل الخطأ تكون الدية مخففة وعلى عاقلة الجاني: مائة بعير، أو ألف مثقال ذهبا، أو اثنا عشر ألف درهم فضة، أو مائتا بقرة، أو ألفا شاة)، فأيها أحضر من تلزمه لزم الولي قبوله، وبالنسبة للبعير تجب مخمساً، فتكون دية الخطأ من الإبل: عشرين بنت مخاض، وعشرين بنت لبون، وعشرين حقة، وعشرين جذعة، وعشرين بني مخاض، يعني ذكوراً لكل واحد سنة، أما في القتل العمد وشبه العمد فتكون الدية مغلظة (على الجاني في العمد وعلى العاقلة في شبه العمد) أي مائة من الابل: خمس وعشرون بنت مخاض، وخمس وعشرون بنت لبون، وخمس وعشرون حقة، وخمس وعشرون جذعة، ومن العلماء من قال توزع أثلاثاً كما يلي: ثلاثون حقة (لها ثلاث سنوات)، ثلاثون جذعة (لها أربع سنوات)، أربعون خلِفَة أي حامل، والتغليظ خاص بالإبل فقط، وكلتاهما صح فيها الحديث، فمن العلماء من أخذ بهذا، ومنهم من أخذ بهذا، والأخير أغلظ من الأول، ويمكن أن يرد ذلك إلى رأي الحاكم الشرعي، فإذا رأى أن يجعلها هكذا فعل، وإذا رأى أن يجعلها هكذا فعل، حسب ما تقتضيه الأحوال، وأما المذهب فإنها متعينة في الأسنان الأربعة، في العمد وشبهه، وفي الخطأ في الأسنان الخمسة. ينظر: ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت١٤٢١هـ)، **الشرح الممتع على زاد المستقنع**. ط١. دار ابن الجوزي، (١٤٢٨هـ). ج١٤: ص١٢٢ وما بعدها.

(٢) الحجاوي، موسى بن أحمد بن موسى المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (ت٩٦٨هـ). **زاد المستقنع في اختصار المقنع**. تحقيق عبد الرحمن بن علي بن محمد العسّكر. الرياض: دار الوطن للنشر، ص٢١٣.

(٣) ينظر: **المصدر السابق**. ج١٤. ص١٢٨ وما بعدها.

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

ذكر الواحدي[١] في سبب نزول هذه الآية رواية جاء فيها: «إن مقيس بن صبابة وجد أخاه هشام بن صبابة[٢] قتيلاً في بني النجار وكان مسلماً، فأتى رسول الله (ﷺ) فذكر له ذلك، فأرسل رسول الله (ﷺ) معه رسولاً من بني فهر؛ فقال: «ائت بني النجار فأقرئهم السلام وقل لهم: إن رسول الله (ﷺ) يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن صبابة أن تدفعوه إلى أخيه فيقتص منه، وإن لم تعلموا له قاتلاً أن تدفعوا إليه ديته»، فأبلغهم الفهري ذلك عن النبي (ﷺ) فقالوا: سمعا وطاعة لله ولرسوله، والله ما نعلم له قاتلاً، ولكن نؤدي إليه ديته، فأعطوه مائة من الإبل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة، وبينهما وبين المدينة قريب، فأتى الشيطان مقيساً فوسوس إليه فقال: أي شيء صنعت؟ تقبل دية أخرجه فيكون عليك سُبَّةٌ؟ اقتل الذي معك فيكون نفس مكان نفس وفضل الدية، ففعل مقيس ذلك، فرمى الفهري بصخرة فشدخ رأسه، ثم ركب بعيراً منها وساق بقيتها راجعاً إلى مكة كافراً، وجعل يقول في شعره:

---

(١) هو الإمام، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، صاحب (التفسير)، وإمام علماء التأويل، كان أستاذ عصره في النحو والتفسير، لزم الأستاذ أبا إسحاق الثعلبي، وأكثر عنه، وأخذ علم العربية، عن أبي الحسن القهندزي، وسمع من أبي طاهر بن محمش، والقاضي أبي بكر الحيري، وغيرهم، حدث عنه أحمد بن عمر الأرغياني، وعبد الجبار بن محمد الخواري، وطائفة أكبرهم الخواري. صنف التفاسير الثلاثة: "البسيط"، و"الوسيط"، و"الوجيز" وله كتاب "أسباب الترول" مروي، و"التحبير في الأسماء الحسنى" وغيرها من الكتب، وكان طويل الباع في العربية، مات بنيسابور (شمال شرق إيران) في جمادى الآخرة، سنة ثمان وستين وأربع مائة، وقد شاخ. ينظر: ابن خلكان، **وفيات الاعيان**. ج٣: ص٣٠٣. والذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج١٨: ص٣٣٩-٣٤٢. وأبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**. ج٥: ص١٠٤.

(٢) في بعض النسخ المطبوعة وفي بعض التفاسير وجدها "ضبابة" بالضاد بدلاً عن الصاد، والأصل صبابة بصاد مُهْمَلَة وبائين موحدتين، قيل هُوَ اسْم أمه. ينظر: ابن عاشور **التحرير والتنوير**. ج٥: ص١٦٣.

قَتَلْتُ بِهِ فِهْراً وَحَمَّلْتُ عَقْلَهُ سَــرَاةَ بَنِــي النَّجَّــارِ أَرْبَــابَ فَــارِعِ
وَأَدْرَكْتُ ثَأْرِي وَاضْطَجَعْتُ مُوَسَّداً وَكُنْتُ إلى الأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ»[1]

وقال ابن عاشور[2] «هذا هو المقصود من التشريع لأحكام القتل، لأنه هو المتوقع حصوله من الناس، وإنما أخر لتهويل أمره، فابتدأ بذكر قتل الخطأ بعنوان قوله: «وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ»، ومن أجل ذلك قال الجمهور من الفقهاء: القتل نوعان عمد وخطأ، وهو الجاري على وفق الآية، ومن الفقهاء من جعل نوعا ثالثا سماه شبه العمد، واستندوا في ذلك إلى آثار مروية[3].

وقوله تعالى: ﴿خَـٰلِدًا فِيهَا﴾ «مَحمله عند جمهور علماء السنة على طول المكث في النار لأجل قتل المؤمن عمدا، لأن قتل النفس ليس كفرا بالله ورسوله، ولا خلود في النار إلا للكفر، على قول علمائنا من أهل السنة، فتعين تأويل الخلود بالمبالغة في طول المكث، وهو استعمال عربي، قال النابغة في مرض النعمان بن المنذر:

وَنَحْنُ لَدَيْهِ نَسْأَلُ اللَّــهَ خُلْــدَهُ يَرُدُّ مَلْكاً وَلِــلأَرْضِ عَــامِرَا»[4]

لذلك عدّه النبي (ﷺ) من الموبقات، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» قَالوا يا رسول اللّه وَمَا هُنَّ قَالَ: «**الشِّرْكُ باللَّه وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافلاتِ**»[5].

---

(١) الواحدي، **أسباب نزول القرآن**. ص١٧٠-١٧١.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٥، ص١٦٣.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٥، ص١٦٥.

(٥) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة. بــاب رمــي المحصنات. ح (٦٤٦٥).ج٦: ص٢٥١٥. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان. باب بيــان الكبائر وأكبرها. ح (٨٩). ص٦٣.

والمراد بالموبقة: «الكبيرة المهلكة، وسميت بذلك لأنها سبب لأهلاك مرتكبها"[1].

وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) «**أَوَّلُ ما يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ فِي الدِّماءِ**»[2].

وفي رواية أخرى عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول (ﷺ) «**لا يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَماً حَرَاماً**»[3].

ففيه تغليظ أمر الدماء وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها، وليس هذا الحديث مخالفاً للحديث المشهور «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلاَتُهُ**»[4]، لأن هذا الحديث الثاني فيما بين العبد وبين الله تعالى، وأما الحديث الأول فهو فيما بين العباد[5].

وقال الصنعاني[6] في شرح هذا الحديث: «فيه دليل على عظم شأن دم الإنسان، فإنه

---

(١) ابن حجر. **فتح الباري**. ج١٢: ص١٨٢.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الديات. ح (٦٤٧١). ج٦: ص٢٥١٧. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب القسامة والمحاربين. باب المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة. ح (١٦٧٨). ص٦٩٥. (واللفظ لمسلم).

(٣) قال مصطفى البغا: أي منشرح الصدر مطمئن النفس في سعة من رحمة الله عز وجل طالما أنه لم يقتل نفساً بغير حق. البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الديات. ح (٦٤٦٩). ج٦: ص٢٥١٧.

(٤) يأتي تخريجه قريباً.

(٥) ينظر: **صحيح مسلم**، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي. دار احياء التراث. ح (١٦٧٨). ج٣: ص١٣٠٤.

(٦) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، مجتهد، برع في جميع العلوم وفاق الأقران وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهر بالاجتهاد وعمل بالأدلة ونفر عن التقليد وزيف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية، وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن كثيرة. له نحو مئة مؤلف، ولد بمدينة كحلان سنة (١٠٩٩هـ)، من كتبه "توضيح الأفكار، شرح تنقيح الأنظار" و"سبل السلام شرح بلوغ=

يقدم في القضاء، فالدماء فيما يتعلق بحقوق المخلوق، وحديث الصلاة فيما يتعلق بعبادة الخالق وبأن ذلك في أولية القضاء والآخر في أولية الحساب»(١).

واستدل أيضاً بحديث ابن مسعود (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلاَةُ وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ**»(٢).

قال المناوي(٣): «وأول ما يقضى بين الناس في الدماء لأنها أكبر الكبائر بعد الشرك، والبداءة بها تدل على أهميتها وعظم مفسدة القتل، فإنه هدم البنية الإنسانية التي بنتها القدرة الإلهية، فليس بعد الكفر ذنب أعظم من القتل»(٤).

=المرام" و"المسائل المرضية في بيان اتفاق أهل السنة والزيدية" وغيرها من المصنفات، توفي بصنعاء سنة (١١٨٢هـ). ينظر: الشوكاني، **البدر الطالع**. ج٢: ص١٣٣ وما بعدها. وعبد الحي الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي (ت١٣٨٢هـ). **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**. تحقيق إحسان عباس. ط٢. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (١٩٨٢هـ). ج١: ٥١٣-٥١٤.

(١) الصنعاني، **سبل السلام**. ج٢: ص٣٣٧. (بتصرف يسير)

(٢) النسائي، **سنن النسائي**، كتاب تحريم الدم. باب تعظيم الدم. ح (٣٩٩١). ص٦١٧. (صحيح)

(٣) هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين، الإمام الكبير الحجة الثبت القدوة صاحب التصانيف السائرة وأجل أهل عصره من غير ارتياب وكان إماماً فاضلاً زاهداً عابداً من كبار العلماء بالدين والفنون، انزوى للبحث والتصنيف، له نحو ثمانين مصنفاً، منها: "كنوز الحقائق" في الحديث، و"التيسير" في شرح الجامع الصغير، اختصره من شرحه الكبير "فيض القدير" وشرح الشمائل للترمذي" وغير ذلك، عاش في القاهرة، وتوفي بها. ما بين (٩٥٢هـ-١٠٣١هـ). ينظر: المحبي الحموي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد الدمشقي (ت١١١١هـ). **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**. بيروت: دار صادر، ج٢: ص٤١٢-٤١٦. وحاجي خليفة، **كشف الظنون**. ج١: ص٥٦٠.

(٤) المناوي، **فيض القدير**. ج١١: ص٢٢٨.

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله (ﷺ) «**قَتْلُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا**»[1].

ولهذا شرع الإسلام القصاص حتى لا يُستهان بدم الإنسان، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٨- ١٧٩].

وردت في سبب نزول هذه الآية رواية عن ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال «إن حيين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل، وكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم عن بعض حتى أسلموا، فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العدد والأموال، فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم، وبالمرأة منا الرجل منهم فترل فيهم الحر بالحر والعبد بالعبد... الآية»[2].

وقوله تعالى: ﴿**فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ**﴾ «فالعفو أن يقبل الدية في العمد، ﴿**ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ**﴾ مما كتب على من كان قبلكم، فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان، وقال قتادة: رحم الله هذه الأمة وأطعمهم الدية، ولم تحل لأحد قبلهم، فكان أهل التوراة إنما هو القصاص وعفو ليس بينهم أرش، وكان أهل الإنجيل إنما هو عفو أمروا به، وجعل لهذه الأمة القصاص والعفو والأرش»[3].

وبهذا يكون القاتل (قتل خطأ) وقع عليه حقان، حق الله تعالى وهو تحرير رقبة مؤمنة، ومن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله، ولم يذكر هنا إطعام المساكين لمن لم

---

(١) النسائي، **سنن النسائي**. ح (٣٩٩٠). ص٦١٧. (حسن صحيح)

(٢) الواحدي، **اسباب الترول**. ص٤٩. والسيوطي، **لباب النقول**. ص٢٢.

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج١: ص٤٩١.

يستطع الصوم، كما هو الحال في كفارة الظهار، وذلك لتعظيم الأمر وخطورته، إلا أن بعض الفقهاء أجازوا الإطعام[1]، أما حق المقتول فهو دية مسلمة إلى أهله، ومقدار الدية مقرر في الشرع، من خلال السنة النبوية المطهرة، وسيرة الخلفاء الراشدين، بحيث لا يمكن التلاعب به، والظاهر أنه تم اختيار هذه الأصناف التي ذكرناها وبهذه الأعداد لأن كل صنف تساوي الصنف الآخر في القيمة ولكن بأعداد مختلفة، فمثلاً ثمن مائة بعير كان يساوي ثمن مائتي بقرة أو ثمن ألفي شاة وهكذا يُقدر في كل زمان، فيكون أهل المقتول أمام خيارين إما أخذ الدية وإما العفو.

أما في حالة القتل العمد فأهل المقتول «ورثته» أمامهم ثلاث خيارات، أما القصاص (حسب شروطه) أو قبول الدية، أو العفو.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

اتفق علماء البيان على أن هذه الآية في الإيجاز مع جمع المعاني باللغة بالغة إلى أعلى الدرجات، وأما المراد بالحياة في القصاص: فإنه ليس المراد من هذه الآية أن نفس القصاص حياة لأن القصاص إزالة للحياة وإزالة الشيء يمتنع أن تكون نفس ذلك الشيء، بل المراد أن شرع القصاص يفضي إلى الحياة، ففي حق من يريد أن يكون قاتلاً فلأنه إذا علم أنه لو قتل قُتل ترك القتل فلا يقتل فيبقى حياً، وأما في حق من يراد جعله مقتولا فلأن من أراد قتله إذا خاف من القصاص ترك قتله فيبقى غير مقتول، وأما في حق غيرهما فلأن في شرع

---

(١) قال ابن قدامة: "فصيام شهرين متتابعين، توبة من الله، وهذا ثابت بالنص أيضاً، فإن لم يستطع، ففيه روايتان؛ إحداهما، يثبت الصيام في ذمته، ولا يجب شيء آخر؛ لأن الله تعالى لم يذكره، ولو وجب لذكره. والثاني: يجب إطعام ستين مسكيناً؛ لأنها كفارة فيها عتق وصيام شهرين متتابعين، فكان فيها إطعام ستين مسكيناً عند عدمها، ككفارة الظهار والفطر في رمضان، وإن لم يكن مذكوراً في نص القرآن، فقد ذكر ذلك في نظيره، فيقاس عليه. فعلى هذه الرواية، إن عجز عن الإطعام، ثبت في ذمته حتى يقدر عليه". ابن قدامة، **المغني**. ج٨: ص٥١٧.

القصاص بقاء من همّ بالقتل، أو من يهم به وفي بقائهما بقاء من يتعصب لهما، لأن الفتنة تعظم بسبب القتل فتؤدي إلى المحاربة التي تنتهي إلى قتل عالم من الناس، فلكون القصاص مشروعاً زال كل ذلك وفي زواله حياة الكل[1].

وهنا نلفت بأن الكفارة لا تسقط ولو عفا الورثة عن الدية في حالتي القتل (الخطأ وشبه العمد)، فهي حق لله تعالى، وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، والحكمة من مشروعيتها محو الإثم الحاصل بسبب الاعتداء على النفس المعصومة.

ومما ذكرنا يمكن تلخيص الفرق بين انواع القتل الثلاثة كالتالي:

القتل الخطأ	القتل شبه العمد	القتل العمد
الجاني لا يقصد القتل أصلاً	الجاني يقصد الاعتداء ولا يقصد القتل	الجاني يقصد القتل
ليس فيه آلة قاتلة	الآلة لا تقتل في الغالب	الآلة تقتل في الغالب
لا قصاص فيه	لا قصاص فيه	فيه القصاص
الدية على العاقلة[2]	الدية على العاقلة	الدية على القاتل
الدية مؤجلة ثلاث سنوات	الدية مؤجلة ثلاث سنوات	الدية حالاً
فيه الكفارة	فيه الكفارة	ليس فيه كفارة (لا يُكفّر لبشاعته)

ومما سبق تبين أن مصادر التشريع الإسلامي اتفقت على حرمة دم الإنسان بغير حق، وتواترت فيها الأدلة من الكتاب والسنة، حتى أصبحت مما عُلِمَ من الدين بالضرورة (لا يُعذر فاعله)، لأن الإنسان معصوم الدم بأمر من خالقه سبحانه، ولا تُرفع عنه هذه العصمة إلا

---

(١) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٥: ص٢٢٩.

(٢) والعاقلة جمع عاقل، هم العصبة (القرابة من قبل الأب)، سموا بذلك لأنهم يعقلون الإبل بفناء دار القتيل، وقيل: لأنهم يمنعون عنه، والعقل: المنع، وقيل لإعطائها العقل الذي هو الدية. ينظر: الخطيب الشربيني، **مغني المحتاج**. ج٥: ص٣٣٤، ٣٥٨.

بأمر من خالقه سبحانه، وذلك عن طريق الدليل الثابت القطعي الذي لا يحتمل الشبهة، حيث نزلت آيات الكتاب المبين تشدد على حرمة دم الإنسان، وكذلك السنة النبوية المطهرة، لكون الإنسان قيمة عليا، ولعظيم مترلته من بين المخلوقات، ولأن الإسلام جاء ليرفع من شأن الإنسان ويرفع من مكانته ويحفظ له كرامته وحقه بالحياة، ويضمن له الحياة الحرة الكريمة، وحتى لا يكون دم الإنسان مهان وعبث بيد العابثين، فحفظه الإسلام وصانه من ذلك، وليس دمه فقط بل إن الإنسان بمجمله وما يتعلق به من حقوق وممتلكات مصانة في الشريعة الإسلامية.



المبحث الثاني

تحريم الاعتداء عليه

المطلب الأول: ما دون النفس

قال الراغب[1]: «الاعْتِدَاءُ: مجاوزة الحقّ»[2].

وقال ابن منظور[3]: العَداءُ: «الظلم وتجاوز الحدِّ، والعادي: الظالم الذي يفترس الناس»[4].

قال تعالى: ﴿...وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

والاعتداء المحرم هو على سبيل الابتداء لا على سبيل المجازاة، لقوله تعالى: ﴿... فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ ...﴾ [البقرة: ١٩٤]، أي: قابلوه بحسب اعتدائه وتجاوزوا إليه بحسب تجاوزه، ومن العدوان المحظور ابتداء قوله تعالى: ﴿... **وَتَعَاوَنُواْ** عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]،

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الراغب، **المفردات**. ص٣٢٦.

(٣) هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الشافعي النحوي، اللغوي الحجة، من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري، إمام النحاة وحافظ اللغة، ولد سنة ستمائة، أو إحدى وستمائة، وأخذ العربية عن غير واحد، وكان أكثر ما يستشهد بالقرآن، صاحب (لسان العرب)، خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس، وعاد إلى مصر فتوفي فيها سنة (٧١١هـ). ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ). **الوافي بالوفيات**. تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث، (١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م). ج٣: ص٢٨٦. ابن شاكر صلاح الدين، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر (ت٧٦٤هـ). **فوات الوفيات**. تحقيق إحسان عباس. ط١. بيروت: دار صادر، (١٩٧٤م). ج٧: ص٤٠٧-٤٠٩. والسيوطي، **بغية الوعاة**. ج١: ص١٣٠-١٣٦.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**. ج١٥: ص٣٣.

فيصح أن يُتعاطى مع من ابتدأ بالاعتداء والتجاوز[1].

«والجناية على ما دون النفس: هي كل اعتداء على جسد إنسان من قطع عضو، أو جرح، أو ضرب، مع بقاء النفس على قيد الحياة»[2].

والجناية العمدية على ما دون النفس إما أن تكون على الأطراف بقطعها أو تعطيل منافعها، أو تكون بإحداث جُرْح في غير الرأس وهي الجراح، أو في الرأس والوجه وهي الشجاج، والقاعدة المقررة في عقوبة هذه الجناية: هي أنه كلما أمكن تنفيذ القصاص فيه (وهو الفعل العمد الخالي عن الشبهة) وجب القصاص، وكل ما لا يمكن فيه القصاص (وهو الفعل الخطأ، وما فيه شبهة) وجب فيه الدية أو الأرش، والأرش: هو المال الواجب شرعاً في الجناية على ما دون النفس من الأعضاء وهو نوعان: مقدر وغير مقدر، فالمقدر: هو ما حدد الشرع له نوعاً ومقداراً معلوماً كأرش اليد والعين، وغير المقدر: هو ما لم يقدر له الشرع مقداراً معيناً، وترك أمر تقديره للقاضي، ومنه التعزير بسبب الضرب وغيره من الاعتداء[3].

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

هذه الأحكام من جملة الأحكام التي في التوراة، فإن الله تعالى أوجب عليهم فيها أن النفس إذا قتلت تُقتل بالنفس بشرط العمد والمكافأة، والعين تقلع بالعين، والأذن تؤخذ بالأذن، والسن يترع بالسن، ومثل هذه ما أشبهها من الأطراف التي يمكن الاقتصاص منها بدون حيف[4].

---

(١) ينظر: الراغب، **المفردات**. ص٣٢٧.

(٢) الزحيلي، **الفقه الإسلامي**. ج٧: ص٦٤٥.

(٣) ينظر: **المصدر نفسه**، ج٧: ص٦٤٦.

(٤) ينظر: السعدي. **تيسير الكريم الرحمن**. ص٢٣٣.

وعن مجاهد عن ابن عباس (رضي الله عنه): «إن على بني إسرائيل القصاص في القتلى، ليس بينهم دية في نفس ولا جرح، وذلك قول الله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ في التوراة، فخفف الله عن أمة محمد (ﷺ) فجعل عليهم الدية في النفس[1]. ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ «والاقتصاص: أن يفعل به كما فعل، فمن جرح غيره عمداً اقتص من الجارح جرحا مثل جرحه للمجروح، حداً، وموضعاً، وطولاً وعرضاً وعمقاً، وليعلم أن شرع من قبلنا شرع لنا، ما لم يرد شرعنا بخلافه، ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي: بالقصاص في النفس، وما دونها من الأطراف والجروح، بأن عفا عمن جنى، وثبت له الحق قبله، ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ أي: كفارة للجاني، لأن الآدمي عفا عن حقه، والله تعالى أحق وأولى بالعفو عن حقه، وكفارة أيضا عن العافي، فإنه كما عفا عمن جنى عليه، أو على من يتعلق به، فإن الله يعفو عن زلاته وجناياته»[2].

أما قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ فقد روي عن ابن عباس وعطاء وغيرهم بأنه: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، فهو ظلم أكبر عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له[3].

والدية تجب في خمسة أنواع:

* **النوع الأول: الجنين:** ويجب في الجنين ذكراً كان أو أنثى إذا سقط من الضربة ميتاً، وكان من حرة مسلمة، غُرَّةٌ عبد أو أمة، أي عُشْر دية أمه، وقيمتها خمس من الإبل

---

(١) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (ت٣٢٧هـ). **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق أسعد محمد الطيب. ط٣. المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، (١٤١٩هـ). ج٤: ص١١٤٤.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٢٣٣.

(٣) **المصدر نفسه**، ص٢٣٣. والجصاص، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر (ت٣٧٠هـ). **أحكام القرآن**. تحقيق محمد الصادق قمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي (١٤٠٥هـ). ج٤: ص٩٣.

أو ما يعادلها، موروثة عنه على الاصح، وهذا ما لم يسقط حياً ثم يموت، فإن سقط حياً ثم مات ففيه دية كاملة، والدية على عاقلة الجاني، وان تعمد فعليه، مع الكفارة عند الشافعية والحنابلة، والغُرّة عبد أو أمة، سميا بذلك لأنهما من أنفس الأموال، وأما جنين الكتابية والمجوسية إذا كان محكوما بكفره، ففيه عُشر دية أمه[1].

* **النوع الثاني**: ما لا نظير له في البدن، كالأنف: إذا قطع كله، أو قطع المارن (وهو مالان من الأنف) ففيه الدية، وفي كل من طرفي الأنف، والحاجز: ثلث الدية، وأما اللسان المتكلم به، لسان الناطق ففيه الدية، وفي لسان الأخرس عند (المالكية والحنفية والشافعية) حكومة (أي تعويض يقدره القاضي) وعند الحنابلة فيه ثلث الدية: أي حكومة، والحكومة عند المالكية إذا لم يذهب الذوق، وإلا فالدية، وفي لسان الطفل الذي لم ينطق دية عند الجمهور، وحكومة عند أبي حنيفة[2].

* **النوع الثالث**: الأعضاء التي في البدن منها اثنان: وهي اليدان، الرجلان، العينان، الأذنان، الشفتان، الحاجبان إذا ذهب شعرهما نهائياً ولم ينبت، والثديان، والحلمتان، والأنثيان، والشُّفران، والأليتان، واللَّحيان، فإذا ذهب واحد منها ففيه نصف الدية، وفيهما دية كاملة[3].

* **النوع الرابع**: الأعضاء التي منها في البدن أربعة وهي: أشفار العينين (وهي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر وهو الهُدْب) إذا لم تنبت، والأهداب (وهي شعر الأشفار) إذا لم تنبت، وأما الأشفار وحدها أو الجفون معها: ففيها عند الجمهور دية: لأن منفعة الجنس، سواء قطع الشفر وحده أو قطع معه الجفن؛ لأن الجفن تبع للشفر. وفي كل جُفن أو شُفْر ربع الدية؛ لأن فيهما جمالاً ظاهراً، ونفعاً كاملاً[4].

---

(١) ينظر: الخطيب الشربيني. **مغني المحتاج**. ج٥: ص٣٧٢. وابن قدامة، **المغني**. ج٨: ص٤٠٤.

(٢) ينظر: الزحيلي، **الفقه الإسلامي**. ج٧: ص٦٥٥ وما بعدها.

(٣) ينظر: **المصدر نفسه**. ج٧: ص٦٥٨ وما بعدها. وابن عثيمين، **الشرح الممتع**. ج١٤: ص١٤٢ وما بعدها.

(٤) ينظر: الخطيب الشربيني، **مغني المحتاج**. ج٥: ص٣٠٨ وما بعدها. وابن قدامة، **المغني**. ج٨: ص٤٤٠ والزحيلي، **الفقه الإسلامي**. ج٧: ص٦٦٠. وابن عثيمين، **الشرح الممتع**. ج١٤: ص١٤٥.

* **النوع الخامس**: ما في البدن منه عشرة (كالأصابع) أو أكثر (كالأسنان): أصابع اليدين، وأصابع الرجلين، وفي كل اصبع عُشر الدية، وفي كل أنملة ثلث الدية إلا أنملة الإبهام ففيها نصف ديتها باتفاق المذاهب الأربعة، ولا يفضل أصبع على أصبع، وفي الأصبع الزائدة أو الشلاء حكومة عدل، وأما الأسنان الـــ(٣٢): ففيها الدية، وفي كل سن خمس من الإبل أو خمس مئة درهم ما لم تصل إلى مقدار الدية، سواء أكانت السن صغيرة أم كبيرة، دائمة أم لبنية (مؤقتة قابلة للتبدل) أما السن الزائدة ففيها حكومة، وأما ما يترتب على تغير السن من الشَّين كسواد أو اخضرار أو حمرة، ففيه أرش السن عند الحنفية وحكومة عدل عند غيرهم، وفي كل مفصل نصف عشر الدية كدية السن[1].

وفي ذلك يتبين مدى دقة التشريع في المسائل التي تخص الإنسان وحقوقه وكرامته، فنجد فيه تفاصيل الاحداث ودقائق الامور، بل وجعل للجروح أسماء وحدد مقدار الدية في كل جرح حسب المصالح والمفاسد لكي لا تضيع الحقوق، ونجد أن أي تعدي على الإنسان مهما كان نوعه، فمقدار الدية فيه مبين في الشرع، فقسم منه محدد بالأدلة الشرعية، والقسم الآخر يحدده القضاء.

فالذي يكون فيه الحكومة (يحدده القضاء) **كالحارصة**: التي تحرص الجلد أي تشقه ولا يظهر منها الدم، **والدامية**: التي يسيل منها الدم، بأن تضعف الجلد بلا شق له حتى يرشح الدم، **والباضعة**: التي تبضع اللحم، أي تقطعه وتشقه، **والمتلاحمة**: التي تذهب في اللحم أكثر مما تذهب الباضعة ولم تقرب للعظم، وهي التي يتلاحم منها الدم ويسود، **والسمحاق**: التي تقطع اللحم وتظهر الجلدة الرقيقة التي بين اللحم والعظم، وهي التي تستوعب اللحم إلى أن تبقى غشاوة رقيقة فوق العظم، فدية هذه الانواع من الجروح يُحددها القضاء (على اختلاف الفقهاء)، أما المحدد بالدليل النصي فهي **الموضحة**: التي توضح العظم، أي تظهره وتكشفه، ولو قدر مغرز إبرة، خمس من الإبل، وفي **الهاشمة**: التي تهشم العظم، أي تكسره، عشر من الإبل، وفي **المنقِّلة**: التي تنقل العظم بعد كسره، أي

---

(١) ينظر: **المصدر نفسه**، ج١٤: ص١٤٥. **والمصدر السابق**، ج٧: ص٦٦٠.

تحوله عن مكانه، خمس عشرة من الإبل، وفي **الآمة أو المأمومة:** التي تصل إلى أم الدماغ، وهي جلدة تحت العظم وفوق الدماغ أي المخ، ثلث الدية، وفي **الدامغة:** التي تخرق غشاء الدماغ، وتصل إلى الدماغ. ثلث الدية(١).

ومما سبق أتضح أن الإنسان هو ذلك الكائن الوحيد الذي بالغ الشرع بالاهتمام فيه، وتدخل في جميع حركاته وسكناته، وضمن له جميع حقوقه الحسية والمعنوية والنفسية، لكي لا يُتجرأ عليه بالاعتداء بغض النظر عن نوع الاعتداء وحجمه، فهو معصوم الدم، واذا ما تجرأ عليه أحد فيجب أن يُقتص منه أو أن يضمن له ما أرتكبه بحقه، واذا قيل لِمَ كل هذا الاهتمام بالإنسان وبدقائق حياته وتحصينه من كل ما يأتيه من الاعتداء الخارجي، فيمكن الإجابة عن ذلك بأن الاعتداء على الإنسان يعني الاعتداء على أشرف مخلوقات الله، فهو الكائن الذي خلقه الله تعالى بيديه، وسخر له ما في السموات والارض، وكلّفه بمهمة مقدسة الا وهي عبادة الله تعالى.

المطلب الثاني: الاعتداء المعنوي

فقد حرّم الله تعالى كل ما يؤذي الإنسان، وكل أشكال العنف والتهديد والتخويف، وما يؤدي به إلى التوتر والقلق والاضطراب سواء كان نفسياً أم روحياً أم جسدياً.

والاعتداء المعنوي: هو أذى يصيب الشخص في نفسيته، أو شرفه أو اعتباره، أو مشاعره ومعتقداته، الناجم عن أي اعتداء أو إتلاف، أو عمل غير مشروع وقع عليه، فهو غير مادي وغير محسوس ولكن سببه مادي محسوس حيث قد يكون جريمة، أو إتلافاً كما أنه قد يصحب الضرر المادي، وقد لا يقترن به كما في حالات القذف والسب وإيذاء السمعة(٢).

---

(١) ينظر: الخطيب الشربيني، **مغني المحتاج**، ج٥: ص٣٠٢ وما بعدها. والزحيلي، **الفقه الإسلامي**. ج٧: ص٦٦٦.

(٢) ينظر: القرداغي، علي محيي الدين. "**التعريف بالتعويض عن الضرر المعنوي وحكمه**". (مقال في ٢٠٠٩/٨/١م). http://www.qaradaghi.com/portal/index.php بتاريخ ٦ /٢٠١٣/٧.

۞ أولاً: **الترويع والتخويف**: الترويع: «الرَّوْعُ والرُّواع والتَّرَوُّع: الفَزَعُ، راعَني الأَمرُ يَرُوعُني رَوْعاً ورُووعاً، والرَّوْعةُ: الفَزْعة، وَفِي حَدِيثِ الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ آمِنْ رَوعاتي»[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ [ص: ٢٢].

قال الآلوسي[(٢)]: «والفزع انقباض ونفار يعترى الإنسان من الشيء المخيف»[(٣)].

وقال ابن عاشور[(٤)]: «والفزع: الذعر، وهو انفعال يظهر منه اضطراب على صاحبه من توقع شدة أو مفاجأة»[(٥)].

أما الخوف: فهو «توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب»[(٦)].

ومن التعاريف يتبين أن الترويع هو ما يفضي إلى الخوف والفزع، وإخافة الإنسان وتخويفه بكل الوسائل محرّم في الشرع الحنيف، لأنه قد يؤدي إلى الضرر أو الموت.

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد (ﷺ) أنهم كانوا يسيرون مع النبي (ﷺ) فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزِع فقال النبي (ﷺ): «**لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلماً**»[(٧)].

فكان ذلك تحريماً منه (ﷺ) لمثل ذلك، لأنه لمّا أخذ الحبل من يده واستيقظ بسبب ذلك وتنبه لذلك قام فزعاً، وهذا الحديث فيه دليل على أنه لا يجوز ترويع المسلم، وعن

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**. ج٨: ص١٣٥. والحديث رواه البخاري، **الادب المفرد**. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. ط٣. بيروت: دار البشائر الإسلامية، (١٤٠٩هـ=١٩٨٩م). باب ما يقول إذا أصبح. ح (١٢٠٠). ص٤١١. (صحيح)

(٢) سبق ترجمته.

(٣) الآلوسي، **روح المعاني**. ج١٢: ص١٧١.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. ج٢٣: ص٢٣٢.

(٦) الجرجاني، **التعريفات**. ص١٠١.

(٧) أبو داود، **سنن أبي داود**. كتاب الادب. باب من يأخذ الشيء من مزاح. ح (٥٠٠٤). ص٩٠٥. (صحيح)

كون الإنسان يفزع أخاه ويروِّعه، ولو بما صورته صورة المزح[1].

وذلك لأن الترويع قد يؤدي إلى الإضرار والقتل، والفاعل يكون قاتلاً بالتسبب، حيث يحدث القتل أحياناً بفعل معنوي غير مادي، كالتخويف والإرهاب، والصيحة الشديدة ونحوها، أو كمن شهر سيفاً في وجه إنسان فمات من روعته أو ذهب عقله، أو صاح إنسان بصبي أو مجنون أو معتوه صيحة شديدة وهو على سطح أو حائط ونحوهما فوقع فمات، أو ذهب عقله، أو تغفل أحد بالغاً عاقلاً فصاح به فأصابه ذلك، أو ألقى على إنسان حية ولو كانت ميتة فمات فزعاً ورعباً، ففي كل هذه الأحوال يكون الفاعل قاتلاً، فتجب عليه الدية، (مع اختلاف الفقهاء في نوع القتل)[2].

۞ **ثانياً: القذف:** قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ٢٣].

«القَذْف: رمي المرأة بالزنا أو ما كان في معناه، وأصله الرمي ثم استعمل في هذا المعنى حتى غلب عليه، والقَذْف: السَّبُّ وهي القذيفة»[3].

فإن من المقاصد العظيمة، والكليات الجامعة التي جاء الإسلام بحفظها وصيانتها: صيانة الأعراض من كل يشوه سمعتها، ويخدش عفتها، ويلوث طهرها ونقاءها[4].

وقد حافظ عليه وصانه من كل ما يشوه صورته، ويخدش كرامته وعفته وعدالته، فنهى المسلم عن أن يتكلم في أخيه بما يؤذيه، وأوجب عليه إن رماه بفرية حد القذف

---

(١) ينظر: العباد، عبد المحسن. **شرح سنن أبي داود**. الشبكة الإسلامية. ص٥٦٨. والشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٥هـ). **نيل الاوطار من أحاديث سيد الاخيار شرح منتقي الاخبار**. بيروت: دار الجيل، ج١٠: ص١١٣.

(٢) ينظر: الزحيلي، **الفقه الإسلامي**. ج٧: ص٥٧٢.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**. ج٩: ص٢٧٧.

(٤) ينظر: http://www.alimam.ws/ref/٤٢٧#_ftnref٣ بتاريخ ٢٠١٣/٧/٦.

ثمانين جلدة، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات من أعظم الكبائر؛ كما في الصحيحين أن رسول الله (ﷺ) قال «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» فذكر منها «**قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ**»[1].

بل إن الله (ﷻ) أوجب على من قذف مؤمنة أو مؤمناً بالزنا، سواء كان قذفاً صريحاً أو تعريضاً العقوبة الدنيوية والأخروية، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النور: ٤- ٥].

فقوله تعالى في هذه الآية: يرمون معناه: يقذفون المحصنات بالزنا صريحاً أو ما يستلزم الزنا كنفي نسب ولد المحصنة عن أبيه، وهذا القذف هو الذي أوجب الله تعالى به ثلاثة أحكام: الأول: جلد القاذف ثمانين جلدة، والثاني: عدم قبول شهادته، والثالث: الحكم عليه بالفسق، وذلك إذا لم يأتِ بأربعة شهداء عدول على ما قال[2].

۞ **ثالثاً: الإصغاء للإشاعات**: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

اختلفت القرّاء في قراءة قوله (فَتَبَيَّنُوا) قرأ الجمهور من القراء: «فتبينوا» من التبين، وقرأ قرأ حمزة والكسائي وخلف (فَتَثَبَّتُوا) بالثاء، وهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، أي أمهلوا حتى تعرفوا صحته، لا تعجلوا بقبوله فتبيّنوا لئلا تصيبوا قوما برآء مما قذفوا به بجناية بجهالة منكم، فتندموا على إصابتكم إياهم بالجناية التي تصيبوهم بها[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**. ج٥: ص٤٢٨.

(٣) ينظر: سالم، **فريدة الدهر**. ج٤: ص٤٦٣. والطبري، **جامع البيـــان**. ج٢٢: ص٢٨٦-٢٨٩. وابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٥: ١٤٧.

قال الواحدي[1] وجمع من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله (ﷺ) على صدقات بني المصطلق، فلما سمع القوم به تلقوه تعظيماً لله تعالى ولرسوله، فظن أنهم يريدون قتله فهابهم، فرجع من الطريق إلى رسول الله (ﷺ) وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله (ﷺ) وهمّ أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله (ﷺ) وقالوا: سمعنا برسولك، فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله تعالى، فبدا له في الرجوع، فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فأنزل الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ** ...﴾[2].

ومعناه: أي فاسق جاءكم بأي نبأ، فالتثبت فيه واجب، وفي الآية إشارة إلى أن الإصغاء إلى كلام الفاسق والاعتماد عليه دون التثبت والتبيان، غالباً ما يفضي إلى الاقتتال بين طوائف المسلمين، لذلك جاء ذكر آية الاقتتال عقيب نبأ الفاسق، ﴿**وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ** ...﴾[3].

۞ **رابعاً: السخرية**: قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ**﴾ [الحجرات: ١١]. «أي لا يحتقر بعض المؤمنين بعضاً، ولا يهزأ بعضهم من بعض»[4]. قال الماوردي[5]: «وفي هذه السخرية المنهي عنها قولان: أحدهما: أنه استهزاء الغني بالفقير إذا سأله، قاله مجاهد، الثاني: أنه

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ينظر: الواحدي، **أسباب نزول القرآن**. ج١: ص٣٩٠. والطبري، **جامع البيان**. ج٢٢: ص٢٨٦. والماوردي، **النكت والعيون**. ج٥: ص٣٢٨. والزمخشري، **الكشاف**. ج٤: ص٣٥٩. وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٧: ص٣٧٠.

(٣) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٨: ص٩٨.

(٤) جبر، **روائع البيان**. ص٥١٦.

(٥) سبق ترجمته.

استهزاء المسلم بمن أعلن فسقه، قاله ابن زيد. ويحتمل ثالثاً: أنه استهزاء الدهاة بأهل السلامة. ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ عند الله تعالى. ويحتمل: خيراً منهم معتقداً وأسلم باطناً»[1].

«وفي التعبير إيحاء خفي بان القيم الظاهرة التي يراها الرجال في أنفسهم ويراها النساء في أنفسهن ليست هي القيم الحقيقية، التي يوزن بها الناس، فهناك قيم أخرى، قد تكون خافية عليهم، يعلمها الله، ويزن بها العباد، فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين»[2].

۞ **خامساً: اللمز والتنابز بالألقاب**: قال تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجرات: ١١].

«أي ولا يعب بعضكم بعضاً، ولا يدع بعضكم بعضا بلقب سوء»[3].

واللمز: العيب، ولكن للفظة جرساً وظلاً فكأنما هي وخزة حسية لا عيبة معنوية ومن السخرية واللمز التنابز بالألقاب التي يكرهها أصحابها، ويحسون فيها سخرية وعيباً، ومن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزري به، ومن أدب المؤمن ألا يؤذي أخاه بمثل هذا، فالمجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدى القرآن مجتمع له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس، وهي من كرامة المجموع، ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس، لأن الجماعة كلها وحدة، كرامتها واحدة»[4].

۞ **سادساً: الظن**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: ١٢].

يقول الله تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والناس في غير محله لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً[5].

---

(١) الماوردي، **النكت والعيون**. ج٥: ص٣٣٢.

(٢) قطب، **في ظلال القرآن**. ج٦: ص٣٣٤٤. (بتصرف)

(٣) الصابوني، **صفوة التفاسير**.ج٣: ص٢٠١.

(٤) **المصدر السابق**، ج٦: ص٣٣٤٤.

(٥) ينظر: الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**. ج٣: ص٣٦١.

«وذلك، كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء، الذي يقترن به كثير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضاً، إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه»[1].

۞ **سابعاً: التجسس:** قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢].

أي: لا تفتشوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوها، واتركوا المسلم على حاله، واستعملوا التغافل عن أحواله التي إذا فتشت ظهر منها ما لا ينبغي، وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه، فكل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب[2].

۞ **ثامناً: الغيبة:** قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُواْ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

أي لا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته بما يكرهه، والقرآن حين حذّر من الغيبة، جاء النهي في تعبير رائع عجيب، أبدعه القرآن غاية الإبداع، صورة رجل يجلس إلى جنب أخٍ له ميت ينهش منه ويأكل لحمه، ويا له من تنفير عجيب، ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي فكما تكرهون هذا طبعاً فاكرهوا الغيبة شرعاً، فإن عقوبتها أشد من هذا[3].

وتبين مما سبق أن الله تعالى كما حرّم قتل الإنسان، فقد حرّم الاعتداء عليه بأي شكل من الأشكال، فكل هذه الزواجر وغيرها جاءت للحفاظ على الأعراض، وصون المجتمع المسلم من الشائعات التي تلوث سمعته، وتشوه صورته، لكي تبقى كرامة الإنسان محفوظة، بل أن الشريعة جاءت كلها لحفظ مصالح الإنسان، نفسه ودينه وعرضه ونسله وعقله،

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٨٠١.

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**، ص٨٠١. والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٦: ص٣٣١.

(٣) ينظر: الصابوني، **صفوة التفاسير**. ج٣: ص١٩٧-٢٠٢.

وسمي ذلك بالمقاصد الكلية أو الضرورية للشريعة، ومن هذه المقاصد: (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال)[1]، فالشريعة الإسلامية هي ضمان لحفظ الضروريات التي تقوم عليها الحياة المادية والمعنوية، والنفسية والجسدية، وبدونها يضيع الإنسان في الظلمات التي تحيط به، فأول ما جاء به الإسلام هي اعادة كرامة الإنسان، وتحصينه من الشرور وما يهين كرامته وانسانيته، ابتداء من تحريم القتل الذي هو من أبشع الجرائم وانتهاء بتحريم ذكره بسوء أو غيبته.



(١) ينظر: الخادمي، **علم المقاصد الشرعية**، ص٨١.

المبحث الثالث

الحفاظ على حقوقه

المطلب الأول: ماهية الحق

۞ أولاً: مفهوم الحق:

«الحق نقيض الباطل، وجمعه حُقوقٌ وحِقاقٌ»[1].

«والحق في اصطلاح أهل المعاني هو الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل»[2].

«و لم يُعن الفقهاء في تعريف الحق في الاصطلاح فكأنهم اكتفوا بمعناه اللغوي، فقد استعملوه على هذا الأساس فأطلقوه في أبحاثهم الفقهية على كل ما هو ثابت وواجب بحكم الشرع»[3].

قال القرافي[4]: «حق الله أمرُهَ ونهيُهُ، وحق العبد مصالحه»[5]. وهناك من قيّد المصلحة

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب** ج٢: ص٥٢٥.

(٢) الجرجاني، **كتاب التعريفات**. باب الحاء. ص٨٥.

(٣) زيدان، عبد الكريم. **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**. ط١. طهران: دار إحسان، (١٩٩٣م). ص٤٤.

(٤) هو الامام أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي، من علماء المالكية وكان إماما في أصول الفقه وأصول الدين، عالما بالتفسير وبعلوم أخر، نسبته إلى قبيلة صنهاجة من برابرة المغرب، وإلى القرافة المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعيّ بالقاهرة، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة، له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها: "أنوار البروق في أنواء الفروق" و"الأحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام" و "الذخيرة في فقه المالكية"، توفي سنة (٦٨٤هـ). ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**. ج٦: ص١٤٦-١٤٧. و مخلوف، محمد بن محمد علي ابن سالم مخلوف (ت١٣٦٠هـ). **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م). ج١: ص٢٧٠. والرزكلي، **الأعلام**. ج١: ص٩٤-٩٥.

(٥) القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (ت٦٨٤هـ). **الفروق؛ أنوار البروق في أنواء الفروق**. عالم الكتب، ج١: ص١٤٠-١٤١.

بالشرع أو القضاء، فعرّف الحق بأنه: «مصلحةٌ مقررةٌ شرعاً أو قانوناً»[1].

ومن التعريفين السابقين نفهم أن تعريف الحق بالمصلحة هو تعريف بالنسبة لحق العبد لا لحق الله، ويأتي بمعنى ثمرة الحق وآثاره، وليس الحق ذاته، لأنه لا مصلحة لله في حقوقه على عباده، وهذا التعريف أقرب إلى موضوع دراستنا، من حيث إضافته إلى الإنسان، فضمان حقوق الإنسان يأتي من خلال الحفاظ على مصالحه.

فهيكل الحقوق الإنسانية لن يتصدع طالما فُهِمَ معنى الحقوق الأساسية كما يفهمه الإسلام، أي أن الحقوق ليست من وضع الإنسان، وإنما يجدها الإنسان فيتعرَّف عليها، وليس هو مُوجدها.

۞ ثانياً: أنواع الحق:

اختلف العلماء في تقسيم الحقوق فمنهم من قال بقسمين فقط، ومنهم من قال بثلاثة أقسام، ومنهم من قال بأربعة أقسام.

قال ابن القيم[2]: «الحقوق نوعان: حق الله، وحق الآدمي؛ فحق الله لا مدخل للصلح فيه كالحدود والزكوات والكفارات ونحوها، وإنما الصلح بين العبد وبين ربه في إقامتها، لا في إهمالها، ولهذا لا يقبل بالحدود، وإذا بلغت السلطان فلعن الله الشافع والمشفع، وأما حقوق الآدميين فهي التي تقبل الصلح والإسقاط والمعاوضة عليها»[3].

وقال القرافي[4]: التكاليف على ثلاثة أقسام: حق الله تعالى فقط كالإيمان وتحريم الكفر، وحق العباد فقط كالديون والأثمان، وقسم اختلف فيه هل يغلب فيه حق الله أو

---

(١) الزحيلي، محمد، **حقوق الإنسان في الإسلام**. ص٥.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية (ت٧٥١هـ). **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١١هـ=١٩٩١م). ج١: ص٨٥.

(٤) سبق ترجمته.

حق العبد كحد القذف، ونعني بحق العبد المحض أنه لو أسقطه لسقط وإلا فما من حق للعبد إلا وفيه حق لله تعالى وهو أمره بإيصال ذلك الحق إلى مستحقه»[1].

ويوجد حق الله تعالى دون حق العبد، ولا يوجد حق العبد إلا وفيه حق الله تعالى، وإنما يعرف ذلك بصحة الإسقاط، فكل ما للعبد إسقاطه فهو الذي نعني به حق العبد، وكل ما ليس له إسقاطه فهو الذي نعني بأنه حق الله تعالى، وقد يوجد حق الله تعالى ويكون معه حق العبد وليس للعبد إسقاطه، كتحريمه تعالى لعقود الربا والغرر والجهالات فحجرَ الربُّ تعالى برحمته على عبده في تضييع ماله الذي هو عونه على أمر دنياه وآخرته، ولو رضي العبد بإسقاط حقه في ذلك لم يؤثر رضاه، لما فيه من جلب المصالح ودرء المفاسد، وأكثر الشريعة من هذا النوع، فحجْرُ الربِّ تعالى على العبد في هذه المواطن لطفاً به ورحمة له سبحانه وتعالى[2].

وقال العز بن عبد السلام[3]: «الحقوق أربعة: حق الله تعالى على العباد، وحق لكل عبد على نفسه وحق لبعض العباد على بعض، وحق للبهائم على العباد»[4].

---

(١) القرافي، **الفروق**. ج١: ص١٤٠.

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**. ص١٤١ وما بعدها.

(٣) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد، شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام، إمام عصره بلا مدافعة القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه، لم ير مثل نفسه ولا رأى من رآه مثله علما وورعا وقياما في الحق وشجاعة وقوة جنان وسلاطة لسان، ولد سنة سبع أو سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، نشأ في دمشق، روى عنه تلامذته شيخ الإسلام ابن دقيق العيد وهو الذي لقب الشيخ عز الدين سلطان العلماء، توفي بالقاهرة سنة (٦٦٠هـ)، من كتبه: "تفسير القرآن" و"الإلمام في أدلة الأحكام" و"قواعد الشريعة" و"الفوائد" و" قواعد الأحكام في إصلاح الأنام" وغير ذلك، ينظر: السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**. ج٨: ص٢٠٩ وما بعدها. وأبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**. ج٧: ص٢٠٨.

(٤) العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت٦٦٠هـ). **الفوائد في اختصار المقاصد**. تحقيق إياد خالد الطباع. ط١. دمشق: دار الفكر المعاصر، (١٤١٦هـ). ص٦١.

والمقصود بحق الله تعالى هو ما يتعلق به النفع العام للعالَم، فلا يختص به أحد، وينسب إلى الله تعالى تعظيماً، لأنه تعالى يتعالى عن أن ينتفع بشيء، فلا يجوز أن يكون شيء حقا له بالوجه الذي يُفهم منه حق العباد، فالإضافة إليه لتشريف ما عظم خطره وقوي نفعه وشاع فضله، بأن ينتفع به الناس كافة، وحق العبد ما يتعلق به مصلحة خاصة، كحرمة مال الغير فإنه حق العبد ليتعلق صيانة ماله بها فلهذا يباح مال الغير بإباحة الملك ولا يباح الزنا بإباحتها ولإباحة أهلها، لذلك نسب إلى الله لئلا يختص به أحد وينتهك الحرمات بتبريرات ما انزل الله بها من سلطان(1).

وأما بالنسبة لحقوق العباد فهي «على ثلاثة أقسام: الأول: حق على الله وهو ملزوم عبادته إياه وهو أن يدخله الجنة ويخلصه من النار، والثاني: حقه في الجملة وهو الأمر الذي يستقيم به في أُولاه وأُخراه من مصالحه، والثالث: حقه على غيره من العباد وهو ماله عليهم من الذمم والمظالم»(2).

ومن خلال ذلك يتبين أن هذه الحقوق تحدد علاقة الإنسان بربه، وكذلك بالمجتمع المحيط به، وإن المعوَّل عليه في قيام حقوق الإنسان أو إسقاطها، إنما يتعلق أولاً وأخيراً بالإيمان بالله، فإذا أنكر امرؤ وجود الله تعالى، فإنه بهذا يضع كافة الحقوق تلقائياً بتحكم البشر وسيطرتهم، حتى لو استطاع هذا الإنسان خداع نفسه حيناً من الدهر، بإشارته إلى الحقوق الطبيعية المزعومة، فضلا عن ذلك فإنه لم يتح لأي إنسان منذ بدء الخليقة أن يخرج علينا بنظام قانوني مقنع عام، استقاه أو استوحاه من مراقبته الدارسة للطبيعة(3).

---

(1) ينظر: علاء الدين البخاري، عبد العزيز بن أحمد بن محمد الحنفي (ت٧٣٠هـ). **كشف الأسرار شرح أصول البزدوي**. دار الكتاب الإسلامي، ج٤: ص١٣٥.

(2) حسين، محمد بن علي المالكي (ت١٣٦٧هـ). **تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية**. بحاشية الفروق للقرافي. ج١: ص١٥٧.

(3) ينظر: هوفمان، مراد. **الإسلام كبديل**. ترجمة غريب محمد غريب. ط٢. الرياض: مكتبة العبيكان، (١٩٩٧م). ص١٨٨.

فالله سبحانه وتعالى هو خالق الإنسان وهو الذي أوجد له الحقوق يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

۞ ثالثاً: أسس الحق:

هناك أسس تقوم عليها واجبات الإنسان وحقوقه سنذكرها، وهي أسس ثلاثة، التي بنى الإسلام عليها حقوق الإنسان:

* **أولها**: إن الله وحده هو الخالق المبدع، مالك الإنسان والحياة والكائنات، **والثاني**: إن الإنسان مخلوق ذو خصائص تميزه عن المخلوقات الاخرى، لذلك أُختير للخلافة في الارض، فهو كائن مكرّم، **والثالث**: الناس سواسية في النشأة والفطرة والحقوق(١).

فالأساس الأول: يؤكد لنا بأن الله سبحانه هو خالق كل شيء وهو المبدع والخالق والمالك الوحيد لكل شيء، فلا يحق ولا يجدر بغيره أن يحدد للناس حقوقهم وواجباتهم، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

أما الأساس الثاني: فهو عبارة عن كرامة الإنسان وحرمته ومقامه السامي، فقد كرمه الله وسخر له ما في السموات والأرض، وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ولأجل ذلك فقد قيّد الإسلام حقوق الإنسان بمصالحه ومصالح المجتمع، وينطلق من مبدأ «**لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ**»(٢) ولتطبيق هذا المبدأ، جعل الحقوق الهي المصدر، وليس

---

(١) ينظر: الغامدي، عبد اللطيف بن سعيد. **حقوق الإنسان في الإسلام**. ط١. الرياض: أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، (١٤٢١هـ=٢٠٠٠م). ص٤٧ وما بعدها. وبابير، علي. **مسائل عصرية رائجة: نظرة واقعية وتقييم شرعي**. ترجمة إحسان برهان الدين. ط١. أربيل: كردستان العراق، (٢٠٠٧م). ص١٤٥-١٤٨.

(٢) وهو من حديث ابن عباس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**لا ضرر ولا ضرار وللرجل أن يجعل خشبه في حائط جاره والطريق الميتاء سبعة أذرع**». أحمد، **المسند**. ح (٢٨٦٧) ج١: ص٣١٣. وابن ماجه، **سنن ابن ماجه**. كتاب الأحكام. باب من بنى في حقه ما يضر بجاره. ح (٢٣٤١). ج٢: ص٧٨٤. (حسن)

طبيعياً مصدره الطبيعة أو العقل البشري، وعلى الأفراد في استعمال حقوقهم مراعاة مصلحة الغير، وعدم الإضرار بمصلحة الجماعة(١).

وأما الأساس الثالث: فهو عبارة عن المساواة بين الناس بكل أطيافهم وأجناسهم، بغض النظر عن الدين واللغة واللون والموطن، وإرادة العلو على الخلق ظلم، لأن الناس من جنس واحد، ومع أنه ظلم فالناس يبغضون من يكون كذلك ويعادونه لأن العادل منهم لا يحب أن يكون مقهورا لنظيره وغير العادل منهم يؤثر أن يكون هو القاهر(٢).

قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً** ﴾ [النساء: ١]. وقال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات: ١٣].

فميزان التفاضل عند الله تعالى هو التقوى فقط وليس أي شيء آخر، لذلك هيئ الله تعالى للإنسان جميع لوازم حياته، ليسكن الأرض في جو من التعاون والتكامل، وليس التفرق والتعالي فالأصل في الناس التعاون وليس الظلم، والتنوع وليس التضاد.

المطلب الثاني: الحقوق الضرورية

فقد استنبط العلماء من النصوص الشرعية والقواعد الكلية للإسلام خمسة حقوق كبرى للإنسان، وأسموها (مقاصد الشريعة، أو الكليات الخمس، أو الضرورات الخمس) وهي تمثل في ذاتها عصب حقوق الإنسان من حيث الرؤية الكلية، وما يندرج منها من حقوق جزئية تأتي تبعاً لها، مما يعني أن الإسلام جاء بنظرية كبرى تبين معالم حقوق الإنسان.

---

(١) ينظر: الدباغ، حامد عبد الستار. **نظرية الحق في الفقه الإسلامي**. ط١. بغداد: ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، العدد (٣٤)، (٢٠٠٨م). ص٣٤.

(٢) ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**. دار المعرفة. ص٢١٧.

قال الشاطبي[1]: «فقد اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، وهي: (الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل)، التي هي أسس العمران المرعية في كل ملة، والتي لولاها لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، ولفاتت النجاة في الآخرة، وعلمها عند الأمة كالضروري»[2].

«وهي التي تشمل جميع المسلمين، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وأعمالهم، وأحوالهم، كما تشمل غير المسلمين على اختلاف مواقفهم من المسلمين وتحديد صلتهم بهم»[3].

۞ أولاً: حق التدين:

فمن الحقوق الضرورية للإنسان حق التدين، فقد كفل الإسلام للإنسان حق التدين بما يشاء، فللإنسان أن يدين بأي معتقد كان بحرية، مع الإقرار بأن الإسلام هو دين الله الحق، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٨٥]. ولا يقبل من العباد في الآخرة إلا من دان به.

وقال تعالى: ﴿ **لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

---

(١) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، حافظ، إمام، محدث، الأصولي النظار الجهبذ، من أهل غرناطة، من أئمة المالكية، وكان له القدم الراسخ في سائر الفنون والمعارف، واحد العلماء الإثبات وأكابر الأئمة النقات، له استنباطات جليلة وفوائد لطيفة وأبحاث شريفة، مع الصلاح والعفة والورع واتباع السنة واجتناب البدع، من أهم كتبه "الموافقات في أصول الفقه" و"الاتفاق في علم الاشتقاق" و"أصول النحو" والاعتصام" و"المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية" وغيرها من الكتب، توفي سنة تسعين وسبعمائة. ينظر: عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**. ج١: ص١٩١. ومخلوف، **طبقات المالكية**. ج١: ص٣٣٣.

(٢) ينظر: الشاطبي، **الموافقات**. المقدمة، ص٥، ج١: ص٣١. (بتصرف). وينظر: الزرقا، مصطفى أحمد. **المدخل الفقهي العام**. ط١. دمشق: دار القلم، (١٤١٨هـ=١٩٩٨م). ج٢: ص٦٧٧.

(٣) أيوب: حسن. **السلوك الاجتماعي في الإسلام**. ط٤. بيروت: دار الندوة الجديدة، (١٩٨٣م). ص١٩٧.

ذكر السيوطي[1] في سبب نزول هذه الآية رواية عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: «نزلت ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له إبنان نصرانيان وكان هو مسلماً فقال للنبي (صلى الله عليه وسلم) ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله الآية»[2].

واختلف العلماء في هذه الآية، فقال بعضهم إنها منسوخة بآية القتال: كقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، وذهب آخرون إلى إنها محكمة، واختلفوا أيضاً هل أنها في حق أهل الكتاب وفي حق المجوس، لأنهم إذا قبلوا الجزية سقط القتل عنهم، أم أنها نزلت في كل الكفار[3].

---

(١) هو الشيخ جلال الدين أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الأسيوطي، ابن العلامة كمال الدين الأسيوطي، الخضيري، الشافعي صاحب المؤلفات الجامعة، والمصنفات النافعة، ولد سنة تسع وأربعين وثمانمائة، نشأ في القاهرة يتيماً، ختم القرآن العظيم وله من العمر دون ثماني سنين، ثم حفظ عمدة الأحكام، ومنهاج النووي، وألفية ابن مالك، ومنهاج البيضاوي، وعرض الثلاثة الأولى على مشايخ الإسلام البلقيني، والشرف المناوي، والعز الحنبلي، وشيخ الشيوخ الأقصرائي وغيرهم، وأجازوه، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، فألف أكثر كتبه، له نحو ٦٠٠ مصنف، منها: "الإتقان في علوم القرآن"، "جمع الجوامع، ويعرف بالجامع الكبير"، "الأشباه والنظائر" في العربية، "الأشباه والنظائر" في فروع الشافعية، "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، "لباب النقول في اسباب النزول"، وغير ذلك من المصنفات، وكان يلقب بابن الكتب، وله شعر كثير، كانت وفاته سنة إحدى عشرة وتسعمائة، وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة. ينظر: الغزي، **الكواكب السائرة**. ج١: ص٢٢٧- ٢٣٢. وابن العماد، **شذرات الذهب**. ج١٠: ص٧٤ وما بعدها. والسخاوي، **الضوء اللامع**. ج٤: ص٦٥- ٧٠.

(٢) السيوطي، **لباب النقول**. ج١: ص٣٧.

(٣) الطبري، **جامع البيان**. ج٥: ص٤١٤. وابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج١: ص٣٤٣. والزمخشري،=

والذي يبدو أن الآية محكمة وغير منسوخة لوجوه:

* **أحدها**: توجد الكثير من القرائن ما تجعلها محكمة، كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٩]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]. وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]. وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

* **ثانيها**: يمكن التوافق بين هذه الآية وبين آيات القتال في القرآن، وكذلك الأحداث والغزوات والفتوحات الإسلامية على مر التاريخ، فالمسلمون أُمروا بنشر الإسلام وذلك لتحويل الأنظمة الكافرة المستبدة والسلطات الجائرة إلى نظم إسلامية، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، ثم تركوا حرية الاختيار للناس فإذا شاءوا اختاروا الإسلام واذا شاءوا بقوا على دينهم: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

* **وثالثها**: إن الله تبارك وتعالى أخبر بأنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة أثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره، وعرف الرشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه آثره واختاره، وأما من كان سيئ القصد فاسد الإرادة، خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمكره ليس إيمانه صحيحاً، فإنّ ذلك لا يكون في الحقيقة إلا بالإخلاص، والإخلاص لا يتأتّى فيه الإكراه[1].

=**الكشاف**. ج١: ص٣٠٤. والماوردي. **النكت والعيون**. ج١: ص٣٢٧. والفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٧: ص١٥. وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج١: ص٦٨٣. والشوكاني، **فتح القدير**. ج١: ص٣١٥.

(١) ينظر: الراغب، **مفردات القرآن**. ص٣٢٣. السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص١١٠.

أما في اختلافهم هل الآية نزلت في أهل الكتاب خاصة، وأنهم لا يكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية، بل الذين يكرهون هم أهل الأوثان؟ أم عامة في كل الكفار؟

فحكمه يقتضي أن أهل الكتاب لا يكرهون على الإسلام إذا اختاروا البقاء على دينهم، وأدّوا الجزية، إذا كانوا من غير أهل الحرب، ويستدل أيضاً بالآية الكريمة على قبول الجزية من غير أهل الكتاب، كما هو قول كثير من العلماء، وأما أهل الحرب، فالآية وإن كانت تعمهم؛ لأن النكرة في سياق النفي (لا إكراه)، وتعريف الدين بـــ(الإسلام) يفيدان ذلك، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لكن قد خص هذا العموم بما ورد من آيات في إكراه أهل الحرب من الكفار على الإسلام، كقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦][(١)].

ومن تلك الرؤية القرآنية يزال اللبس في اعتبار الإسلام هو دين يكفل حرية الإنسان حتى في أهم جانب من جوانب الحياة، والذي هو التدين، فحرية التدين في الدنيا، وكون الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل غيره عند الله في الآخرة، هما أساسان لانطلاق نشر الإسلام في العصور الإسلامية المشرقة.

۞ ثانياً: حق الحياة:

حق الحياة هو حق في الظاهر ولكنه في الحقيقة هبة من الله، كما نص على ذلك الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان، حيث جاء في المادة الثانية/ فقرة (أ) أن: «الحياة هبة الله وهي مكفولة لكل إنسان وعلى كل الأفراد والمجتمعات والدول حماية هذا الحق من كل اعتداء عليه ولا يجوز إزهاق روح دون مقتضى شرعي»[(٢)].

وكذلك المواثيق المعاصرة تؤكد على حق الحياة للإنسان، فنصّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة[(٣)] على ذلك في المادة الثالثة:

---

(١) ينظر: **المصدر نفسه**، ص١١٠. والشوكاني، **فتح القدير**. ج١: ص٣١٥-٣١٦.

(٢) الزحيلي، **حقوق الإنسان في الإسلام**. ص١٤٢و ص٤٠٢.

(٣) الأمم المتحدة منظمة عالمية تضم في عضويتها جميع دول العالم المستقلة تقريباً، تأسست في ٢٤=

«لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه»(١).

وهذا ما بينته جميع الشرائع والاديان السماوية، حيث أجمعت جميعها على حق الحياة للإنسان، وذلك بعدم الاعتداء عليه بالقتل أو بغير ذلك، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»(٢).

ففي المبحث الأول ذكرنا حرمة القتل في القرآن وما يترتب عليها من القصاص والكفارات والديات والتعزيرات بشيء من التفصيل، يمكن الرجوع اليه، فلا مسوغ لإعادتها.

=أكتوبر ١٩٤٥ في مدينة سان فرانسيسكو الأمريكية، ويقع المقر الرئيسي للأمم المتحدة في مدينة نيويورك، والسعي لتوفير حقوق الإنسان كان أحد أهم الأسباب التي قامت من أجلها الأمم المتحدة، بعد الانتهاكات والإبادة الجماعية التي حدثت في الحرب العالمية الثانية، والجمعية العامة هي الجهاز العام للأمم المتحدة، متمثلة بمجموعة من اللجان المختصة، بنزع الاسلحة والمسائل الإنسانية الأخرى. ينظر: الكيالي، عبد الوهاب. **موسوعة السياسة**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ج١: ص٣١٥- ٣٢٤. **والموسوعة الحرة**. http://ar.wikipedia.org/wiki

(١) الزحيلي، **حقوق الإنسان في الإسلام**. ص١٤٢.

(٢) وهو جزء من الحديث: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه». مسلم، **صحيح مسلم**. كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم ظلم المسلم. ح (٢٥٦٤). ص١٠٣٥.

۞ ثالثاً: حق التزاوج والإنجاب:

فالله تعالى خلق هذا الكون وما فيه من المخلوقات وأدوع فيه سُنَناً متنوعة، ومن هذه السنن سنَّة التزاوج والتناسل والتكاثر، والتي لا تقتصر على نوع دون آخر، بل تشمل كل الكائنات، بل جعلها آية من آياته سبحانه وتعالى لكمال قدرته يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ أي لتميلوا للأزواج وتألفوهن ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ أي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة»[١].

فمن حق كل إنسان رجلاً كان أو امرأة الزواج وتكوين الأسرة، إذا كان لديه الأهلية والكفاءة، لأن الإنسان مفطور على ذلك، ومغروس فيه هذه الغريزة، غريزة حب الزواج والبنين وتكوين الأسرة، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ... ﴾ [آل عمران: ١٤].

ومعنى زُيِّنَ: أي حُسِّن حب الشهوات، والشهوة من خَلْق الله في الإنسان، لأنها ضرورة لا يقدر على دفعها، و(الشهوات) جمع شهوة بمعنى المشتهى طبعاً وغريزة كالطعام والشراب اللذيذين، وجعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصاً على الاستمتاع بها، وفي المُزَيِّن لحب الشهوات ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه الشيطان، لأنه لا أحد أشد ذمّاً لها من الله تعالى الذي خَلَقَها، والثاني: أن الله زين حب الشهوات لِمَا جعله في الطبائع من المنازعة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧]، والثالث: أن الله زين من حبها ما حَسُن، وزين الشيطان من حبها ما قَبُح[٢].

---

(١) الخازن، **لباب التأويل**. ج٣: ص٣٩٠.

(٢) ينظر: الماوردي، **النكت والعيون**. ج١: ص٣٧٥. والزمخشري، **الكشاف**. ج١: ص٣٤٢. والبيضاوي، **أنوار التتريل**. ج٢: ص٨. والجزائري، **أيسر التفاسير**. ص٢٩٢.

فالإسلام أراد للذكر والأنثى أن يلتقيان ليكون أحدهما سكنا للآخر تحت السقف الزوجي، والنكاح الشرعي، قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: ٣].

ورغّب في الزواج ومنع جميع أشكال التبتل والانقطاع عن الدنيا، كما علّم النبي (ﷺ) أصحابه الذين أرادوا ذلك فقال: «**فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[1]، وبذلك يتبين أن الزواج سنة البشرية جمعاء، والأنبياء أيضاً تزوجوا النساء وخلّفوا بنين وحفدة.

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢].

وكذلك حرّم الإسلام جميع مظاهر الفحشاء التي تهين الإنسان، ومن أخطرها الزنا، فهي فاحشة تدمر كيان الأسرة والمجتمع، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

فالحفاظ على النسل يعني الحفاظ على النوع الإنساني، وإن حفظ النسل بوصفه حق من حقوق الإنسان يتجاوز الدائرة الإسلامية، ليصب في مصلحة النوع الإنساني كله، فأيُّ خلل يصيب أيَّ جزءٍ من أجزاء العالم تتأثر به بشكل أو بآخر أجزاء العالم الأخرى، فالناس جميعاً كما يُقرر القرآن خُلقوا من نفس واحدة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النساء: ١]، وهذا يعنى أن كل فرد في هذا الوجود يعد جزءاً منتسباً لهذه النفس الواحدة، ومن هنا تأتى المسئولية الجماعية لحماية البشرية كلها من أيِّ أخطار تُهدد وجودها، والإسلام يريد أن يُقدم النموذج السليم للبشرية من أجل ضمان استمرارها وبقائها في أمن وسلام[2].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: أبو العينين، عماد حسن. **حقوق الإنسان في الإسلام**. مؤسسة العلياء للنشر والتوزيـــع، مكتبة صيد الفوائد. ص٣٦ وما بعدها.

ويظهر من خلال ما سبق أن الحفاظ على النوع البشري مطلب أساسي في الشريعة الإسلامية، لذلك لبّى جميع لوازم الإنسان الجسدية والنفسية والروحية، وحسب الضوابط الشرعية، وجعله مقصداً من مقاصده (حفظ النسل) من خلال عدة وسائل منها: جعل حب الزواج غريزة بشرية لا يمكن الاستغناء عنها، ومنع التبتل والابتعاد عن الزواج، وحرّم الاتصال بين الذكر والأنثى بطريق غير مشروع كالزنا وغيره، لأن في ذلك ضياعاً للنسب، وتهديداً للنوع الإنساني، وجعل المودة والرحمة بين الزوجين وذلك لديمومة الحياة ولحفاظ كيان الأسرة.

۞ رابعاً: حق التملك:

فمن حق كل إنسان أن يتمتع بثمرة كسبه من الحلال عن طريق التملك، رجلاً كان أو امرأة يقول سبحانه وتعالى: ﴿... لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

أي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن أجله فاطلبوا الفضل من الله تعالى بالعمل لا بالحسد، (اسألوا الله مِن فَضْلِه) أي من جميع مصالحكم في الدين والدنيا ولا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد(١)، والذي يكافح الإنسان لأجل اقتنائه غالباً هو المال لأنه به تقوم الحياة، لذلك لم يأتي ذكر المال في القرآن إلا ونسب إلى الإنسان، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ﴾ [النساء: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠].

والمال: «معروفٌ ما ملكته من جميع الأشياء»(٢).

وتصغيره مُوَيْلٌ، والعامة تقول مُوَيّلٌ بتشديد الياء، وفي الأصل ما يُملك من الذهب

---

(١) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**. ج٢: ص٧٢. والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص١٧٦.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**. ج١١: ص٦٣٦.

والفضة، ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل لأنها كانت أكثر أموالهم، ويراد به إظهار أهميتها وعظم نفعها[١].

وقال الشاطبي[٢]: «وأعني بالمال ما يقع عليه الملك ويستبد به المالك عن غيره إذا أخذه من وجهه»[٣].

وقال: «ولو عدم المال لم يبق عيش، ويستوي في ذلك الطعام والشراب واللباس على اختلافها، وما يؤدي إليها من جميع المتمولات، فلو ارتفع ذلك لم يكن بقاء، وهذا كله معلوم لا يرتاب فيه من عرف ترتيب أحوال الدنيا، وأنها زاد للآخرة»[٤].

ويتبين من ذلك أن كل ما يُملك ويقع عليه اسم المُلك وفيه منفعة فهو مال.

وينظر الإسلام إلى المال على أنه قوام الحياة، به تنتظم معايش الناس ويتبادلون على أساسه تجارتهم ومنتجاتهم، ويقوّمون على أساسه بما يحتاجون إليه من أعمال ومنافع، ولقد أخبر الله تعالى بأنه أحد الأمرين الذين هما زينة الحياة الدنيا في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف: ٤٦].

والمال قوة من القوى الكبرى للأفراد والشعوب، يقيم حياتها ويسد احتياجاتها وتصرّف به شئونها الخاصة والعامة، وتصنع به أدوات عزها وتمكينها وحضارتها وثقافتها ومتاعها، وتدافع به عن نفسها بإعداد السلاح والعتاد والحصون، وتتسع به إمكانياتها وقدراتها على معالجة الأمور وتعمّق الحياة، وترى به وجوهاً للدنيا لا تراها إلا في ظلاله[٥].

لكنه ليس غاية في حد ذاته، وإنما هو وسيلة من وسائل تبادل المنافع وقضاء الحوائج، فمن استعمله في هذا السبيل كان المال في يده خيراً له وللمجتمع، ومن استعمله على أنه

---

(١) ينظر: **المصدر نفسه**. ج١١: ص٦٣٦. والجوهري: **الصحاح**. **ج٥**: ص١٨٢١.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) الشاطبي، **الموافقات**. ج٢: ص٣٢.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٢: ص٣٢.

(٥) ينظر: خلاف، عبد المنعم. **المادية الإسلامية وأبعادها**. ط٢. القاهرة: دار المعارف، ص١٥٢.

غاية ولذة، انقلب إلى شهوة تورث صاحبها المهالك، وتفتح على الناس أبواباً من الفساد[1]. وللإشارة إلى هذا المبدأ الخطير من مبادئ التملك، عبّر القرآن عن المال بالخير في قوله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** ﴾ [البقرة: ١٨٠]، «والمراد بالخير هنا المال»[2].

وهذا بلا شك تنبيه إلى وجوب الحصول على المال من طريق الخير، واستعماله في طريق الخير، وبوصفه خيراً رغّب الإسلام في تملكه فعن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «**يَا عَمْرُو نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ**»[3].

والمتتبع لتعاليم الإسلام في القرآن وسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) يخرج بنتيجة واضحة هي: أنه دين الحياة، فلا عجب أن يكون للمال في النظام الإسلامي قيمة كبيرة، ومكان مرموق، وليس من ريب في أنّ كل ما تتوقف عليه الحياة في أصلها وكمالها، وسعادتها وعزّها، من علم وصحة وقوة، واتساع وعمران وسلطان، لا سبيل إليه إلا بالمال[4].

ولذلك يعتبر الإسلام العمل الدنيوي لأجل الكسب حيناً ضرباً من العبادة، وتارةً جهاداً في سبيل الله، إذا اقترنت به النية الصالحة، وصَحِبهُ الإخلاص والإتقان، وأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يُعلّم أصحابه أن الكرامة كل الكرامة في العمل وأن الهوان والذل في الاعتماد على معونة الناس، وفي ذلك أحاديث وأحداث وقصص مشهورة في سيرته العطرة (صلى الله عليه وسلم)[5]. فعن أبي هريرةَ (رضي الله عنه) أنَّ رسولَ اللّه (صلى الله عليه وسلم) قال: «**والذي نَفسي بيدِه، لأن يأخُذَ أحدُكم حبلَهُ**

---

(١) ينظر: السباعي، مصطفى. **اشتراكية الإسلام**. ط٢. مصر: الدار القومية، ص٨١.

(٢) شاكر، أحمد. **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير**. ط٢. المنصورة: دار الوفاء، (١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م). ج١: ص٢١٦.

(٣) أحمد، **المسند**. ح (١٧٧٩٨). ج٤: ص١٩٧. (إسناده صحيح على شرط مسلم)

(٤) ينظر: شلتوت، **الإسلام عقيدة وشريعة**. ص٢٥٠.

(٥) ينظر: القرضاوي، يوسف. **دور القيم والأخلاق في الاقتصاد**. ط١. القاهرة: مكتبة وهبة، (١٤١٥هـ=١٩٩٥م). ص١٣٧.

فيحتطِبَ على ظهرِه خيرٌ لهُ من أنْ يأتِيَ رجُلاً فيسأله، أعطاهُ أو منعَهُ»[1].

ولأجل ذلك سخر الله تعالى للإنسان ما في السموات والارض، ليستغلوا كنوزها ويستثمروا ما فيها من الثروات، قال تعالى: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الجاثية: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٩].

«ومعنى (لَكُمْ) لأجلكم ولانتفاعكم، وفيه دليل على أنّ الأصل في الأشياء المخلوقة الإباحة حتى يقوم دليل يدل على النقل عن هذا الأصل، ولا فرق بين الحيوانات وغيرها، مما ينتفع به من غير ضرر، وفي التأكيد بقوله (جَميعاً) أقوى دلالة على هذا»[2].

ونظراً لهذا الدور الكبير للمال في حياة الإنسان، وضعت الشريعة الإسلامية مجموعة من الضوابط لحركة المال وتداوله، إنتاجاً وإنفاقاً، لذلك حرّم بعض المعاملات التي فيها غبن واستغلال الآخرين، كالربا وبيع الشيء المجهول المسمى ببيع الغرر وغيرها، وكذلك منعت الاكتناز والاحتكار، ورغّب في تنمية المال واستثماره لان في ذلك مصلحة المجتمع، ولأهمية المال وعموم نفعه كان الركن الثالث للإسلام عبادة مالية، والتي هي الزكاة بعد الشهادة والصلاة، وجعل لها ثواباً عظيماً لأنها وسيلة للتكافل الاجتماعي في المجتمع.

۞ خامساً: حق التعقل والتفكر:

فالله تبارك وتعالى خلق الإنسان حراً مختاراً، وجعله مكلفا، ولذا كان العقل من مناط التكليف، وأرشد الإنسان إلى حفظ عقله، وجعل له الحرية في التفكر، حيث لا يوجد دين كرّم العقل والفكر وأشاد بأولى الألباب والنهى كدين الإسلام، حيث دعا إلى النظر والتفكر

---

(١) **متفق عليه**، البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة. ح (١٤٠١)، ج٢: ص٥٣٥. ومسلم: **صحيح مسلم**، كتاب: الزكاة، باب: من تحل له المسألة. ح (١٠٤٢)، ص٤٠٠.

(٢) القاسمي، **محاسن التأويل**. ج١: ص٢٨٢.

وحرّض على التعقل والتدبر، وهناك آيات كثيرة في هذا الجانب، ونظراً لأهمية العقل فقد خصصنا باباً كاملا للعقل، وهو الباب الثالث من هذه الدراسة، تحت عنوان: **التكريم العقلي للإنسان**، حيث نوضح فيه مكانة العقل في القرآن، ومظاهر التكريم العقلي للإنسان، وعوامل تحصين العقل وحفظه، وتكريمه بالتعلم، وتحمل المسؤولية الدينية والإبداعية وغير ذلك، وذلك من خلال ثلاثة فصول وأثنا عشر مبحثاً.



المبحث الرابع

حق الكرامة الإنسانية

ويمكن القول بأن حقوق الإنسان في الإسلام تهدف إلى حفظ الكرامة الإنسانية، وتنطلق من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

حيث يحرم امتهان الكرامة الإنسانية، لأن الإنسان جسد فيه الحياة، وروح تتسامى إلى الاعلى، فلا يقتصر حق الحياة على العيش وإن كان مع المهانة والمذلة، بل وجب التلازم بين الحياة والكرامة، وهذا ما نص عليه الاعلان الإسلامي لحقوق الإنسان، الصادر عن منظمة المؤتمر الإسلامي[1]، ففي مادته الأولى/ فقرة (أ) ورد على أنه «جميع الناس متساوون في أصل الكرامة الإنسانية»، وفي مادته الرابعة: «ولكل إنسان حرمته والحفاظ على سمعته في حياته وبعد موته، وعلى الدولة والمجتمع حماية جثمانه ومدفنه»، وفي مادته السادسة: «المرأة مساوية للرجل في الكرامة الإنسانية ولها من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات»[2].

ولأجل تحقيق مبدأ الكرامة الإنسانية لابد من الوسائل، واحدى أهم الوسائل الضرورية والمهمة لتحقيق هذا المبدأ: هي العدالة، التي بها قامت السموات والأرض، ولأجلها بعث الله

---

(١) وهي منظمة دولية تمثل الدول الإسلامية، تجمع سبعا وخمسين دولة، ذات عضوية دائمة في الأمم المتحدة، تأسست المنظمة في الرباط في ٢٥ أيلول ١٩٦٩ في أعقاب جريمة حرق المسجد الاقصى في ٢١ آب ١٩٦٩، حيث طرحت وقتها مبادئ الدفاع عن شرف وكرامة المسلمين المتمثلة في القدس وقبة الصخرة، وذلك كمحاولة لإيجاد قاسم مشترك بين جميع فئات المسلمين، واختيرت الجدة مقراً لها، وتشرف على احدى عشر وكالة مختصة، من بينها المصرف الإسلامي واتحاد الغرف الاقتصادية، وقد أنشأت عدداً من المعاهد في مختلف عواصم العالم لتعميق فهم المؤمنين للقرآن الكريم، وإحياء التراث الإسلامي ونشرها، والدفاع عن قضايا المسلمين وعلى رأسها قضية القدس. ينظر: الكيالي، عبد الوهاب. **موسوعة السياسة**. ج٦: ص٣٥٨. **والموسوعة الحرة**: http://ar.wikipedia.org/wiki.

(٢) الزحيلي، **حقوق الإنسان في الإسلام**. ٤٠٢ -٤٠٣.

الرسل بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وضرب التاريخ الإسلامي للعالم أروع الامثلة لصون كرامة الإنسان، وتحقيق العدالة والمساواة بين جميع طبقات المجتمع، في العصر النبوي والعصر الراشدي والعصور المتلاحقة، ومن ذلك القصة المشهورة في زمن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): فعن أنس (رضي الله عنه) أن رجلاً من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين هذا مكان العائذ بك من الظلم، قال عذتُ معاذاً، قال سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه فقدم فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين، فضربه حتى أثخنه، ثم قال عمر للمصري: ضع السوط على صلعة عمرو فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه فقال عمر لعمرو: «**متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا**»؟، ثم التفت إلى المصري فقال: انصرف راشداً فإن رابك ريب فاكتب إليّ[1].

وهذه المقولة العمرية اشتهرت خلال العصور الإسلامية، بحيث أصبحت شعاراً لرد المظالم إلى أصحابها، لكي لا تُهان كرامة الإنسان بيد بعض السلاطين والأمراء والأقوياء، ولكي لا يُخترق نظام المساواة بين الناس، وعندما يغيب هذا الشعار في المجتمعات والدول تصبح كرامة الإنسان في خطر، وتختل الموازين، وينقسم المجتمع بناءً على الأسس الزائفة إلى طبقات من الاكرمين ودونهم، وبالتالي تنتشر المظالم وتضيع الحقوق، فسداً لهذه الذريعة جاء هذا الحرص من الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

---

(١) ينظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن. **سيرة عمر بن الخطاب**. الاسكندرية: دار ابن خلدون، ص٩٧. والهندي، **كنز العمال**. ح (٣٦٠١٠). ج١٢: ص٨٧٣. والعمري، أكرم ضياء. **عصر الخلافة الراشدة**. مكتبة العبيكان، ص١٢٦-١٢٧.

والعدالة العمرية هذه مستوحاة من العدالة المحمدية (ﷺ)، فكان رسول الله (ﷺ) المثل الأعلى في العدل، العدل العام الذي يطبق على الكبير والصغير، والأمير والأجير، والمسلم وغير المسلم، ولا يفلت من قبضته أحد، لأنه بالعدل تسود المجتمعات الطمأنينة والسعادة، فعن عائشة (رضي الله عنها) أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله (ﷺ)؟ فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله (ﷺ)؟ فكلمه أسامة فقال رسول الله (ﷺ): «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ**»، ثم قام فاختطب فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[1].

فالعدل من الحقوق الإنسانية المشتركة، بين جميع الناس سواء في الحكم بينهم أو الشهادة عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨].

المطلب الأول: الحقوق الخاصة

«وهي الحقوق والواجبات والآداب المتصلة بأشخاص معينين بسبب نسبة القرابة، أو الجيرة، أو العمل ونحوها»[2].

فالإسلام تفرد بإكرام هذه الشرائح من المجتمع البشري، بحيث لم يسبق له مثيل.

۞ أولاً: تكريم الوالدين:

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

---

(١) **متفق عليه**، البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الحدود. باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان. ح (٦٤٠٦). ج٦: ص٢٤٩١. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الحدود. باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود. ح (١٦٨٨). ص٧٠٠.

(٢) أيوب، **السلوك الاجتماعي في الإسلام**، ص١٩٧.

قوله تعالى: «(وقضى) بمعنى أمر وألزم وأوجب عليكم»[1]، فعطف الأمر بالإحسان إلى الوالدين على ما هو في معنى الأمر بعبادة الله، لأن الله هو الخالق فاستحق العبادة لأنه أوجد الناس، ولما جعل الله الأبوين مظهر إيجاد الناس أمر بالإحسان إليهما، فالخالق مستحق العبادة لغناه عن الإحسان، وهما يستحقان الإحسان دون العبادة، لكنه يُعدّ من العبادة بالمعنى العام لا بمعنى الشعائر، لأنه استجابة لأمر الله تعالى، ولأن الله جبل الوالدين على الشفقة على ولدهما، فأمر الولد بمجازاة ذلك بالإحسان إلى أبويه، وشمل الإحسان كل ما يصدق فيه هذا الجنس من الأقوال والأفعال والبذل والمواساة[2].

عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: سألت النبي (ﷺ) أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصَّلاةُ عَلى وَقْتِها**» قَالَ: ثُمَّ أَيّ قَالَ: «**ثُمَّ بِرُّ الْوالِدَيْنِ**» قَالَ: ثُمَّ أَيّ قَالَ: «**الْجِهادُ في سَبيلِ**» قال حدثني بهن ولو استزدته لزادني[3].

وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: جاء أعرابي إلى النبي (ﷺ) فقال يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: «**الإشراك بالله**» قال ثم ماذا؟ قال: «**ثم عقوق الوالدين**» قال ثم ماذا؟ قال: «**اليمين الغموس**» قلت وما اليمين الغموس؟ قال: «الذي يقتطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب»[4].

ومن الإحسان البر اليهما وإن كانا على غير دين، يبرهما ويحسن إليهما إذا كان لهما عهد، وإن بر الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام، ومن البر بهما

---

(١) ابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٣: ص٤٤٧. والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٠: ص٢٣٧.

(٢) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج١٥: ص٦٨.

(٣) **متفق عليه**، البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الادب. باب البر والصلة. ح (٥٦٢٥). ج٥: ص٢٢٢٧. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان. باب بيان كون الإيمان بالله تعالى افضل الأعمال. ح (٨٥). ص٦٢.

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب استتابة المرتدين. باب إثم من أشرك بالله. ح (٦٥٢٢). ج٦: ص٢٥٣٥.

والإحسان إليهما ألا يتعرض لسبهما ولا يعقهما، فإن ذلك من الكبائر بلا خلاف، وعقوق الوالدين مخالفتهما في أغراضهما الجائزة لهما، كما أن برهما موافقتهما على أغراضهما[1].

۞ ثانياً: تكريم الصغار والمسنين:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**»[2]. وفي رواية «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا**» وفي رواية «**وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا**»[3].

قال المناوي[4]: «(**ليس منا**) يعني من أهل الكمال منا (**من لم يرحم صغيرنا**) يعني الصغير من المسلمين بالشفقة عليه والإحسان إليه (**ويعرف شرف كبيرنا**) بما يستحقه من التعظيم والتبجيل، وعليك برحمة الخلق أجمعين ومراعاتهم كيفما كانوا فإنهم عبيد الله وإن عصوا، وخلق الله وإن فضل بعضهم على بعض فإنك إذا فعلت نجح سعيك وسما جدك، وقال الحافظ العراقي[5]: ويؤخذ من قوله شرف كبيرنا أنه إنما يستحق الكبير الإكرام إذا كان

---

(١) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٠: ص٢٣٩.

(٢) البخاري، **الادب المفرد**. باب اجلال الكبير. ح (٣٥٨). ص١٣١. والترمذي، **سنن الترمذي**. كتاب البر والصلة عن رسول الله (ﷺ). باب ما جاء في رحمة الصبيان. ح (١٩١٩). ص٤٣٨. (عن أنس بن مالك رضي الله عنه). (صحيح)

(٣) الترمذي، **سنن الترمذي**. ح (١٩٢٠). ص٤٣٩. (عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده). (صحيح).

(٤) سبق ترجمته، ص٢٢٢.

(٥) هو الحافظ الإمام أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي حافظ العصر، المعروف بالحافظ العراقي، بحاثة، من كبار حفاظ الحديث، أصله من الكرد، ومولده في بلدة يقال لها رازيان من عمل أربل سنة (٧٢٥هـ)، تحوّل صغيراً مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها، من كتبه: "المغني عن حمل الأسفار في الإسفار"، "نكت منهاج البيضاوي"، "نظم الدرر السنية"، "تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد"، وغير ذلك، توفي في القاهرة. سنة (٨٠٦هـ)، ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ). **ذيل طبقات الحفاظ للذهبي**. تحقيق الشيخ زكريا عميرات. دار الكتب العلمية، ص٢٤٥-٢٤٦. والسخاوي، **الضوء اللامع**. ج٤: ص١٧١-١٧٨.

له شرف بعلم أو صلاح ونسب زكي كالشرف ويحتمل أن التعمير في الإسلام شرف»[1].

وعن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «**لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ**»[2].

«وإجلال الكبير هو حق سنه لكونه تقلب في العبودية لله في أمد طويل ورحمة الصغير موافقة لله فإنه رحم ورفع عنه العبودية ومعرفة حق العالم هو حق العلم بأن يعرف قدره بما رفع الله من قدره»[3].

۞ ثالثاً: تكريم اليتيم:

قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧].

وقوله: ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ فيه أمر بالإكرام له، وقُرأ بـ(يكرمون) بالياء، وذلك أنه لما تقدم ذكر الإنسان، وكان يراد به الجنس والكثرة، وقرأه عامة قرّاء الكوفة بـ(تُكْرِمُونَ) فالتقدير قل لهم يا محمد ذلك، وترك إكرام اليتيم على وجوه أحدها: ترك بره، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٨] والثاني: دفعه عن حقه الثابت له في الميراث وأكل ماله، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: ١٩]، والثالث: أخذ ماله منه وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، أي تأخذون أموال اليتامى وتضموها إلى أموالكم[4].

---

(١) المناوي، **فيض القدير**. ح (٧٦٩٢). ج٥: ص٣٨٨.

(٢) أحمد، **المسند**. ح (٢٢٨٠٧). ج٥: ص٣٢٣. قال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره دون قوله: "**ويعرف لعالمنا**".

(٣) المناوي، **فيض القدير**. ح (٧٦٩٤). ج٥: ص٣٨٩.

(٤) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٣١: ص١٥٧. وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٨: ص٣٩٨.

وعن سهل بن سعد (﵁) عن النبي (ﷺ) قال: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى**»[1].

۞ رابعاً: تكريم الجار:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

قال القرطبي[2]: «أما الجار فقد أمر الله تعالى بحفظه والقيام بحقه والوصاة برعي ذمته في كتابه وعلى لسان نبيه، ألا تراه سبحانه أكد ذكره بعد الوالدين والأقربين فقال تعالى: (والجار ذي القربى) أي القريب، أو المسلم، (والجار الجُنُب) أي الغريب، أو الكتابي (والصاحب بالجنب) أي الرفيق في السفر»[3].

وهناك من وسّع في قواه تعالى: (والصاحب بالجنب) «أي الرفيقِ في أمرٍ حسنٍ كتعلُّم وتصرُّف وصناعةٍ وسفرٍ فإنه صحِبَك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في مسجد أو مجلسٍ أو غيرِ ذلك من أدنى صحبة التَأَمَتْ بينك وبينه وقيل هي المرأةُ»[4].

وعن أبي هريرة (﵁) عن رسول الله (ﷺ) قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**»، وفي رواية «**فَلا يُؤْذِي جَارَهُ**»، وفي رواية «**فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ**»[5].

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الأدب. باب فضل من يعول يتيماً. ح (٥٦٥٩). ج٥: ص٢٢٣٧.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٥: ص١٨٣ وما بعدها. (بتصرف)

(٤) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**. ج٢: ص١٧٦.

(٥) وهو جزء من الحديث: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أو لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**» البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الأدب. باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ح (٥٦٧٣). ج٥: ص٢٢٤٠. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان. باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان. ح (٤٧). ص٥١. (واللفظ لمسلم برواياته الثلاث).

قال المناوي[1]: «أي من كان يؤمن بجوار الله في الآخرة والرجوع إلى السكنى في جواره بدار كرامته، فليكرم جاره في الدنيا بكف الأذى عنه، وتحمل ما صدر منه، والبشر في وجهه وغير ذلك، ثم الأمر بالإكرام يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال فقد يكون فرض عين وقد يكون فرض كفاية وقد يكون مندوباً، ويجمع الجميع أن ذلك من مكارم الأخلاق»[2].

۞ خامساً: تكريم المسلمين عامة:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**» قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**»[3].

«والحديث دليل على أن هذه حقوق على المسلم، والمراد بالحق ما لا ينبغي تركه، ويكون فعله إما واجباً، أو مندوباً ندباً مؤكداً شبيهاً بالواجب الذي لا ينبغي تركه، ويكون استعماله في المعنيين من باب استعمال المشترك في معنييه، فان الحق يستعمل في معنى الواجب»[4].

۞ سادساً: تكريم غير المسلمين:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨-٩].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) المناوي، **فيض القدير**. ج٤: ص٣٢. (بتصرف)

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**. كتاب السلام. باب من حق المسلم للمسلم رد السلام. ح (٢١٦٢). ص٨٩٣. والبخاري، **الادب المفرد**. باب ما يقول اذا عطس. ح (٩٢٥). ج١: ص٣١٩

(٤) الصنعاني، **سبل السلام**. ج٣: ص٦١١.

اختلف العلماء في حكم هذه الآية هل هي منسوخة أم محكمة؟ فقال بعضهم: كان هذا في أول الإسلام عند الموادعة وترك الأمر بالقتال ثم نسخ، بقوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، وقيل: كان هذا الحكم لعلة وهو الصلح، فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وبقي الرسم يتلى، وقيل: هي مخصوصة في حلفاء النبي (ﷺ) ومن بينه وبينه عهد لم ينقضه، وقيل هي مخصوصة في الذين آمنوا ولم يهاجروا، وقيل: يعني به النساء والصبيان لأنهم ممن لا يقاتل، فأذن الله في برهم[١].

وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة لوجهين: أحدهما أنهم خزاعة ومن كان له عهد.

والثاني: احتجوا بأن أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) سألت النبي (ﷺ) هل تصل أمها حين قدمت عليها مشركة؟ قال: «نعم»، وما رواه عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) طلق امرأته قتيلة أم أسماء في الجاهلية، فقدمت عليهم في المدة التي كان رسول الله (ﷺ) هادن فيها كفار قريش، وأهدت إلى أسماء بنت أبي بكر قرطا، فكرهت أن تقبل منها، حتى أتت رسول الله (ﷺ) فذكرت ذلك له، فأنزل الله الآية[٢].

وأما المعاهدين من غير المسلمين من رعايا الدولة الإسلامية في أرض الإسلام بعد أن يؤدوا ما عليهم من حق الاعتراف بسلطان المسلمين وأداء الجزية إليهم، فعليهم الوفاء بعهدهم، فلا يؤخذ منهم زيادة على ما عوهدوا عليه[٣].

ولا يجبرون على شرع الإسلام في العلاقات الأسرية والأحوال الشخصية، ولا فيما يعتقدون حله، أما في العقوبات والحدود ففيه خلاف بين الفقهاء[٤].

---

(١) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٨: ص٥٨ وما بعدها.

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**، ج١٨: ص٥٩. وابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ). **أحكام القرآن**. تحقيق محمد عبد القادر عطا. ط٣. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م). ج٤: ص٢٢٧-٢٢٨.

(٣) ينظر: حوى، سعيد. **الإسلام**. ط٣. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٩٨١م). ج١، ص٣١١.

(٤) ينظر: القرضاوي، يوسف. **الأقليات الدينية والحل الإسلامي**. ط١. عمّان: دار الفرقان، سلسلة رسائل ترشيد الصحوة (٨)، (١٩٩٦م). ص١٨.

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرو (رضيَ اللهُ عنهما) عنِ النبيِّ (ﷺ) قال: «**مَن قَتلَ مُعاهِداً**[1] **لم يرحْ رائحةَ الجنة، وإنَّ ريحَها توجَدُ من مَسيرةِ أربعين عاماً**»[2].

فقد رخّص الله سبحانه وتعالى للمؤمنين في مودة من لم يقاتلوهم في الدين و لم يخرجوهم من ديارهم، ورفع عنهم الحرج في أن يبروهم وان يتحروا العدل في معاملاتهم معهم فلا يبخسوهم من حقوقهم شيئاً، ولكنه نهى أشد النهي عن الولاء لمن قاتلوهم في الدين وأخرجوهم من ديارهم وساعدوا على إخراجهم، وحكم على الذين يتولوهم بأنهم هم الظالمون، وتلك القاعدة في معاملة غير المسلمين هي اعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية[3].

المطلب الثاني: تكريم المرأة

قبل أن نتحدث عن المرأة في ضوء الرؤية القرآنية لها، لابد أن نشير إلى حال المرأة في المجتمعات والحضارات الغير الإسلامية، لكي يتجلى التكريم الإلهي الذي يحيط بالمرأة في كافة جوانب حياتها، فكما قيل بالأضداد تعرف الأشياء.

۞ أولاً: واقع المرأة في الحضارات القديمة:

كانت المرأة قبل مجيء الإسلام مظلومة ومهانة في أغلب الحضارات القديمة كحضارات أوروبا القديمة أو الرومان أو حضارات الفرس أو العرب قبل الإسلام، فلم تمر حضارة من الحضارات إلا وسقت المرأة ألوان العذاب وأصناف الظلم والقهر.

ففي **الحضارة الرومانية:** كانت المرأة مطلباً من مطالب المتعة مع بقائها قانوناً وعرفاً في منزلة تقاربها من منزلة الرقيق، وكانوا يسمونها كائناً بلا روح، وعند **الإغريقيين:** هي

---

(١) والمراد به من قتل معاهداً بغير جرم، والمعاهد: هو من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم. ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**. ج١٢: ص٢٥٩.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم. ح (٢٩٩٥)، ج٣: ص١١٥٥.

(٣) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**. ج٦، ص٣٥٤٤.

شجرة مسمومة ورجس من عمل الشيطان، وعند **الصينيين:** هي ميـــاه مؤلمـــة تغـــسل السعادة، وللصيني الحق أن يدفن زوجته حية، وفي **الهند:** لم تكن لها أية حقوق، وكانـــت تموت يوم موت زوجها وتحرق معه على موقد واحد، وعند **الفرس:** أباحوا الزواج مـــن المحرمات، وأجازوا للفارسي أن يحكم على زوجته بالموت، وعند **اليهود:** قالوا إنها لعنـــة لأنها سبب الغواية، ونجسة في حال حيضها ويجوز لأبيها بيعها، **والمسيحيون** اختلفوا فيها هل لها روح أم لا؟ وهل هي روح حيوانية أم إنسانية؟ وأخيراً قرروا إنها إنسان ولكنـــها خُلقت لخدمة الرجل فحسب، فانتهى الحال إلى الإقرار بنجاسة المرأة وباءت بلعنة الخطيئة فكان الابتعاد منها حسنة مأثورة في القرون الوسطى، وفي عصر هنري الثامن ملك إنكلترا أصدر البرلمان الإنكليزي قراراً منع فيه أن تقرأ المرأة كتاب العهد الجديد (الإنجيل المحرف) لأنها نجسة، أما عند **العرب:** فوصل الحال إلى وأدها (دفنها وهي حية)، أو قذفها في بئـــر أو حفرة لأنها وصمة عار على الوالدين(1).

أما الحضارة المصرية القديمة فهي الوحيدة التي خولت المرأة مركزاً شرعياً تعترف به الدولة والأمة وتنال به حقوقاً في الأسرة والمجتمع تشبه حقوق الرجل فيها، ودامت للمرأة المصرية هذه الحقوق على أيام الدول المستقرة بشرائعها وتقاليدها، حيث كانت تضطرب مع اضطراب الدولة وتعود مع عودة الطمأنينة إليها، ولكن الحضارة المصرية زالت وزالت شرائعها معها قبل عصر الإسلام(2).

---

(1) ينظر: الشعراوي، محمد متولي. **المرأة في القرآن**. مكتبة الـــشعراوي الإســـلامية، ص11-12. والعقاد، عباس محمود. **المرأة في القرآن**. شركة نهضة مصر، ص47 وما بعدها. وجمعة، علـــي، **المرأة في الحضارة الإسلامية بين نصوص الشرع وتراث الفقه والواقع المعيش**. ط2. القاهرة: دار السلام، (1428هـــ=2007م). ص133-137. والصعيدي، عبد الحكم عبد اللطيـــف. **الأسرة المسلمة أسس ومبادئ**. ط1. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، (1413هـــ=1993م). ص12 وما بعدها.

(2) ينظر: العقاد، **المرأة في القرآن**. ص47.

۞ ثانياً: واقع المرأة في الحضارة الحديثة (المعاصرة):

لقد أصبحت المرأة في المجتمعات الحديثة (الحضارة الغربية المعاصرة)، منتهكة القيم باسم الحرية، مستباحة كرامتها باسم الفن، فانتشرت الفاحشة وعمّت صور الطلاق والمخادنة وفوضى الإجهاض، كما طفحت تلك المجتمعات باللقطاء[١].

ففي إحصائية عن هذه الانتهاكات في قيم المرأة وأخلاقها، الصادرة عن منظمة الصحة العالمية[٢] (لسنة ١٩٩٩) تبين أنه: تجهض سنويا ما يقرب من ٤٦ مليون امرأة بين سن ١٥ إلى ٤٤ سنة، ٢٦ مليون إجهاض رسمي و٢٠ مليون غير رسمي، وتمثل شرق أوروبا أعلى معدل إجهاض في العالم، والإجهاض في المتزوجات تحدث بنسب ضئيلة، أما الكارثة تتضح في غير المتزوجات، حيث تصل نسبتهن إلى ٧٨ بالمئة من النساء اللاتي يقدمن على الإجهاض غير متزوجات، وان اجمالي حالات الاجهاض التي تتم بدون مساعدة متخصصة (خارج المستشفيات) ارتفعت إلى ٤٩ بالمئة عام ٢٠٠٨، ويقدر المحللون أن نصف النساء الأمريكيات (٤٣ بالمئة) يقمن بالإجهاض مرة في حياتهن على الأقل[٣].

وإضافة إلى ذلك فإن الحضارة الغربية اليوم أفقدت المرأة أنوثتها، وكلفتها بالأعمال المشينة والمهينة وجردتها عن فطرتها وأمومتها ورضاعها، لتجعل منها عاملة تكسب قوتها بعد أن تخلى الرجل عن مسؤوليته، وتستغل الفتيات الشابات في مرحلة الفتوة والنشاط، ثم تتخلى عنهن، واتخذ الرجال الخليلات والصواحب اللاتي لا حق لهن تجاه الرجل، وأن

---

(١) ينظر: الصعيدي، **الأسرة المسلمة**. ص١٦.

(٢) منظمة الصّحة العالمية (WHO:World Health Organization): "هي واحدة من عدة وكالات تابعة للأمم المتحدة متخصصة في مجال الصحة، وقد أنشأت في ٧ أبريل ١٩٤٨، ومقرها الحالي في جنيف، سويسرا، وتدير السيدة مارغريت تشان المنظمة". ينظر: **الموسوعة الحرة**: http://ar.wikipedia.org.

(٣) ينظر: http://mnwat.net/qs/t١٥٠٧٩١.html. وجريدة **الرياض**. مؤسسة اليمامة الصحفية. الاربعاء (٩ ربيع الأول١٤٣٣هـ=١ فبراير٢٠١٢م)، العدد (١٥٩٢٧).

شعار تحرير المرأة في الغرب هو شعار خادع، فهو في الحقيقة تحرير من الحشمة والأخلاق والقيم والكرامة، وكأن المرأة لم تخلق لأي دور إلا دور تمتع الرجل بجسدها[1].

وفي تقرير أعدته لجنة من الكونجرس الأمريكي تبين أن في الولايات المتحدة ١٢,٥ مليون طفل أمريكي يعيشون مع أمهاتهم فقط لأنه لا يعرف لهم آباء أصلاً أو بسبب الطلاق[2].

لقد أصيبت الحضارة الأوروبية المعاصرة بأمراض كثيرة وخطيرة ومن أهمها تلك التي تتعلق بواقع المرأة «أمراض الزنا» ولكن أحداً لا يجرؤ على أن يطلق عليها الاسم الحقيقي، لأنه سيعتبر بذلك داعياً إلى الفضيلة، فيتحاشون تلك التسميات لدفع العار، ولهذا انتشر اسم الأمراض الزهرية في الطب ثم في لغات أهل أوروبا، ونتيجة لسيطرة الحضارة الأوروبية فقد أصبح هذا الاسم شائعاً في كافة لغات العالم، واختفاء الاسم الحقيقي لهذه الأمراض «أمراض الزنا واللواط» يوضح إلى حد كبير تواطؤ الصمت الذي كان يحيط بهذه الأمراض، ومحاولة لإخفائها عن الأعين وتسميها بغير اسمها[3].

إن هذه المجتمعات وإن كانت تجد الطعام والشراب والملبس والمسكن، بل وتحيا حياة مادية ورفاهية في أوجها، مع ذلك فإنهم فقدوا أنفسهم وذواتهم في خضم تلك الحياة

---

(١) ينظر: السحمراني، أسعد. **المرأة في التاريخ والشريعة**. ط٢. بيروت: دار النفائس، (١٤١٧هـ =١٩٩٧م). ص٦٤-٦٩. والزحيلي، محمد. **التكريم الإلهي للإنسان**. ط١. بيروت: الدار الشامية. دمشق: دار القلم، (١٤١٥هـ=١٩٩٥م). ص١٤٦.

(٢) ينظر: تقرير لجنة الكونجرس الأمريكية لتحقيق الأحداث في أمريكا تحت عنوان "**أخلاق المجتمع الأمريكي المنهارة**"، (المجتمع العاري بالوثائق والأرقام)، ص١١، وصحيفة Familiy Relation الأمريكية، وتقرير الوكالة المركزية الأمريكية للفحص والتحقيق FPT، نقلاً عن **المرأة في الحضارة الإسلامية**. ص٨٩-٩٢. وصحيفة الشرق الأوسط في ١٩٨٣/٩/١٣م، نقلاً عن البار، محمد علي. **الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها**. ط٤. جدة: دار المنارة، (١٤٠٧هـ =١٩٨٧م). ص٢٨.

(٣) ينظر: **المصدر نفسه**، ص٢٦ وما بعدها.

العابثة اللاهية، وذلك لأنهم خسروا أعظم شيء في هذا الوجود، فقدوا الالتزام بشريعة الله التي فيها السكينة والرحمة والطمأنينة والعفاف والطهارة.

هذه نبذة عن وضع المرأة قبل الإسلام، وفي الحضارات التي سبقت الحضارة الإسلامية، وعرض موجز لما تعاني منها المرأة من الإهانة في جوانب الحياة المختلفة للحضارة المعاصرة، والهدف من هذا العرض هو معرفة الفرق الكبير بين وضع المرأة قبل مجيء الإسلام وفي ظل الإسلام، وبين ظلم الحضارات للمرأة وتكريم الحضارة الإسلامية لها.

۞ ثالثاً: المرأة في القرآن:

ترتبط الحالة الأخلاقية وبالأخص عند المرأة ارتباطاً شديداً بالوضع الإنساني، فهي تعينها على التماسك والنمو في بعدها الإيجابي، وتقودها إلى التفكك والانهيار في بعدها السلبي، فبدءاً بالممارسات المنحرفة التي تمس سلوك المرأة، كالجنس والفجور والغناء والرقص والفحش والخيانة الزوجية، وانتهاءً بتفكيك الأسرة وتدهور الحضارة.

ففي القرآن الكريم كافة الحقوق المشروعة للمرأة، وأكرم من ذلك فإنه رفعها من المهانة إلى مكانة الإنسان المعدود من ذرية آدم وحواء، بريئة من الخطيئة، ومن رجس الشيطان، ومن حطة الحيوان[1].

وقد أولى القران الكريم اهتماماً كبيراً لهذه المسالة، وتحدث عنها وحذّر من مغبتها في آيات عديدة ومن جوانب مختلفة، وأكد على ضرورة الالتزام الخُلقي للمرأة، لكي لا تكون سلعة تتخدر بها الشعوب والأمم.

ويأتي هذا الاهتمام من حيث مساواتها بالرجل في مواطن عديدة في القرآن الكريم.

أ. **المساواة في أصل الخِلقة**، قال تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ** ...﴾ [الأعراف: ١٨٩].

---

(١) ينظر: العقاد، **المرأة في القرآن**. ص٥٣ وما بعدها.

ب. **المساواة في أصل العبودية والتكاليف الشرعية**[1]، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله (ﷺ): «**إنّ النِّساءَ شَقائقُ الرِّجالِ**»[2].

أي: نظائرهم في الأحكام الا ما خص فيه، وأمثالهم في الأخلاق والطباع، كأهن شققن منهم، ولأن حواء خلقت من آدم عليهما السلام، وشقائق: الشقيق: المثل والنظير، كأنه شق هو ونظيره من شيء واحد، فهذا شق، وهذا شق، ومنه قيل للأخ: شقيق، وشقائق جمع شقيقة تأنيث شقيق، وهو ما يدلّ على أن ذلك غالب من حال النساء كالرجال[3].

ج. المساواة في أصل الحقوق والواجبات[4]:

١. **بالنسبة للزوجين**: قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

---

(١) ينظر: جمعة، **المرأة في الحضارة الإسلامية**. ص١١-١٣.

(٢) وهو جزء من حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: سُئل رسول الله (ﷺ) عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما؟ قال: "**يغتسل**"، وعن الرجل يرى انه قد احتلم ولم يجد بللا؟ قال: "**لا غسل عليه**"، قالت ام سلمة: يا رسول الله، هل على المرأة ترى ذلك غسل؟ قال: "**نعم، إنّ النِّساءَ شَقائِقُ الرِّجالِ**". الترمذي، **سنن الترمذي**. كتاب الطهارة عن رسول الله (ﷺ). باب فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلاماً. ح (١١٣). ص٣٨. وابو داود، كتاب الطهارة. **سنن أبي داود**. باب في الرجل يجد البلة في منامه. ح (٢٣٦). ص٤٥. (صحيح)

(٣) ابن الاثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ). **جامع الأصول في أحاديث الرسول**. تحقيق عبد القادر الأرنؤوط. ط١. مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، (١٣٩١هـ=١٩٧١م). ح (٥٣٠٩). ج٧: ص٢٧٤. وابن حجر، **فتح الباري**. ج١: ص٤٤٣ والصنعاني، **سبل السلام**. ج١: ص١٢٥-١٢٦. والعيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى، بدر الدين (ت٨٥٥هـ). **شرح سنن أبي داود**. تحقيق أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري. ط١. الرياض: مكتبة الرشد، (١٤٢٠هـ=١٩٩٩م). ج١: ص٥٢٨.

(٤) ينظر: الزحيلي، **التكريم الإلهي للإنسان**. ص١٣٠ وما بعدها.

أي لهن من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن، وحقوق النساء على الرجال: الإنفاق، والكسوة، والإعفاف، وحسن المعاشرة، ولهذا قال ابن عباس: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وعنه أيضاً: أي لهن من حسن الصحبة، والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن. وقيل: إن لهن على أزواجهن ترك. مضارتهن كما كان ذلك عليهن لأزواجهن. (بِالْمَعْرُوفِ) اي من غير ضرر ولا ضرار. ولا تفريط ولا إفراط[1].

٢. **بالنسبة للوالدين:** قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وهنا خصّت الآية الكريمة الأم بالذكر، لأنها تقوم بالجزء غير المنظور في حياة الطفل غير المدرك لها عقلاً، فالأم هي تحمل وتلد، وهي التي تسهر وترضع، والطفل في تلك المرحلة من حياته لا يدرك شيئاً من هذه المتاعب، ولا يفقه منها شيئاً، أما حين يكبر الطفل فإنه يرى أباه يعتني بتوفير مستلزماته وهو الذي يكد ويشتغل طوال النهار، فتعبه واضح أمام عينه، لذا جاءت الآية الكريمة تذكره بها وتوصيه خيراً بأمه تمجيداً لرسالتها[2].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال ثم من؟ قال: «**ثم أمك**» قال ثم من؟ قال: «**ثم أمك**» قال ثم من؟ قال: «**ثم أبوك**»[3].

---

(١) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٣: ص١٢٣-١٢٥. وابن عجيبة، **البحر المديد**. ج١: ص٢٥٧.

(٢) ينظر: مسيكة برّ، آمنة فتنت. **واقع المرأة الحضاري في ظل الإسلام**. ط١. بيروت: الشركة العالمية للكتاب، (١٩٩٦م). ص٢٥٤ وما بعدها.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**. كتاب البر والصلة والآداب. باب بر الوالدين وأنهما أحق به. ح (٢٥٤٨). ص١٠٢٩.

«والخطاب وإن كان لواحد لكنه عام وكرره للتأكيد أو إشعاراً بأن لها ثلاثة أمثال ما للأب من البر لما تكابده وتعانيه من المشاق، والمتاعب في الحمل والفصال في تلك المدة المتطاولة، فهو إيجاب للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكير لحقها العظيم مفرداً إذ لها من، الحقوق مالا يقام به كيف وبطنها له وعاء وحجرها له حواء وثديها له سقاء»(١).

٣. **بالنسبة للأولاد (الولد والبنت)**، قال تعالى: ﴿ **وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ** ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا** ﴾ [الإسراء: ٣١].

وعن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) يقول سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «**مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاَثُ بَنَات فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَاباً مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الْجَنَّةَ كَهَاتَيْنِ**» وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ(٣).

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «**لاَ يَكُونُ لأَحَدِكُمْ ثَلاَثُ بَنَاتٍ أو ثَلاَثُ أَخَوَاتٍ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٤).

---

(١) المناوي، **فيض القدير**. ج٩: ص١٠.

(٢) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**. كتاب بر الوالدين. باب بر الوالد والاحسان إلى البنات. ح (٣٦٦٩). ج٢: ص١٢١٠. (صحيح)

(٣) الترمذي، **سنن الترمذي**. كتاب البر والصلة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم). باب ما جاء في النفقة على البنات والاخوات. ح (١٩١٤). ص٤٣٨. (صحيح)

(٤) **المصدر نفسه**، ح (١٩١٢). ص٤٣٧. وابن ابي شيبة، **المصنف**. ح (١٠٤). ج٢١: ص١٩٦. والألباني، محمد ناصر الدين. **صحيح الترغيب والترهيب**. ط١. الرياض: مكتبة المعارف، (١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م). ح (١٩٧٣). ج٢: ص٤٢٩. (صحيح لغيره)

د. تحريم ما كان يُفعل بالمرأة قبل الإسلام من الظلم والكراهية والوأد:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٨- ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨- ٩].

قرأها الجمهور من القرّاء: «سُئِلَت»، وقرأها بعضهم «سألَتْ» أي خاصمت أو سألت الله تعالى أو قاتلها طلبت بدمائها، وبعضهم قرأها «سيلت» بكسر السين، والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب قتلت، ليكون ذلك تهديدا لقاتلها، فإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا؟، ﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ دون الوائد مع أن الذنب له دونها لتسليتها، وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته، فإن المجني عليه إذا سئل بمحضر الجاني ونسبت إليه الجناية دون الجاني كان ذلك بعثاً للجاني على التفكر في حال نفسه وحال المجني عليه فيرى براءة ساحته وأنه هو المستحق للعتاب والعقاب وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض، وفي الآية دليل على عظم جناية الوأد[1].

هـ. التوصية بالمرأة، فأوصى الله تعالى الرجال بهن خيراً وأن يتعاملوا معهن بالمعروف في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ٢٤ ص٢٤٦. وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٨: ص٣٣٣. والآلوسي، **روح المعاني**. ج٢٢: ص٢١٦.

وقال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ﴾ [الطلاق: ٦]

وقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ أي بما هو معروف في هذه الشريعة، وبين أهلها من حسن المعاشرة، والخطاب للجميع، إذ لكل أحد عشرة زوجا كان أو وليا، ولكن المراد بهذا الأمر في الأغلب الأزواج، وذلك يختلف باختلاف الأزواج في الغنى، والفقر، والرفاعة، والوضاعة، فالواجب عليه الإنصاف في الفعل والإجمال، وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف، من الصحبة الجميلة، وكف الأذى وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال[1].

واعتبر الإسلام الصورة المثالية للحياة في الأسرة والمجتمع عند تعاون الرجل والمرآة، وأن الزواج نعمة لكل منهما وهو مودة، وسكن، ولباس، ومصاهرة، ونسب، بل وكذلك لأسرة الزوج والزوجة معاً، ولا يتحقق ذلك الا اذا تمتعت المرآة بجميع حقوقها، من حسن المعاشرة، والمهر الذي هو رمز لتكريم المرأة، والميراث الذي تفرد الإسلام بمنحه اياها، وحق التعليم، وحق العمل الكسبي الذي تناسب طبيعتها وتحفظ كرامتها، بشرط الالتزام بالأحكام الشرعية ومع ذلك فالإسلام اعتبر اهم وظيفة للمرآة هي التربية ورعاية البيت، فهي راعية المترل، وربة البيت، فوظيفتها كريمة ومحترمة[2].

فدور المرأة في الشريعة الإسلامية وفي التأريخ الإسلامي هو دورٌ رئيس، وليس دوراً هامشياً، فهي في الخط الدفاعي الأخير لحماية المجتمع من أي استلاب أو ذوبان أو انهيار،

---

(١) ينظر: البيضاوي، **أنوار التتريل**. ج٢: ص٦٦. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٥: ص٩٧. والشوكاني، **فتح القدير**. ج١: ص٥٠٨. والسعدي. **تيسير الكريم الرحمن**. ص١٧٢.

(٢) ينظر: الزحيلي، **التكريم الإلهي للإنسان**. ص١٣٦-١٤٠.

لأنها هي التي تمسك بزمام المكون الحقيقي للمجتمع وهو الأسرة، فهي القوام الرئيسي لهذه الأسرة وعمود البيت الذي إذا سقط صار هناك ضعف في أقوى بنية داخل المجتمع، وبالتالي يكون المجتمع ضعيفاً وهَشًّاً وقابلاً للسقوط من أي رياح أو حدث يحدث للأمة.

ويمكن تلخيص ما سبق في هذا المبحث بالأمور التالية:

١. أن الحقوق في الإسلام هبة ومنحة منحها الله تعالى للإنسان، وليس من وضع الإنسان نفسه.

٢. الناس سواسية في الحقوق، ابتداء من مرحلة الجنين وانتهاء إلى مرحلة الشيخوخة والموت، فكل منهم يستحق التكريم والحفاظ على مصالحه.

٣. الحقوق في الإسلام مقيدة بالمصالح، فإذا مارس إنسان ما حقه على حساب إنسان آخر وأدّى ذلك إلى الأضرار به فحينئذ لا يعتبر ذلك حقاً مشروعاً.

٤. الإيمان بالله تعالى المتمثل باستشعار مراقبته والخوف منه والصدق معه، ونظام العقوبات، هما أساسان لضمان الحقوق في الإسلام.

٥. الإسلام كفيل بضمان حقوق الإنسان الضرورية والخاصة، وبوسائل تناسب كل الأزمنة والأمكنة.

٦. كرّم الإسلام المرأة تكريماً لم يسبق له في التاريخ مثيل، فقد كرّمها كإنسان، وكرّمها كأم، وكرّمها كأخت، وكرّمها كبنت، وكرّمها كزوجة.



الباب الثالث

التكريم العقلي للإنسان في القرآن الكريم

ويشتمل على ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول: مكانة العقل في الشريعة الإسلامية**
- **الفصل الثاني: مسؤوليات العقل في الإسلام**
- **الفصل الثالث: المسائل المختلف فيها**

الفصل الأول
مكانة العقل في الشريعة الإسلامية

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: ماهية العقل**

المطلب الأول: تعريف العقل في اللغة

المطلب الثاني: تعريف العقل في الاصطلاح

- **المبحث الثاني: تكريم العقل بالتكليف**

المطلب الأول: العقل مناط التكليف والتفكير

المطلب الثاني: آراء العلماء

- **المبحث الثالث: دعوة العقل إلى التدبر**

المطلب الأول: في كتابه ومخلوقاته

المطلب الثاني: في تشريعاته وأحوال الامم الماضية

- **المبحث الرابع: حفظ العقل**

المطلب الأول: المفسدات المعنوية

المطلب الثاني: المفسدات الحسية

العقل أهم خصائص الإنسان التي بموجبها فضّل الله الجنس الإنساني على سائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ «فيه أربعة أوجه: أحدها: بالغلبة والاستيلاء، الثاني: بالثواب والجزاء، الثالث: بالحفظ والتمييز، الرابع: بإصابة الفراسة»[1]، لذلك اعتبر الإسلام العقل مناط التكليف في سائر المسؤوليات الدينية والدنيوية، إذ به يهتدي الإنسان إلى الحقائق الكبرى التي دعا الله إلى الوصول إليها بالبراهين العقلية، لا بمجرد الإيمان الأعمى.



(١) الماوردي. **النكت والعيون**. ج٣: ص٢٥٨.

المبحث الأول

ماهية العقل

المطلب الأول: تعريف العقل في اللغة

العقل في اللغة يطلق على معانٍ متعددة منها: **الحِجْرُ والنُّهَى**: ضِدُّ الحُمْق، وَالْجَمْعُ عُقولٌ، **الجَمْعُ**: يقال: (رَجُلٌ عاقِلٌ) أي: جامع لأمره ورأيه، مأخوذ من: (عَقَلْتَ الْبَعِيْرَ) إذا: جَمَعْتَ قوائمه، **الْحَبْسُ**: مأخوذ من قولهم: (قد اعْتُقِلَ لسانُهُ) إذا حُبِسَ ومُنِعَ لكلامَ، **التَّثَبُّتُ في الأمور**: يقال (إنسان عاقل) أي: مُتَثَبِّتٌ في أموره، **التَّمَيُّزُ**: وهو الذي يتميز به الإنسان من سائر الحيوان، **الفَهْمُ**: يقال (عَقَلَ الّشْيء يَعْقِلهُ عَقْلاً) إذا فهمه، **المَسْكُ**: يقال (عَقَلَ الدَّواءُ بطْنَهُ يَعْقُلهُ عَقْلاً): أمسكه، وقيل: أمسكه بعد استطلاقه، وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه[1].

«والعَقْلُ: العِلْمُ، أو بِصفاتِ الأَشْياءِ، من حُسْنِها وقُبْحِها، وكَمَالِها ونُقْصانِها، أو العِلْمُ بخَيْرِ الخَيْرَيْنِ، وشَرِّ الشَّرَّيْنِ، أو مُطْلَقٌ لأُمورٍ، أو لقُوَّةٍ بها يكونُ التمييزُ بين القُبْحِ والحُسْنِ، ولِمعانٍ مُجْتَمِعةٍ في الذِّهْنِ. يكونُ بمُقَدِّماتٍ يَسْتَتِبُّ بها الأَغْراضُ والمصالِحُ، ولِهَيْئَةٍ مَحْمودةٍ للإِنْسانِ في حَرَكاتِهِ وكَلامِه»[2].

وهذه المعاني كلها تدل على أن (العَقْل) في مفهوم العرب هو العاصم الذي يعصم الإنسان من الطيش والتسرُّع في الأمور دون روِيَّةٍ وأناة، وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه، وذلك بما يضفيه عليه ذلك العقل من الوعي والإدراك الأمر الذي يقيه من المخاطر والزلل.

---

(١) ينظر: ابن منظور. **لسان العرب**. مادة (عقل). ج١١: ص٤٥٨-٤٥٩.

(٢) الفيروزآبادي. **القاموس المحيط**. مادة (العقل). ص١٠٣٤.

المطلب الثاني: تعريف العقل في الاصطلاح

عرفه الحارث المحاسبي[1] بأنه غريزة يتوصل بها إلى درك العلوم فقال: «والذي هو عندنا أنه غريزة والمعرفة عنه تكون»[2].

وعرفه السرخسي[3]: «العقل نور في الصدر به يبصر القلب عند النظر في الحجج بمترلة السراج»[4].

وعرفه الامام أبو حامد الغزالي[5] بقوله: «والوجه أن يقال: هو صِفَةٌ يتهيأ للمتصف بها دَرْكُ العلوم والنظر في المعقولات»[6].

---

(١) الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، من أكابر الصوفية، كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مُبكياً، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد سنة ٢٤٣هـ، وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره. ينظر: أبو عبد الرحمن السلمي، محمد بن الحسين بن محمد النيسابوري، (ت٤١٢هـ). **طبقات الصوفية**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٩هـ=١٩٩٨م). ص٥٨. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج. **صفة الصفوة**. تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي. ط٢. بيروت: دار المعرفة، (١٣٩٩هـ=١٩٧٩م). ج٢: ص٣٦٧.

(٢) المحاسبي، الحارث بن أسد، أبو عبد الله (ت ٢٤٣هـ). **ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه**. تحقيق حسين القوتلي. ط٢. بيروت: دار الكندي، دار الفكر، (١٣٩٨هـ). ص٢٠٥.

(٣) محمد بن أحمد بن سهل، أبو بكر شمس الأئمة، كان إماما علامة حجة متكلماً فقيهاً أصولياً مناظراً من كبار الأحناف، قاض مجتهد، من أهل سرخس (خراسان الايرانية)، أشهر كتبه "المبسوط" في الفقه والتشريع، ثلاثون جزءاً. وله "شرح الجامع الكبير للإمام محمد" و"الأصول" في أصول الفقه وغيرها. مات في حدود التسعين وأربع مائة. ينظر: محيي الدين الحنفي، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي (ت٧٧٥هـ). **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**. كراتشي: مير محمد كتب خانه. ج٢: ص٢٨- ٢٩. وحاجي خليفة، **كشف الظنون**. ج١: ص٥٦٣.

(٤) السرخسي، أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت٤٩٠هـ). **أصول السرخسي**. تحقيق أبو الوفاء الأفغاني. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٤هـ=١٩٩٣م). ج١: ص٣٤٦- ٣٤٧.

(٥) سبق ترجمته.

(٦) الغزالي، محمد بن محمد بن محمد أبو حامد (ت ٥٠٥هـ). **المنخول في تعليقات الأصول**. تحقيق محمد حسن هيتو. ط٢. دمشق: دار الفكر، (١٤٠٠هـ). ص٤٥.

وعرفه القاضي الباقلاني[1] بأنه: «هو عِلْمٌ بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات»[2].

والحقيقة أن الكلام في العقل ليس بالهين ومن الصعوبة بمكان بيان حقيقة العقل من الناحية الاصطلاحية، كما ذكر ذلك إمام الحرمين الجويني[3] رحمه الله تعالى حين قال: «فإن قيل: فما العقل عندكم؟ قلنا: ليس الكلام فيه بالهَيِّن»[4]، ولعلَّ مَرْجع هذه الصعوبة هو اختلاف اصطلاحات العلماء في تحديد معناه، نظراً لكونه اسماً مشتركاً يُطلق على عدد من المعاني، والراجح أن العقل لا يحد بحد واحد وهو ما ذهب اليه الغزالي رحمه الله تعالى بقوله: (وكذلك إذا قيل: «ماحَدُّ العقل؟» فلا تطمع في أن تحدَّهُ بحدٍ واحد، فإنه هَوَس، لأن اسم العقل مشترك يطلق على عدة معانٍ، إذ يطلق على بعض العلوم الضرورية، ويطلق على الغريزة التي يتهيّأ بها الإنسان لدَرْك العلوم النظرية، ويطلق على العلوم المستفادة من التجربة حتى إنَّ مَنْ لم تحنّكه التجارب بهذا الاعتبار لا يُسمَّى عاقلاً، ويطلق على مَنْ له وقار وهيبة وسكينة في جلوسه وكلامه، وهو عبارة عن الهدوء فيقال: «فلان عاقل» أي فيه هدوء، وقد يطلق على مَنْ جَمَعَ العمل إلى العلم حتى إنَّ المفسد

---

(١) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت اليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها سنة ٤٠٣هـ. ينظر: ابن الجوزي، **المنتظم**. ج١٥: ص٩٦. وابن خلكان، **وفيات الاعيان**. ج٤: ص٢٦٩-٢٧٠.

(٢) الغزالي، **المنخول**. ص٤٤.

(٣) أبو المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد عبد الله، الجويني، الفقيه الشافعي الملقب ضياء الدين، المعروف بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق، المجمع على إمامته، له مصنفات كثيرة، منها: "غياث الأمم والتياث الظلم" و"البرهان" في أصول الفقه، وغيرها، توفي سنة ٤٧٨هـ. ينظر: ابن خلكان. **وفيات الاعيان**. ج٣: ص١٦٧-١٦٨.. وابن والسبكي، **طبقات الشافعية**. ج٥: ص١٦٥ وابن العماد العكبري، **شذرات الذهب**. ج٥: ص٣٣٨-٣٣٩.

(٤) الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالي (ت٤٧٨هـ). **البرهان في أصول الفقه**. تحقيق عبد العظيم محمود الديب. ط٤. مصر- المنصورة: دار الوفاء، (١٤١٨هـ). ج١: ص٩٥.

وإن كان في غايةٍ من الكياسة يمنع عن تسميته عاقلا، فإذا اختلفت الاصطلاحات فيجب بالضرورة أن تختلف الحدود[1].

لكن يمكن القول بأن مجمل تلك المعاني التي يحملها العقل تدور حول المعنى الآتي: أن العقل عبارة عن القوة المتهيئة لقبول العلوم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

أما المناسبة بين الحقيقتين اللغوية والاصطلاحية للعقل مناسبة كبيرة وارتباط وثيق، إذا اعتبرنا العقل هو عبارة عن نور إلهي قذفه الله تبارك وتعالى في قلب الإنسان تكريماً له على سائر أنواع الحيوان، هذا العقل الذي هو بهذه الصفة يتناسب غاية التناسب مع كل معنى لغوي فسَّره به أهل اللسان العربي فهو متناسب مع جميع المعاني اللغوية التي سبقت، فإنَّ لذلك النور أثره العميق في النفس البشرية يهذِّب سلوكها، ويقوِّم أخلاقها، ويلهمها رُشْدها، فلا تتصرَّف بحمق ورعونة[2]، وكذلك القادر على استجماع كل التصورات المطلوبة للحكم على الأشياء واتخاذ القرار المناسب لها إنما هو العاقل الذي وَعى فأدرك، وكذلك العقل يحبس صاحبه عن الانسياق خَلْف الشهوات التي لو أطلق الإنسان فيها لنفسه العنان لأصبح سابحاً في بحور الرذيلة لانفلاته من قيود الفضيلة، وكذلك من شأن العقلاء الذين وهبهم الله تبارك وتعالى العقل الراجح والفكر الثاقب الذي يَزِنون به الأمور وزناً دقيقاً دون اضطراب في الموقف، أو رعونة في التصرف.

ومن خلال هذا التناسب تتضح لنا أهمية العقل الكبرى في حياة الإنسان، وأنه نعمة عظيمة من نعم الله تبارك وتعالى على عباده جديرة بالحفظ والرعاية حتى يسير ذلك العقل في مساره الصحيح الذي رسمه له المولى الكريم دون حَيْدَةٍ عن الجادَّة أو انحراف عن الصراط المستقيم.

---

(١) الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥ هـ). **المستصفى في علم الأصول**. تحقيق محمد بن سليمان الأشقر. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤١٧هـ =١٩٩٧م). ج١: ص٦٤.

(٢) الضويحي، علي بن سعد. **العقل عند الأصوليين**. السعودية: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (ورقة بحثية غير منشورة). ص٢٢.

المبحث الثاني
تكريم العقل بالتكليف

إن نور الوحى القرآني والتشريع الرباني لا يطمس نور العقل، بل يباركه، ويزكيه، ويقويه وينميه، بشرط ألا يتجاوز العقل حده، وأن يعرف العقل قدره، وأن يسجد العقل مع الكون كله لله رب العالمين، ولقد جاءت شريعتنا الغراء بكل ما من شأنه حفظ هذه النعمة، وبدرء كل ما يفضي إلى الإضرار بها نقصاً أو تلفاً، فالقرآن رفع مكانة العقل، والتشريع القرآني والنبوي بين أن العقل مناط التكليف، أي إذا فقد الإنسان عقله سقط عنه التكليف.

المطلب الأول: العقل مناط التكليف والتفكير

۞ أولاً: الآيات الدالة على ذلك:

لم يذكر لفظ «العقل» في القرآن الكريم كمصدر، وإنما ذكر الفعل (يعقل ويعقلون)، وجاء ذلك في تسع وأربعين آية في القرآن الكريم، وذُكِرَ أولو الألباب بضع عشرة مرة، وأولو النهى مرتين[1]، فقد جاء القرآن الكريم مليئاً بذكر مادة العقل مانحاً لهذا العقل أهمية واضحة، إذ دعا إلى استخدام الفكر واستعمال العقل الذي يؤمن بالاستدلال وينكر التبعية والتقليد الأعمى دونما تدبر أو تمعن، وذلك بغية أن لا يزيغ الإنسان عن الطريق القويم.

قال تعالى: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ قال الطبري: أي: واختبروا عقول يتاماكم في أفهامهم، وصلاحهم في أديانهم، وإصلاحهم أموالهم، فعن ابن عباس وقتادة والحسن أي: اختبروا اليتامى. وعن السدي ومجاهد أي: فجرِّبوا عقولهم، وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى: «الرشد» الذي ذكره الله في هذه الآية فقال

---

(١) ينظر: الجمل. **معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن**. ج٣: ص١٤٩.

بعضهم: معنى «الرشد» في هذا الموضع، العقل والصلاح في الدين، فعن السدي: «فإن آنستم منهم رشداً»، عقولا وصلاحاً، وعن قتادة: «فإن آنستم منهم رشداً»، يقول: صلاحاً في عقله ودينه، وقال آخرون: معنى ذلك: صلاحاً في دينهم، وإصلاحاً لأموالهم[1].

قال ابن العربي[2]: قال الشافعي وأبو حنيفة: وجه اختيار الرشد في الذكور والإناث واحد، وهو البلوغ إلى القدرة على النكاح، والحكمة في الفرق بينهما حسبما رآه مالك قد قررناها في مسائل الخلاف، أن الذكر بتصرفه وملاقاته للناس من أول نشأته إلى بلوغه يحصل به الاختبار، ويكمل عقله بالبلوغ فيحصل له الغرض[3].

وقال القرطبي[4]: «قال جماعة من الفقهاء الصغير لا يخلو من أحد أمرين، إما أن يكون غلاماً أو جارية، فإن كان غلاماً رد النظر إليه في نفقة الدار شهراً، أو أعطاه شيئاً نزراً يتصرف فيه، ليعرف كيف تدبيره وتصرفه، وهو مع ذلك يراعيه لئلا يتلفه، فإن أتلفه فلا ضمان على الوصي، فإذا رآه متوخياً سلم إليه ماله وأشهد عليه، وإن كانت جارية رد إليها ما يرد إلى ربة البيت من تدبير بيتها والنظر فيه، في الاستغزال والاستقصاء على الغزالات في دفع القطن وأجرته، واستيفاء الغزل وجودته، فإن رآها رشيدة سلم أيضاً إليها مالها وأشهد عليها، وإلا بقيا تحت الحجر حتى يؤنس رشدهما»[5].

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج٧: ص٥٧٤-٥٧٥.

(٢) القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨هـ من حفاظ الحديث، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس سنة ٥٤٣هـ، ودفن بها. ينظر: ابن خلكان، **وفيات الاعيان**. ج٤: ص٢٩٦. والصفدي، **الوافي بالوفيات**. ج٣: ص٢٦٥-٢٦٦. والسيوطي، **طبقات الحفاظ**. ج١: ص٤٦٨.

(٣) ينظر: ابن العربي، **أحكام القرآن**. ج١: ص٤١٨.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٥: ص٣٤.

وقال أيضاً: «وأكثر العلماء على أن الرشد لا يكون إلا بعد البلوغ، وعلى أنه إن لم يرشد بعد بلوغ الحلم وإن شاخ لا يزول الحجر عنه، وهو مذهب مالك وغيره، وقال أبو حنيفة: لا يحجر على الحر البالغ إذا بلغ مبلغ الرجال ولو كان أفسق الناس وأشدهم تبذيراً إذا كان عاقلاً، وبه قال زفر بن الهذيل؛ وهو مذهب النخعي»[1].

وهناك آيات تدل على أن التكليف لا يكون إلا بحسب الوسع، أي أن التكليف مشروط بأمرين الأمر الأول: العلم بما يُكَلَّفُه الإنسان، والأمر الثاني: القدرة على الفعل[2]، والذي يمكنه العلم بما كلفه هو العاقل، فإن فقد العقل مطلقاً كالمجنون جنوناً مطبقاً، فليس أهلاً للتكليف مطلقاً، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

والقرآن العظيم أجاز للعقل الخوض في بعض الشؤون الدينية، فبالأحرى في مجالات أخرى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ورفض القرآن التبعية الفكرية، واقتفاء ما يفعله الآخرون وما يقولونه دون استخدام للعقل فذلك يُعتبر انسياقاً وراء أوهام التبعية الضارة، وجموداً لا طائل منه، يقول عز من قائل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]. أما قوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فإنما خص الآيات بهم لأنهم الذين يتمكنون

---

(١) **المصدر نفسه**، ج٥: ص٣٧.

(٢) يراجع مطلب دفع المشقة، ص١٩٥-١٩٩.

من النظر فيه، والاستدلال به على ما يلزمهم من توحيد ربهم وعدله وحكمه ليقوموا بشكره، وما يلزم عبادته وطاعته، وأن النعم على قسمين نعم دنيوية ونعم دينية، وهذه الأمور الثمانية التي عدها الله تعالى نعم دنيوية في الظاهر، فإذا تفكر العاقل فيها واستدل بها على معرفة الصانع صارت نعماً دينية لكن الانتفاع بها من حيث إنها نعم دنيوية لا يكمل إلا عند سلامة الحواس وصحة المزاج فكذا الانتفاع بها من حيث إنها نعم دينية لا يكمل إلا عند سلامة العقول وانفتاح بصر الباطن فلذلك قال: ﴿لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ أي: يتفكرون فيها وينظرون إليها بعيون عقولهم[1].

وقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٥].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]. ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ «والمراد منه التنبيه على أنه يجب على العاقل أن يعرف الفرق بين هذين البابين وأن لا يكون غافلاً عن معرفته»[2].

---

(١) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٤: ص١٧٤. والبيضاوي، **أنوار التتريل**. ج١: ص١١.

(٢) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١٢: ص٥٣٩.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

أي: «لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم»[١].

وقال تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ١٢٨].

ومن أروع ما هدى اليه القرآن من جانب الفكر والعلم تنويهه بـــ«أولى الالباب» و«أولى النهى» أي أصحاب العقول، وإشادته بهم في مواضع شتى من سوره المكية والمدنية على سواء، وهذا يدل على اهتمام القرآن بفعل العقل وما يشتق منه مثل قوله تعالى: «يعقلون» أو «تعقلون»، ولكنه لم يذكر «العقل» باعتباره مَلَكة أو جوهراً في الإنسان تصدر عنه العمليات العقلية المختلفة من التفكر والتذكر والاعتبار ونحوها، و«الألباب» أي العقول، وهي جمع «لبّ» وهو ما يقابل القشر، فكأن القرآن يشير هنا إلى أن الإنسان قسمان: قشر ولبّ فالجسم هو القشر، والعقل هو اللبّ[٢].

وهذه الآيات وأمثالها دعوة لإعمال العقل في هذا الكون وما أودع فيه من أسرار ومنافع، وذلك من أجل الاستفادة من طاقاته في بناء الحياة المزدهرة للفرد والأسرة والمجتمع على حد سواء، والفوز بالجنة والنجاة من النار في الحياة الابدية السرمدية الاخروية، ولا يتم ذلك الا بالخضوع الكامل لله تعالى والتعرف على حقائق الوحي وأوامره ونواهيه، ومن المستحيل أن يتعرف الإنسان على حقائق الوحى الرباني وعلى أمور الغيب وعلى حقائق وخصائص وأصول التشريع إلا بأن يعوّد العقل بخضوع وتواضع إلى حقائق الوحى الرباني.

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٨: ص١٧٨.

(٢) القرضاوي، يوسف. **العقل والعلم في القرآن الكريم**. ط١. القاهرة: مكتبة وهبة، (١٤١٦هـ =١٩٩٦م). ص٢٢. (بتصرف)

۞ ثانياً: السنة النبوية:

نماذج من الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على أن العقل مناط التكليف

عن علي (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاَثَةٍ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ**»[1].

أي ليس يجري أصالة لا أنه رفع بعد وضع، والمراد برفع القلم عدم المؤاخذة لا قلم الثواب، فلا ينافيه صحة إسلام الصبي المميز، والحديث فيه كلام كثير لأئمة الحديث وفيه دليل على أن الثلاثة لا يتعلق بهم تكليف وهو في النائم المستغرق إجماع والصغير الذي لا تمييز له، وفيه خلاف إذا عقل وميّز[2]. وعن أبي مسعود (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «**اسْتَوُوا ولا تَختَلِفُوا فَتَختَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلِني مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ والنُّهَى ثُمَّ الّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[3].

وقوله (صلى الله عليه وسلم) «**أُولُو الأَحْلاَمِ والنُّهَى**» أي: «ذوو الألباب والعقول قال ابن الأثير واحد الأحلام حلم بالكسر بمعنى الأناة والتثبت في الأمور وذلك من شعار العقلاء، والنهى جمع نهية وهي العقل وسمي العقل نهية لأنه ينتهي إلى ما أمر به ولا يتجاوز»[4].

وعن حميد بن عبد الرحمن قال: سمعت معاوية (رضي الله عنه) خطيباً يقول: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: «**مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[5].

---

(١) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**. باب طلاق المعتوه. ح (٢٠٤١). ج١: ص٦٥٨. وأبو داود، **سنن أبي داود**. باب في المجنون. ح (٤٤٠٣). ص٧٩٠. والترمذي، **سنن الترمذي**. باب فيمن لا يجب عليه الحد. ح (١٤٢٣). ص٣٣٦. والنسائي، **السنن الكبرى**. باب من لا يقع طلاقه من الأزواج. ح (٥٦٢٥). ج٣: ص٣٦٠. (صحيح)

(٢) ينظر: الصنعاني، **سبل السلام**. ج٢: ص٢٦٥.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الصلاة. باب تسوية الصفوف وإقامتها. ح (٤٣٢). ص١٨٥.

(٤) **المصدر نفسه**، بتعليق محمد فؤاد عبد الباقي. ج١: ص٣٢٣.

(٥) البخاري. **صحيح البخاري**. باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. ح(٧١). ج١: ص٢٥.=

والفقه هو الفهم، قال الله تعالى: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، أي: لا يفهمون، والمراد الفهم في الأحكام الشرعية، وهذا الحديث مشتمل على أحكام منها: فضل التفقه في الدين، وأن المعطي في الحقيقة هو الله وأن ذلك لا يكون بالاكتساب فقط بل لمن يفتح الله عليه به، وقوله يفقهه أي: يفهمه وهي ساكنة الهاء لأنها جواب الشرط يقال فقه بالضم إذا صار الفقه له سجية وفقه بالفتح إذا سبق غيره إلى الفهم وفقه بالكسر إذا فهم ونكر، وقوله خيرا أي: ليشمل القليل والكثير والتنكير للتعظيم لأن المقام يقتضيه، ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع فقد حرم الخير[1].

وجاء في سنن الدارمي بإسناد صحيح أنه: «أخبرنا سعيد بن عامر أخبرنا به حميد بن الأسود عن عيسى قال سمعت الشعبي يقول: إِنَّمَا كَانَ يَطْلُبُ هَذَا الْعِلْمَ مَنِ اجْتَمَعَتْ فيه خَصْلَتَانِ الْعَقْلُ وَالنُّسُكُ فَإِنْ كَانَ نَاسكاً وَلَمْ يَكُنْ عَاقلاً قَالَ هَذَا أَمْرٌ لاَ يَنَالُهُ إِلاَّ الْعُقَلاَءُ فَلَمْ يَطْلُبْهُ وَإِنْ كَانَ عَاقلاً وَلَمْ يَكُنْ نَاسكاً قَالَ هَذَا أَمْرٌ لاَ يَنَالُهُ إِلاَّ النُّسَّاكُ فَلَمْ يَطْلُبْهُ. فَقَالَ الشَّعْبِيُّ وَلَقَدْ رَهِبْتُ أَنْ يَكُونَ يَطْلُبُهُ الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَتْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا لاَ عَقْلٌ وَلاَ نُسُكٌ»[2].

=ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الزكاة. باب النهي عن المسألة. ح (١٠٣٧). ص٣٩٨. وهو جزء من الحديث: «**مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ**». (واللفظ للبخاري)

(١) ينظر: ابن حجر. **فتح الباري**. ج١: ص٢٩٤ وما بعدها.

(٢) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد. **سنن الدارمي**. تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي، (١٤٠٧هـ). باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ح (٣٧١). ج١: ص١١٦.

المطلب الثاني: آراء العلماء

قال أبو حامد الغزالي[1]: ذاكراً شروط المحكوم عليه وهو المكلف فقال: «وشرطه أن يكون عاقلا يفهم الخطاب، فلا يصح خطاب الجماد والبهيمة، بل خطاب المجنون والصبي الذي لا يميز، لأن التكليف مقتضاه الطاعة والامتثال، ولا يمكن ذلك إلا بقصد الامتثال، وشرط القصد العلم بالمقصود والفهم للتكليف، فكل خطاب متضمن للأمر بالفهم، فمن لا يفهم كيف يقال له: إفهم ومن لا يسمع الصوت، كالجماد كيف يكلم، وإن سمع الصوت كالبهيمة، ولكنه لا يفهم فهو كمن لا يسمع، ومن يسمع وقد يفهم فهما ما لكنه لا يعقل، ولا يثبت، كالمجنون وغير المميز»[2].

وقال الآمدي[3]: «اتفق العقلاء على أن شرط المكلف أن يكون عاقلاً فاهماً للتكليف، لأن التكليف خطاب، وخطاب من لا عقل له ولا فهم محال، كالجماد والبهيمة، ومن وجد له أصل الفهم لأصل الخطاب دون تفاصيله، من كونه أمراً ونهياً ومقتضياً للثواب والعقاب، ومن كون الآمر به هو الله تعالى، وأنه واجب الطاعة، وكون المأمور به على صفة كذا وكذا، كالمجنون والصبي الذي لا يميز، فهو بالنظر إلى فهم التفاصيل كالجماد والبهيمة بالنظر إلى فهم أصل الخطاب، ويتعذر تكليفه أيضاً»[4].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الغزالي، **المستصفى في علم الاصول**. ج١: ص١٥٨.

(٣) هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن المعروف بسيف الدين الآمدي أصله من آمد (ديار بكر - تركيا)، أحد أذكياء العالم وُلد بعد سنة ٥٥١هـ بيسير بمدينة آمد، وقرأ بها القرآن، وحفظ كتاباً في مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ثم قَدِم بغداد، فقرأ بها القراءات، وتفقه على أبي الفتح بن المني الحنبلي، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، وتفنَّن في علم النظر، ثم دخل مصر وتصدَّر للإقراء، ثم قدم دمشق، ودرس بالمدرسة العزيزية، وتوفي بدمشق سنة ٦٣١هـ، له تصانيف تربو على العشرين كلها منقّحة حسنة، منها "الأبكار" في أصول الدين و"الأحكام" في أصول الفقه، وغيرها. ينظر: السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**. ج٨: ص٣٠٦-٣٠٧. وابن العماد العكبري، **شذرات الذهب**. ج٧: ص٢٥٣.

(٤) الآمدي، أبي الحسن علي بن أبي علي محمد (ت٦٣١هـ). **الأحكام في أصول الأحكام**. تحقيق سيد الجميلي. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي، (١٤٠٤هـ). ج١: ص١٩٩.

فلذلك لا تجب الصلاة عند الجمهور غير الحنابلة على المجنون والمعتوه ونحوهما كالمغمى عليه إلا إذا أفاقوا في بقية الوقت؛ لأن العقل مناط التكليف، كما ثبت في الحديث السابق: «**وعن المجنون حتى يعقل**» لكن يسن لهم القضاء عند الشافعية. وقال الحنابلة: يجب القضاء على من تغطى عقله بمرض أو إغماء أو دواء مباح، لأن ذلك لا يسقط الصوم، فكذا الصلاة، ولا تطلب الصلاة ولا تقضى من حائض ونفساء، ولو طرّحت نفسها بضرب أو دواء ونحوها، ويجب القضاء على السكران، لتعديه بالسكر(١).

وقال عضد الدين الإيجي(٢): «العقل مناط التكليف إجماعاً من أهل الملة وأنه أي لفظ العقل يطلق على معان فلذلك اختلف في تفسير العقل الذي هو مناط التكليف»(٣).

فإن العقل شرط للتكليف وليس شرطاً مكملاً فحسب، بل هو العمدة في صحة التكليف وإذا غاب بالكلية فإنه مسقط لسائر التكاليف الشرعية(٤).

ومما سبق يمكن القول بأن معرفة الله وتوحيده إنما يكون بالعقل، ومن فقد العقل لأي سبب زال عنه التكليف والحساب والعقاب وكان كالطفل والمجنون وأمثالهما، والإيمان نفسه

---

(١) ينظر: الزحيلي، **الفقه الإسلامي وأدلته**. ج١: ص٦٣٩.

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عَضُد الدين الإيجي، عالم بالأصول والمعاني والعربية، من أهل إيج (ضمن مدينة شيراز الايرانية) ولي القضاء، وأنجب تلاميذ عظاماً، وجرت له محنة مع صاحب كرمان (مدينة ايرانية)، فحبسه بالقلعة، فمات مسجوناً (سنة ٧٥٦هـ)، من تصانيفه: "المواقف" في علم الكلام، و"العقائد العضدية" و"الرسالة العضدية"، وغيرها. ينظر: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. تحقيق محمد عبد المعيد ضان. ط٢. الهند - صيد آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، (١٣٩٢هـ=١٩٧٢م). ج٣: ص١١٠. والشوكاني، **البدر الطالع**. ج١: ص٣٢٦.

(٣) الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد. **كتاب المواقف**. تحقيق عبد الرحمن عميرة. ط١. بيروت: دار الجيل، (١٩٩٧م). ج٢: ص٨٦-٨٨.

(٤) ينظر: ابن قدامة، **المغني**. ج٧: ص٣٨٠. والشاطبي، **الموافقات**. ج١: ص٤١٤.

لا يهتدي إليه إلا بالعقل، والعقل هو الذي يجعل الإنسان مسئولاً عن نفسه، وأن العقل واحد من المقاصد الخمسة التي أوجبت الشريعة الإسلامية الحفاظ عليها، وجرمت أي عدوان عليها وفرضت على من اعتدى عليه عقوبة، وتلك المقاصد الخمسة للشريعة هي: الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال، فالعقل الإنساني وقدرته على الإدراك والتمييز والتمحيص هو وسيلة الإنسان إلى إدراك فحوى الوحي ووضعه موضع الإرشاد والتوجيه لعمل الإنسان وبناء الحياة ونظمها وإنجازاتها بما يحقق غاية الوحي ومقاصده، لذا فالعقل مناط التكليف بخطاب الشارع طلباً أو كفاً أو تخييراً أو وضعاً، فالواجبات الشرعية لا تترتب إلا على العقلاء.



المبحث الثالث

دعوة العقل إلى التدبر

المطلب الأول: في كتابه ومخلوقاته

فقد أبرز القرآن الكريم مظاهر تكريمه للعقل واهتمامه به في مواضع عدة منها، قيام الدعوة إلى الإيمان على الإقناع العقلي، فلم يطلب الإسلام من الإنسان أن يطفئ مصباح عقله ويعتقد بل دعاه إلى إعمال ذهنه وتشغيل طاقته العقلية في سبيل وصولها إلى أمور مقنعة في شؤون حياتها وقد وجه الإسلام هذه الطاقة بتوجيهات عدة لتصل إلى ذلك، فوجهها إلى التفكر والتدبر:

۞ أولاً: في كتابه:

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، فالتدبير والتدبر عبارة عن النظر في عواقب الأمور وأدبارها، والآية دلت على أن القرآن معلوم المعنى خلاف ما يقوله من يذهب إلى أنه لا يعلم معناه إلا النبي والإمام المعصوم، لأنه لو كان كذلك لما تهيأ للمنافقين معرفة ذلك بالتدبر، ولما جاز أن يأمرهم الله تعالى به وأن يجعل القرآن حجة في صحة نبوته، ولا أن يجعل عجزهم عن مثله حجة عليهم، ودلت على وجوب النظر والاستدلال، وعلى القول بفساد التقليد، لأنه تعالى أمر المنافقين بالاستدلال بهذا الدليل على صحة نبوته، وإذا كان لا بد في صحة نبوته من الاستدلال، فبأن يحتاج في معرفة ذات الله وصفاته إلى الاستدلال كان أولى[١].

«ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» أي: قول الله لا يختلف، وهو حق ليس فيه باطل، وإنّ قول الناس يختلف، فإن القرآن لا يكذّب بعضه بعضاً، ولا ينقض بعضه بعضاً، ما جهل الناس من أمرٍ، فإنما هو من تقصير عقولهم وجهالتهم[٢].

وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

---

(١) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١٠: ص١٥١ وما بعدها.

(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج٨: ص٥٦٧.

قال الطبري[1]: اختلفت القرّاء في قراءة (لِيَدَّبَّرُوا)، «فقرأته عامة القراء: (لِيَدَّبَّرُوا) بالياء، يعني: ليتدبر هذا القرآن من أرسلناك إليه من قومك يا محمد، وقراءة أبو جعفر «لتَدَّبَّرُوا آياته» بالتاء، بمعنى: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك، وأولى القراءتين عندنا بالصواب في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب «وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ» يقول: وليعتبر أولو العقول والحِجَا ما في هذا الكتاب من الآيات، فيرتدعوا عما هم عليه مقيمين من الضلالة، وينتهوا إلى ما دلهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب»[2].

وقال أبو منصور الماتريدي[3]: «سماه مباركاً لأن من اتبعه وتمسك به وعمل بما فيه صار شريفاً مذكوراً عند الناس عظيما على أعينهم وقلوبهم، وذلك عمل المبارك أن ينال كل بر وخير يكون أبداً على الزيادة والنماء، واللّه اعلم، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: «لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ» أخبر أنه أنزله ليدبروا في آياته ليعرفوا ما لهم وما عليهم وما يؤتى وما يتبع، إنما يعرف ذلك بالتأمل والتدبر والتفكر»[4].

وقال ابن عطية[5]: «وظاهر هذه الآية يعطي أن التدبر من أسباب إنزال القرآن»[6].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الطبري: **جامع البيان**. ج٢١: ص١٩٠-١٩١.

(٣) هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي الحنفي، من أئمة علماء الكلام. نسبته إلى ما تريد محلة بسمرقند (مدينة في اوزبكستان) من كتبه: "التوحيد" و"أوهام المعتزلة" و"الرد على القرامطة" و"تأويلات أهل السنة" وغيرها، مات بسمرقند سنة ٣٣٣هـ. ينظر: محيي الدين الحنفي. **الجواهر المضية**. ج٢: ص١٣٠. وحاجي خليفة، **كشف الظنون**. ج١: ص٣٣٥.

(٤) الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**. ج٨: ص٦٢٣.

(٥) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، الغرناطي، أبو محمد، كان مفسراً فقيهاً نحوياً لغوياً أديباً، بارعاً شاعراً، أندلسي، عارف بالأحكام والحديث، له شعر، ولي قضاء المرية، له "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" في عشر مجلدات، وغيرها، ولد سنة ٤٨١هـ، وتوفي سنة ٥٤٢هـ وقيل ٥٤١هـ وقيل ٥٤٦هـ. ينظر: السيوطي، **بغية الوعاة**. ج٢: ص٧٣. والمقري التلمساني. **نفح الطيب**. ج٢: ص٥٢٦-٥٢٧.

(٦) ابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٤: ص٥٠٣.

وورد عن الحسن[1] في قوله: «وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ» قال: «عَاتَبَهُمْ لأَنَّهُ أحبهم»[2]، وهذا فضل من فضائل أهل العقول.

۞ ثانياً: في مخلوقاته:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠- ١٩١].

«والمراد بأولي الألباب: أهل العقول الصحيحة الخالصة، عن شوائب النقص، فإن مجرد التفكير فيما قصه الله في هذه الآية يكفي العاقل، ويوصله إلى الإيمان الذي لا تزلزله الشبه، ولا تدفعه التشكيكات»[3].

قال ابن كثير[4]: أي: العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياها، وليسوا كالصم البُكْم الذين لا يعقلون، ثم وصف تعالى أولي الألباب فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: لا يقطعون ذِكْره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: يفهمون ما فيهما من الحكَم الدالة على عظمة الخالق وقدرته، وعلمه وحكمته، واختياره ورحمته[5].

وروي أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها سئلت عن أعجب ما رأته من رسول الله ﷺ فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: «**يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي**» قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي قالت: فلم يزل يبكي حتى بلّ حجره قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلّ لحيته قالت: ثم بكى فلم يزل

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) السمعاني، **تفسير القرآن**. ج٤: ص٤٣٨.

(٣) الشوكاني، **فتح القدير**. ج١: ص٤٧٠.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٢: ص١٨٤.

يبكي حتى بلّ الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: «**أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)**... الآية كلها[1].

وقال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

والإِبِل في هذه الآية هي الجِمال المعروفة، هذا قول جمهور المتأولين، وقرأ أبو عمر بخلاف وعيسى «الإبلّ» بشد اللام وهي السحاب، وقرأ الجمهور «خُلقَت» بفتح القاف وضم الخاء، وقرأ علي بن أبي طالب «خَلقْت» بفتح الخاء وسكون القاف على فعل التكلم، وكذلك «رفعت» و«نصبت» و«سطحت» وقرأ أبو حيوة «رفّعت» و«نصّبت» و«سطّحت» بالتشديد فيها، و«نصبت» معناه: أثبتت قائمة في الهواء لا تنتطح، وقرأ الجمهور «سطِحت» وقرأ هارون الرشيد «سطّحت» بشد الطاء على المبالغة، وهي قراءة الحسن[2].

قال البيضاوي[3]: «أَفَلا يَنْظُرُونَ» نظر اعتبار، إلى «الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ» خلقاً دالاً على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الأثقال إلى البلاد النائية، فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الأعناق لينوء بالأوقار،

---

(١) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**. باب التوبة. ح (٦٢٠). ج٢: ص٣٨٦. (قال شعيب الارنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم).

(٢) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٥: ص٤٧٥.

(٣) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة، ولد في مدينة البيضاء بفارس قرب شيراز (الايرانية) وولي قضاء شيراز مدة، وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها سنة ٦٨٥هـ، من تصانيفه "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" يعرف بتفسير البيضاوي، و"الغاية القصوى في دراية الفتوى" في فقه الشافعية وغيرها. ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**. ج١٧: ص٢٠٦. والسبكي، **طبقات الشافعية**. ج٨: ص١٥٧-١٥٨. والسيوطي، **بغية الوعاة**. ج٢: ص٥٠-٥١.

ترعى كل نابت وتحتمل العطش إلى عشر فصاعداً ليتأتى لها قطع البوادي والمفاوز، مع مالها من منافع أخرى ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي أشرف المركبات وأكثرها صنعاً، ولأنها أعجب ما عند العرب من هذا النوع. وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة، «وَإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ» بلا عمد، «وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ» فهي راسخة لا تميل، «وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ» بسطت حتى صارت مهاداً، والمعنى أَفَلا يَنْظُرُونَ إلى أنواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق سبحانه وتعالى، فلا ينكروا اقتداره على البعث[1].

المطلب الثاني: في تشريعاته وأحوال الامم الماضية

۞ أولاً: في تشريعاته:

قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ١٧٩].

هذه الآية تبين أن في القصاص حياة، والتنكير في «حياة» للتعظيم بقرينة المقام، أي في القصاص حياة لكم أي لنفوسكم فإن فيه ارتداع الناس عن قتل النفوس، فلو أهمل حكم القصاص لما ارتدع الناس لأن أشد ما تتوقاه نفوس البشر من الحوادث هو الموت، فلو علم القاتل أنه يسلم من الموت لأقدم على القتل مستخفاً بالعقوبات ولو ترك الأمر للأخذ بالثأر كما كان عليه في الجاهلية لأفرطوا في القتل وتسلسل الأمر، فكان في مشروعية القصاص حياة عظيمة من الجانبين، وفي قوله تعالى: «يا أولي الألباب» تنبيه بحرف النداء على التأمل في حكمة القصاص ولذلك جيء في التعريف بطريق الإضافة الدالة على أنهم من أهل العقول الكاملة لأن حكمة القصاص لا يدركها إلا أهل النظر الصحيح إذ هو في بادئ الرأي كأنه عقوبة بمثل الجناية لأن في القصاص رزية ثانية لكنه عند التأمل هو حياة لا رزية للوجهين المتقدمين»[2].

وقال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

---

(١) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**. ج٥: ص٣٠٨.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢: ص١٤٤-١٤٥.

«إن كنتم تعلمون» أي أنكم إذا تدبرتم علمتم ما في الصوم من المعاني المورثة للتقوى وغيرها، وأن الْعَالـِمَ بالله لا بد وأن يكون في قلبه خشية الله على ما قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] فذكر العلم والمراد الخشية، وصاحب الخشية يراعي الاحتياط والاحتياط في فعل الصوم، فكأنه قيل: إن كنتم تعلمون الله حتى تخشونه كان الصوم خيراً لكم[١].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

إن التشريع مترل من عند الله، ولكن القائمين به هم البشر، وينبغي أن يكون البشر واعين لحكمة التشريع، وإلا فلن يطبقوه على تمامه، ولن يطبقوه على وضعه الصحيح، وإن الحياة لا تسير آلياً بحيث تنطبق عليها القاعدة التشريعية انطباقاً آليّاً، وإنما هناك مئات من الحالات للقاعدة الواحدة، وما لم يكن الإنسان فاهماً للحكمة الكامنة وراء التشريع، وفاهماً لترابط التشريعات في مجموعها، فلن يتمكن من تطبيقها في تلك الحالات المختلفة التي تعرض للبشر في حياتهم الواقعية، وقد عني القرآن كما هو ظاهر من آيات التشريع بأن يوقظ العقل البشري لتدبر هذه الآيات، وفهمها، ووعيها، حتى يستطيع تطبيقها على خير وجه، وهناك كثير من آيات التشريع الأخرى في القرآن، لا يرد فيه التوجيه الصريح بالتدبر والتفكير ولكنها محمولة على هذا الأمر العام، الذي يدعو العقل للفهم والتبين، قبل التطبيق والتنفيذ[٢].

فقد يوجه العقل في الإسلام إلى تدبر حكمة التشريع لإحسان تطبيقه، ومن أجل الاجتهاد فيما أذن الله فيه بالاجتهاد، وإعمال العقل لتدبر حكمة التشريع أمر واضح الضرورة وواضح الحكمة، فالتشريع يحتاج إلى إعمال العقل لمعرفة الحكم الذي ينبغي تطبيقه في الحالة المعينة المعروضة للحكم، ولمعرفة الطريقة الصحيحة لتطبيقه، ثم إن هذه الشريعة التي

---

(١) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٥: ص٢٥٠.

(٢) قطب، محمد. **منهج التربية الإسلامية**. ط١٦. دار الشروق. ص٨٧.

نزلت لتواكب حياة البشرية كلها منذ نزولها إلى قيام الساعة، قد روعي فيها أن تواجه الثابت والمتغير في حياة الناس[1].

فالثابت لا ينبغي أن يتغير، لأن تغييره يحدث فساداً في الأرض فقد أتت فيه الشريعة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) بتفصيلات وافية تشمل الأصول والفروع والكليات والجزئيات، وأما المتغير الذي يجد في حياة الناس بحكم التفاعل الدائم بين العقل البشري والكون المادي وما ينشأ عن ذلك من علوم وتطبيقات وتحويرات في أنماط الحياة، والذي أذن الله فيه بالتغيير، لأن ثباته يجمد الحياة ويوقف نموها هذا المتغير لم تتناوله الشريعة بالتفصيل بحكم تغيره الدائم إنما وضعت له الأسس التي ينمو نموا سليما في داخل إطارها، وتركت للعقل المؤمن المهتدي بالهدي الرباني، المتفقه في أمور الدين، أن يستنبط له من الأسس الثابتة ما يناسبه في كل طور من أطواره، لذلك كان الفقه عملا دائم النمو لا يتوقف، ولا يجوز له أن يتوقف، لأنه إذا توقف فليس لذلك من نتيجة إلا أن تجمد الحياة أو تخرج من إطار الشريعة الربانية الحكيمة[2].

۞ ثانياً: في أحوال الأمم الماضية:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١].

وقال تعالى: ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الأنعام: ١١].

قال الزمخشري[3]: «فإن قلت: أي فرق بين قوله «فَانْظُروا» وبين قوله «ثُمَّ انْظُرُوا»

---

(١) ينظر: المؤلف نفسه. **مذاهب فكرية معاصرة**. ط١. دار الشروق، (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م). ص٥٤٤ وما بعدها.

(٢) ينظر: قطب، **مذاهب فكرية**. ص٥٤٥. (بتصرف)

(٣) سبق ترجمته.

قلت: جعل النظر مسبباً عن السير في قوله «فَانْظُروا» فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين، وأما قوله «سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا» فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح»[1].

وفي قوله تعالى: «قد خلت من قبلكم سنن» قال الخازن[2]: «ومعنى الآية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الأمم الماضية الكافرة بإمهالي واستدراجي إياهم حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لإهلاكهم «فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ» أمر ندب لا على سبيل الوجوب بل المقصود تعرف أحوال الماضين بقوله «فَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ» فرغب أمة محمد (ﷺ) في تأمل أحوال الأمم الماضية ليصير ذلك داعياً لهم إلى الإيمان بالله ورسوله والإعراض عن الدنيا ولذاتها، وفيه أيضاً زجر للكافر عن كفره لأنه إذا تأمل أحوال الكفار وإهلاكهم صار ذلك داعياً إلى الإيمان لأن النظر إلى آثار المتقدمين له أثر في النفس»[3].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

---

(١) الزمخشري، **الكشاف**. ج٢: ص٨.

(٢) هو علي بن محمد بن إبراهيم علاء الدين المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. بغدادي الأصل، ولد ببغداد سنة ٦٧٨هـ، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية فيها. وتوفي بحلب سنة ٧٤١هـ، له تصانيف منها: "لباب التأويل في معاني التتريل" في التفسير، يعرف بتفسير الخازن، و"عدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام" في فروع الشافعية وغيرها. ينظر: ابن حجر، **الدرر الكامنة**. ج٤: ص١١٥-١١٦. وسركيس، يوسف بن إليان بن موسى (ت١٣٥١هـ). **معجم المطبوعات العربية والمعربة**. مصر: مطبعة سركيس، (١٣٤٦هـ=١٩٢٨م). ج٢: ص٨٠٩.

(٣) الخازن، **لباب التأويل**. ج١: ص٣٠٠.

يقول تعالى مخبراً عن المشركين المكذبين المعاندين إنهم مهما أتتهم مِنْ دلالة ومعجزة وحجة، من الدلالات على وحدانية الرب، عَزَّ وجل، وصدق رسله الكرام، فإنهم يعرضون عنها، فلا ينظرون فيها ولا يبالون بها، قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ٥]، ثم قال تعالى واعظاً ومحذراً لهم أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حل بأشباههم ونظرائهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة، وأكثر جمعاً، وأكثر أموالاً وأولاداً واستغلالاً للأرض وعمارة لها، فقال ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ فلمَّا منعهم من الإعراض والتَّكْذيب، والاستِهْزاءِ بالتهديد والوعيد، أَتْبَعَهُ بما يجري المَوْعِظَةِ، فوعظهم بالاعْتِبَار بالقُرُون الماضية، أي فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فما أنتم بأعز على الله منهم، والرسول الذي كذبتموه أكرم على الله من رسولهم، فأنتم أولى بالعذاب ومعاجلة العقوبة منهم، لولا لطفه وإحسانه[1].



(١) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٣: ص٢٤٠- ٢٤١. وابن عادل، **اللباب**. ج٨: ص٢٨.

المبحث الرابع
حفظ العقل

إن من مظاهر تكريم الإسلام للعقل، هو حفظه من كل آفة مضرة به والمحافظة عليه، أنه نهى عن كل ما يؤثر في سيره أو يغطيه فضلاً عما يزيله، أي أن الإسلام أصبح حاجزاً بين العقل وبين المفسدات التي تفسده.

قال الشاطبي[1]: «فقد اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، وهي: (الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل)، التي هي أسس العمران المرعية في كل ملة، والتي لولاها لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، ولفاتت النجاة في الآخرة، وعلمها عند الأمة كالضروري»[2].

ومفسدات العقل نوعان: إحداهما: معنوية، وهي التصورات والأفكار المنحرفة الفاسدة التي تطرأ على العقول بسبب الجهل أو التضليل الفكري أو خوضها فيما لا تدركه مما استأثر الله بعلمه ولا مصلحة للناس في التفكير فيه، كالبحث في الغيب، والبحث في ذات الله تعالى والذي لا يستطيع العقل إدراكه، والثاني: حسية، فهو كل ما يذهب العقل وكل ما يفتر العقل كالخمور والمخدرات والإصابات التي تسببها الاعتداءات الجنائية أو الحوادث المرورية أو الأخطاء الطبية أو الحروب وغيرها.

المطلب الأول: المفسدات المعنوية

وهي ما يطرأ على العقول من تصورات فاسدة في الدين، أو الاجتماع أو السياسة أو غيرها من أنشطة الحياة فهذه مفسدة للعقول من حيث كون الإنسان قد عَطّل عقله عن التفكير السليم، الذي يوافق الشرع، فَعَقْلُهُ من هذه الحيثية كأنه فاسد لا يفكر بل كأنه معدوم بالمرة[3].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ينظر: الشاطبي، **الموافقات**. المقدمة، ص٥ و ج١: ص٣١. (بتصرف). وينظر: الزرقا، **المدخل الفقهي العام**. ج٢: ص٦٧٧.

(٣) اليوبي، محمد سعد بن أحمد بن مسعود. **مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية**. ط١. الرياض: دار الهجرة، (١٤١٨هـ=١٩٩٨م). ص٢٤٣.

قال تعالى: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

قال النيسابوري[(١)]: «أي ما هم إلا كالأنعام، جعلهم كالأنعام؛ لأنهم لم يدركوا طريق الحق، ولم ينتفعوا بما ميزهم الله به عن البهائم من عقولهم وأسماعهم وأبصارهم، وقوله: ﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي: أخطأ طريقاً، وجعل الكفار أضل من الأنعام؛ لأن الأنعام تسجد وتسبح لله تعالى، والكفار لا يسجدون ولا يسبحون؛ ولأن البهائم لم يعرفوا، ولم يكونوا أعطوا آلة المعرفة، وأما الكفار لم يعرفوا وقد أعطوا آلة المعرفة، فهم أضل ولأن البهائم لم تفسد ما لها من المعارف؛ فإن الله تعالى أعطاها قدراً من المعارف وهم يستعملونها، وأما الكفار فقد أفسدوا ما لهم من المعارف، فهم أضل وأقل من البهائم»[(٢)].

وقال الزمخشري[(٣)]: «فإن قلت: ما معنى ذكر الأكثر؟ قلت: كان فيهم من لم يصدّه عن الإسلام إلا داء واحد وهو حب الرياسة، وكفى به داء عضالاً، فإن قلت كيف جعلوا أضل من الإنعام؟ قلت: لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوّهم، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشدّ المضارّ والمهالك، ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهنيّ والعذب الروى»[(٤)].

لذلك يحرم على المسلم أن يتبع الظنون والأوهام، معطلاً الأدوات التي وهبه الله إياها لتحصيل المعرفة الصحيحة، وهي السمع والبصر والفؤاد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، بل إن

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) النيسابوري، **تفسير القرآن**. ج٤: ص٢٢.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) الزمخشري، **الكشاف**. ج٣: ص٢٨٢.

تعطيل السمع والبصر والفؤاد يترل بالإنسان من أُفق الإنسانية العاقلة إلى حضيض البهيمية الغافلة، بل يجعل الإنسان أضل سبيلا من الإنعام[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

أي لهم قلوب لا يفقهون بها إذ لا يلقوها إلى معرفة الحق والنظر في دلائله، ولهم أعين لا يبصرون بها أي لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر اعتبار، ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر، أولئك كالأنعام في عدم الفقه والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر[2].

فالعقل إن لم يجعل مطية للوصول إلى فهم كلام الله وكلام رسوله والتدبر في خلق الله وبديع صنعته فإن وجوده كعدمه، فيجب تسخير العقل في الوصول إلى الحق والمحافظة عليه من كل دخيل أو مذهب هدام أو نحلة باطلة تُغيّر مفهوماته الشرعية[3].

ومن معطلات العقل وعدم الاستفادة منه التطير والتشاؤم والاعتقادات الجاهلية، لذا حث النبي على تنقية العقل من الخرافة والوهم وادعاء علم الغيب، كي لا تسيطر على العقل الخرافات والأوهام التي يهذي بها أهل الشعوذة والدجل والسحر والكهانة والعرافة والطيرة، ولكي لا يتصور أحد من الناس أن أحداً من البشر قادر على أن يعلم الغيب، فالله سبحانه هو الذي استأثر بعلمه، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

---

(١) ينظر: القرضاوي، **الحياة الربانية والعلم**. ص٧٢-٧٣.

(٢) ينظر: البيضاوي، **أنوار التتريل**. ج٣: ص٤٣.

(٣) ينظر: اليوبي، محمد سعد. **مقاصد الشريعة الإسلامية**. ص٢٤٤.

وعن أنس (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ): «**لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ**»[1].

وفي رواية أخرى لأبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ**»[2].

ومعنى «لا عدوى» مؤثرة بذاها وطبعها وإنما التأثير بتقدير الله عز وجل والعدوى سراية المرض من المصاب إلى غيره، وقيل هو خبر بمعنى النهي أي لا يتسبب أحد بعدوى غيره، «لا طيرة» هو نهي عن التطير وهو التشاؤم، «هامة» هي الرأس واسم لطائر يطير بالليل كانوا يتشاءمون به، وقيل كانوا يزعمون أن روح القتيل إذا لم يؤخذ بثأره صارت طائراً يقول اسقوني اسقوني حتى يثأر له فيطير، «صفر» هو الشهر المعروف كانوا يتشاءمون بدخوله فنهى الإسلام عن ذلك، «المجذوم» المصاب بالجذام وهو مرض تتناثر فيه الأعضاء[3].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**مَنْ أَتَى عَرَّافاً أو كاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**»[4].

والكهانة هي ادعاء علم الغيب كالأخبار بما سيقع في الارض مع الاستناد إلى سبب والاصل فيه استراق الجنى السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن والكاهن لفظ يطلق على العراف والذي يضرب بالحصى والمنجم ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه، والعرب تسمي كل من أذن بشيء قبل وقوعه كاهنا وقال الخطابي الكهنة

---

(١) **متفق عليه**. البخاري، **صحيح البخاري**. باب الفأل. ح (٥٤٢٤). ج٥: ص٢١٧١. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب السلام. باب الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم. ح (٢٢٢٤) ص٩١٤.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**. باب الجذام. ح (٥٣٨٠). ج٥: ص٢١٥٨.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**. شرح وتعليق مصطفى ديب البغا. ح (٥٣٨٠). ج٥: ص٢١٥٨.

(٤) الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري. **المستدرك على الصحيحين**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١١هـ=١٩٩٠م). كتاب الإيمان. ح (١٥). ج١: ص٤٩. (قال الذهبي: صحيح على شرطهما).

قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الامور ومساعدهم بكل ما تصل قدرهم إليه[1].

وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب لانقطاع النبوة فيهم وهي على أصناف أحدها: ما يتلقونه من الجن، ثانيها: ما يخبر الجني به من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد، ثالثها: ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه، رابعها: ما يستند إلى التجربة والعادة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر وقد يعتضد بعضهم من ذلك بالزجر والطرق والنجوم وكل ذلك مذموم شرعاً[2].

والفرق بين العرافة والكهانة مع أنهما يشتركان في دعوى الاطلاع على الغيب أن العرافة مختصة بالأمور الماضية، والكهانة مختصة بالأمور المستقبلة[3].

ومن الأمور التي تفسد العقل أيضاً السحر، فمن شأنه أنه يفسد العقل، ويضر المجتمع، ويقطع الأرحام، ويسفك الدماء، فهو من المهلكات التي حرمها الإسلام ونهى عنه بحزم ورتب على آثاره العقوبات والحدود، لذلك عدّه النبي (ﷺ) من الموبقات.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالوا يا رسول اللّه وَمَا هُنَّ قَالَ «الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ**»[4].

والمراد بالموبقة: «الكبيرة المهلكة، وسميت بذلك لأنها سبب لأهلاك مرتكبها»[5].

---

(١) ينظر: ابن حجر. **فتح الباري**. ج٣: ص٣٦٢ وما بعدها.

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**، ج٣: ص٣٦٣.

(٣) ينظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**. ج٤: ص٤٩. والمناوي، **فيض القدير**. ج٣: ص٥٦.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) ابن حجر. **فتح الباري**. ج١٢: ص١٨٢.

وعلوم الشر كثيرة، التي تفسد العقل وتعطّله عن واجبه، مما جعل الشريعة تنبه على خطورها وقبحها حافظاً على الإنسان وعلى أهم آلة فيه وهو العقل، «وأن منها أي من هذه العلوم الشريرة «ما هو كفر بواح، ومنها ما يؤدي إلى الكفر، وأقل درجاها التحريم الشديد»[1].

المطلب الثاني: المفسدات الحسية

«وهي التي تؤدي إلى الإخلال بالعقل، بحيث يصبح الإنسان كالمجنون الذي لا يعرف صديقاً من عدو ولا خيراً من شر، فيختل كلامه المنظوم، ويذيع سره المكتوم وهذه المفسدات هي الخمور والمخدرات وما شاهها»[2].

ومن ذلك تناول المسكرات ويشملها جميعاً اسم الخمر «والخمر محرم بالكتاب والسنة والإجماع»[3].

أما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ**﴾ [المائدة: ٩٠].

وأما السنة فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**»[4].

وأما الاجماع فقال ابن قدامة[5]: «تحريم الخمر بأخبار تبلغ بمجموعها رتبة التواتر

---

(١) ينظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**. ج٤: ص٤٩.

(٢) اليوبي، محمد سعد. **مقاصد الشريعة الإسلامية**. ص٢٣٧.

(٣) ابن قدامة، **المغني**. ج١٠: ص٣٢١.

(٤) مسلم، **صحيح مسلم**. باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام. ح (٢٠٠٣). ص٨٣١.

(٥) هو عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقيّ الحنبلي، أبو محمد، موفق الدين، فقيه، من أكابر الحنابلة، وكان إماماً من أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الدّين في العلم والعمل، وصنّف كتباً حساناً في الفقه وغيره منها: "المغني" في الفقه، و"روضة الناظر" في أصول الفقه، و"فضائل الصحابة" وغير ذلك، ولد في جماعيل (من قرى نابلس بفلسطين) سنة ٥٤١هـ، وتعلم في دمشق، ورحل إلى بغداد سنة ٥٦١ هـ فأقام نحو أربع سنين، وعاد إلى دمشق،=

وأجمعت الأمة على تحريمه وانعقد الاجماع، فمن استحلها الآن فقد كذّب النبي ﷺ لأنه قد علم ضرورة من جهة النقل تحريمه فيكفر بذلك ويستتاب فإن تاب وإلا قتل»[١].

و«يجب الحد على من شرب قليلاً من المسكر أو كثيراً، ومن شرب مسكراً قل أو كثر جلد ثمانين جلدة إذا شربها وهو مختار لشربها وهو يعلم أن كثيرها يسكر»[٢].

وقال الصنعاني[٣]: «ذهب إلى تحريم القليل والكثير مما أسكر جنسه الجمهور من الصحابة وغيرهم وأحمد وإسحاق والشافعي ومالك والهادوية جميعاً»[٤].

فالخمر كله قليله وكثيره محرم، والخمر أم الخبائث، وهو من الكبائر الموجبة للعقاب في الدنيا والآخرة الخمر، وتحريمه هو تحريم حفظٍ وصيانة لا تحريم عقوبة وحرمان، ولَمَّا كانت الخمر تغطي عقل شاربها، فيتصرف تصرفات تضر البدن والروح، والمال والولد، والعرض والشرف، والفرد والمجتمع ونحو ذلك من المفاسد المترتبة على زوال العقل، ولِمَا تسببه من الأمراض، ولِمَا تسببه من العداوة والبغضاء، والصد عن ذكر الله والصلاة، وتعطيل العمل وانتهاك الحرمات والمحرمات، ولِمَا في تناولها من الجناية على العقل الذي شرَّف الله به الإنسان على غيره، ولِمَا فيها من الخبث والضرر على القلب والعقل والدماغ والكبد، فلهذه الأسباب وغيرها حرم الله الخمر من كل وجه تناولاً، أو تجارة فيها، أو زراعة لها، صيانة للعقول من الفساد، وحفظاً للأموال والأعراض والنفوس والأخلاق من التلف والهلاك[٥].

=وتوفي فيها سنة ٦٢٠هـ. ينظر: صلاح الدين، فوات الوفيات. ج٢: ص١٥٨-١٥٩. وابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحنبلي (ت٧٩٥هـ). ذيل طبقات الحنابلة. تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. ط١. الرياض: مكتبة العبيكان، (١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م). ج٣: ص٢٨١ وما بعدها. وابن العماد العكبري، شذرات الذهب. ج٧: ص١٥٥وما بعدها.

(١) ابن قدامة، **المغني**. ج١٠: ص٣٢١. (بتصرف)

(٢) **المصدر نفسه**، ج١٠. ص٣٢٣.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) الصنعاني، **سبل السلام**. ج٢: ص٤٤٨.

(٥) يراجع مطلب (الحكمة من تحريم الخبائث). ص١٨١.

وإضافة إلى ذلك فإن كل اعتداء على العقل في الإسلام مرفوض ومنهي عنه، ومن ذلك التسبب في إزالة العقل كلياً، حيث وضعت له الشريعة الدية الكاملة، قال ابن قدامة «لا نعلم في هذا خلافاً، ولأنه أكبر المعاني قدراً، وأعظم الحواس نفعاً، فإن به يتميز من البهيمة، ويعرف به حقائق المعلومات»[١].



(١) ابن قدامة، **المغني**. ج٨: ص٤٦٥. (بتصرف)

الفصل الثاني
مسؤوليات العقل في الإسلام

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: المسؤولية الدينية**

المطلب الأول: التعبد بالنظر العقلي

المطلب الثاني: استنباط الأحكام الشرعية

- **المبحث الثاني: المسؤولية الابداعية**

المطلب الأول: تعلم العلوم النافعة

المطلب الثاني: توظيف العلوم

- **المبحث الثالث: المسؤولية المدنية**

المطلب الأول: في القضاء

المطلب الثاني: في الحسبة

- **المبحث الرابع: محظورات العقل**

المطلب الأول: التفكر في ذات الله

المطلب الثاني: التشريع من دون الله

المبحث الأول

المسؤولية الدينية

المطلب الأول: التعبد بالنظر العقلي

إن دور العقل في البناء المعرفي للإنسان لا يتعدى أن يكون دور الباحث عن الحقيقة، والمتبع للدليل، والهدى والنور المبين، وفق الفهم السليم والبعيد عن الغلو والتطرف والتبعية، والانحياز لفكرة خاطئة، أو دليل ضعيف، أو منهج ضال، أو نهج غير سوي، ولا بد للعقل المسلم أن يتعبد الله تعالى بالنظر العقلي(١) الذي دعا إليه القرآن الكريم في مواضع عدة. قال تعالى: ﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ** ﴾ [محمد: ١٩].

أي: فاثبت على ما أنت عليه من التوحيد ومن هضم النفس باستغفار ذنبك أو ذنوب أمتك. أو المراد فاعلم خبراً يقيناً على ما علمته نظراً واستدلالاً، أو أراد فاذكر لا إله إلا الله، والهاء في أَنَّهُ لله أو للأمر والشأن فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنه، أو الأول إشارة إلى أصول الحكمة النظرية، والثاني إلى أصول الحكمة العملية، أمره بالحكمة العملية بعد الحكمة النظرية، قال السيوطي: وقد استدل بالآية من قال بوجوب النظر، وإبطال التقليد في العقائد، ومن قال بأن أول الواجبات المعرفة قبل الإقرار، وعلى أساس العلم بهذه الحقيقة واستحضارها في الضمير تبدأ التوجيهات الأخرى(٢).

ومن الضوابط القرآنية للعقلية العلمية أنه لا بد للعقل أن لا يقبل دعوى بغير برهان، وهذه حقيقة أكد عليها القرآن حتى يكون عمل العقل وفق دليل يستند عليه، وهذا مما زخرت به الآيات أيضاً.

---

(١) والمراد بالنظر العقلي: هو الذي يستخدم الإنسان فيه فكره في التأمل والاعتبار، بخلاف النظر البصري الذي يستخدم فيه الإنسان عينه. ينظر: القرضاوي، **العقل والعلم في القرآن**. ص٢٥٨.

(٢) ينظر: الماوردي: **النكت والعيون**. ج٥: ص٣٠٠. والنيسابوري، **غرائب القرآن**. ج٦: ص١٣٥. والقاسمي، **محاسن التأويل**. ج٨: ص٤٧٢. وقطب، **في ظلال القرآن**. ج٦: ٣٢٩٥.

قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِىۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل: ٦٤].

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: ٣].

أي إنَّ في عجائب صنع الله لدلالات وعلامات باهرة على قدرته ووحدانيته لمن تأمل وتفكَّر، وخُصَّ «المتفكرون» بالذكر لأنَّ ما احتوتْ عليه هذه الآيات من الصنيع العجيب لا يُدرك إلا بالتفكر، فيستدلون بالصنعة على الصانع، وبالسبب على المسبب، والفكر هو تصرف القلب في طلب الأشياء، وقال صاحب المفردات: «الْفِكْرَةُ: قوّة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتَّفَكُّرُ: جولان تلك القوّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب»، فيتفكرون فيها وينظرون فيها نظر اعتبار دالة على أن الذي خلقها ودبرها وصرفها هو الله الذي لا إله إلا هو، ولا معبود سواه، وأنه عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، وأنه القادر على كل شيء، الحكيم في كل شيء المحمود على ما خلقه وأمر به تبارك وتعالى[١].

فمن المقومات العقلية التي ينشئها القرآن أنها عقلية تقوم على النظر والتفكر، فالنظر عندها فريضة، والتفكر لديها عبادة[٢].

قال الراغب[٣]: «النظر: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الروية، يقال: نظرت فلم

---

(١) ينظر: الراغب، **المفردات**. ص٦٤٣. والخازن، **لباب التأويل**. ج٣: ص٥. والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٤١٢. والصابوني، **صفوة التفاسير**. ج٢: ص٦٩.

(٢) ينظر: القرضاوي، **العقل والعلم في القرآن**. ص٢٥٨.

(٣) سبق ترجمته.

تنظر، أي: لم تتأمل و لم تترو، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ ﴾ [يونس: ١٠١]. أي: تأملوا. واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة»[١].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]. ذكر محمد رشيد رضا[٢] في تفسيره «المنار» مبحثاً عن «تحقيق معنى الفكر والتفكر والنظر العقلي» وخلص إلى القول بأن: «استعمال القرآن يدل على أن النظر العقلي مبدأ من مبادئ الفكر والتفكير، كما أن مبتدأه هو النظر الحسي في الغالب كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧]، وقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [ق: ٦]، ومنه النظر في عاقبة الأمم برؤية آثارها في عدة آيات، فهذه الآية جمعت بين المبدأ الحسي، وهو ملكوت السماوات والأرض، والمبدأ الفكري وهو اقتراب الأجل، وهما وما في معناهما يدلان على بناء الدين الإسلامي على قاعدتي: النظر العقلي، والتفكر، اللذين يمتاز بهما الأفراد والأمم بعضها على بعض[٣].

لذلك وجّه القرآن الكريم الإنسان إلى النظر في مخلوقات الله جميعاً ابتداء من نفسه

---

(١) الراغب، **المفردات**. ص٨١٢.

(٢) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد سنة ١٢٨٢هـ ونشأ في القلمون "من أعمال طرابلس الشام" وتعلم فيها وفي طرابلس. وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، له عدة مؤلفات أشهرها مجلة "المنار" أصدر منها ٣٤ مجلداً، و"تفسير القرآن الكريم" اثنا عشر مجلدا منه، ولم يكمله. توفي في القاهرة سنة ١٣٥٤هـ. ينظر: سركيس، **معجم المطبوعات**. ج٢: ص٩٣٤. والزركلي، **الأعلام**. ج٦: ص١٢٦.

(٣) ينظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**. ج٩: ص٣٨٤-٣٨٦.

ثم إلى المخلوقات القريبة المحيطة به، قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]. وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عبس: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

والحكمة من ذلك النظر هي الاعتبار في مخلوقات الله تعالى لاستشعار عظمة الخالق، ومعرفته حق المعرفة عن علم وروية، وبالتالي الانقياد والتسليم والخضوع لله تعالى وحده لا شريك له والكفر بما سواه، لأن العبودية الخالصة الكاملة لله تعالى لا تتحقق إلا بالتكامل والتلازم بين العلم والعمل، فالعقل في رأي الإسلام دليل الإنسان وقائده في عقيدته وعبادته وسلوكه وعلاقاته ومواقفه وهو عنوان حياته، لأنه هو الأداة الكاشفة عن الحقيقة، لذلك حمّله الإسلام مسؤوليات ضخمة لما أعطاه الله من صلاحيّة وقدرة على إدراك الوجود وفهم معناه، فقد جعله هو المسؤول وهو المحاسب وهو الجهة التي يخاطبها الدين في كل تكليف ومسؤولية.

المطلب الثاني: استنباط الأحكام الشرعية

إن الإنسان عندما يؤمن بالله تعالى وبشريعته وجب عليه إطاعته سبحانه بحكم العقل الذي ساقه إلى الإيمان، وذلك بتطبيق أحكام هذه الشريعة، والشريعة قد وضعت أحكاما لكل أفعال الإنسان على نحو جلب المصالح له ودرء المفاسد عنه، ولذلك لا يمكن افتراض خلوّ واقعةٍ أو فعلٍ من أفعال الإنسان عن حُكْم من قِبَل الشارع، إما بنحو النص وإما بالقواعد العامّة المنطبقة على مواردها، اقتضاءً أو تخييراً.

وحيث إن هذه الأحكام لم تكن كلّها واضحةً بالنسبة إليه وضوحاً بديهياً، للبُعْد عن عصر النصوص من جهة، ولكثرة الدسّ والاختلاف من جهة أخرى، كان لا بد من اتّباع طريق لرَفْع الغموض عن الموقف العملي للإنسان، وهو [علم الفقه] الذي يحدّد الوظيفة

العملية للمكلف بالدليل، وذلك باستنباط الحكم الشرعي من النص [الكتاب والسنة]، أو بالاجتهاد فيما لا نص فيه، لذا فإن دور العقل يكمن في كيفية فهم النصوص الشرعية ودلالتها أو الاجتهاد تحت القواعد والأصول الشرعية في المستجدات التي لا نص فيها.

وهناك قواعد عامّة يحتاجها الفقيه في علم الفقه، تساعده في عمليات الاستنباط بشكل أساسي، ولا بد من دراستها في علم الأصول، مثل حجيّة خبر الواحد، والإجماع، والدليل القطعي والظني، وحجيّة الدليل العقلي، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والصريح والكناية، والحقيقة والمجاز، ومقدار الحجية في كل من هذه الأدلة وموارد تطبيقها، والتعارض فيما بينها وغيرها[1]، وبدون معرفة هذه القواعد لا يمكن التوصّل بواسطة النصوص إلى نفس الحكم الشرعي، ولا إلى نفس الوظيفة العملية، لأن علم الأصول بالنسبة لعلم الفقه كعلم المنطق بالنسبة لسائر العلوم، حيث يستخدم لتنظيم عملية التفكير في استنباط الأحكام.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

ورد في سبب نزول هذه الآية رواية عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال لما اعتزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نساءه قال: دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله نساءه، وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب، قال عمر: فقلت لأعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث، وفيه بعد استئذانه على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقلت: أطلقتهن يا رسول الله، قال: «لا» قلت: يا رسول الله إني دخلت المسجد والناس ينكتون بالحصى يقولون طلق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نساءه، فأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن، قال: «نعم إن شئت». فذكر الحديث وفيه فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله نساءه، ونزلت الآية وكنت أنا استنبطت ذلك وأنزل الله آية التخيير[2]. ومعنى (يَسْتَنْبِطُونَهُ) في اللغة

---

(١) ينظر: زيدان، **الوجيز في أصول الفقه**. ص٢٧٧ وما بعدها.

(٢) الوادعي، مقبل بن هادي الهمداني (ت١٤٢٢هـ). **الصحيح المسند من أسباب النزول**. ط٤.=

يستخرجونه، وأصله من النبط وهو الماء الذي يخرج من البئر في أول ما يحفر[1].

والاستنباط عند المفسرين هو استخراج العلم، يقال استنبط الفقيه إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه، ويستنبطونه أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة، وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولّى مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ، وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة فيُقْدِم عليه الإنسان أم لا فيحجم عنه[2].

فأولى مهمات العقل في هذا الجانب هي الفهم عن الله وعن رسوله (ﷺ): والمراد بالفهم عن الله ورسوله أي العلم والمعرفة بمعاني كلام الله وكلام رسوله ﷺ. قال تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٧٨].

قال ابن القيم[3]: «فذم من لم يفقه كلامه، والفقه أخص من الفهم وهو فهم مراد المتكلم من كلامه وهذا قدر زائد على مجرد وضع اللفظ في اللغة وبحسب تفاوت مراتب الناس في هذا تتفاوت مراتبهم في الفقه والعلم»[4].

والمقصود بمراتب الفهم درجاته، فإن الناس يختلفون في الفهم، فبعضهم أعلى درجة في الفهم من الآخر، فقد يفهم العالم من النص القرآني أو الحديث النبوي معنى لا يفمه

=القاهرة: مكتبة ابن تيمية، (١٤٠٨هـ=١٩٨٧م). ص٧٢. والحديث رواه بنصه ابن حبان، **صحيح ابن حبان**. باب معاشر الزوجين. ح (٤١٨٨). ج٩: ص٤٩٦. (إسناده حسن على شرط مسلم).

(١) الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق (ت ٣١١هـ). **معاني القرآن وإعرابه**. تحقيق عبد الجليل عبده شلبي. ط١. بيروت: عالم الكتب، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م). ج٢: ص٨٣.

(٢) ينظر: السمعاني، **تفسير القرآن**. ج١: ص٤٥٣. والفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١٠: ص١٥٣. والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص١٩٠.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) ابن القيم، **اعلام الموقعين**. ج١: ص١٦٧.

عالم آخر، وقد يقصر فهم أكثر الناس عن فهم ما دلت عليه النصوص، وعن وجه الدلالة وموقعها، وتفاوت الأمة في مراتب الفهم عن الله ورسوله لا يحصيه إلا الله، ولو كانت الأفهام متساوية لتساوت أقدام العلماء في العلم ولما خص سبحانه سليمان بفهم الحكومة في الحرث، وقد أثنى عليه وعلى داود بالعلم والحكم، وقد قال عمر لأبي موسى في كتابه إليه: «الفهم الفهم فيما أدلي إليك» وقال علي: «إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه»[1].

وثاني مهمات العقل هي: الاجتهاد في الأحكام الشرعية فيما لا نص فيه حسب القواعد والضوابط الشرعية.

قال ابن قدامة[2]: الاجتهاد في عرف الفقهاء مخصوص ببذل الجهد في العلم بأحكام الشرع، والاجتهاد التام أن يبذل الوسع في الطلب إلى أن يحس من نفسه بالعجز عن مزيد طلب، وشرط المجتهد إحاطته بمدارك الأحكام المثمرة لها وهي الكتاب والسنة والإجماع واستصحاب الحال والقياس التابع لها وما يعتبر في الحكم في الجملة وتقديم ما يجب تقديمه منها، فأما العدالة فليست شرطاً في كونه مجتهداً بل متى كان عالما بما ذكرناه فله أن يأخذ باجتهاد نفسه لكنها شرط لجواز الاعتماد على قوله فمن ليس عدلاً لا تقبل فتياه[3].

وقد أقر النبي (ﷺ) معاذاً (رضي الله عنه) على اجتهاد رأيه فيما لم يجد فيه نصاً عن الله ورسوله فقال شعبة حدثني أبو عون عن الحارث بن عمرو عن أناس من أصحاب معاذ عن معاذ أن رسول الله (ﷺ) لما بعثه إلى اليمن قال: «**كَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ**» قَالَ أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ: «**فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ**» قَالَ فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**» قَالَ أَجْتَهِدُ رَأْيِي لا آلُو قَالَ فَضَرَبَ

---

(١) **المصدر نفسه.** ج١: ص٢٥٠.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) ينظر: ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد. **روضة الناظر وجنة المناظر.** تحقيق عبد العزيز عبد الرحمن السعيد. ط٢. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، (١٣٩٩هـ). ص٣٥٢.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدْرِي ثُمَّ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ**»[1].

واختلف العلماء في معنى قول معاذ (رضي الله عنه) «أجتهد رأيي» فقال بعضهم: «والمراد بالرأي القياس، فحيث لا يوجد دليل من كتاب ولا سنة فإنه يجتهد في إلحاق النظير بالنظير، يعني: بالقياس أو بلفظ عام، أو قاعدة عامة من قواعد الشريعة، أي يجتهد بالرأي بأن يقيس، أو ضمن عموم من عمومات الكتاب والسنة التي يندرج تحتها ذلك الشيء أو تلك النازلة أو تلك الواقعة التي حصلت فيها الخصومة، وليس المقصود من ذلك أنه يعمل بالرأي المجرد دون أن يكون هناك سعي واجتهاد ووصول إلى الحكم بشيء بني عليه الاجتهاد إما قياس أو غير ذلك[2].

وقال آخرون: فقد أقر النبي (ﷺ) معاذاً على اجتهاد رأيه فيما لم يجد فيه نصاً عن الله ورسوله، أي أجاز له الاجتهاد فيما لا نص فيه[3].

ويُعلم من ذلك إن الاجتهاد من أهم الوسائل التي يتمكن بها الوصول إلى الأحكام الشرعية فيما لا نص فيه، فكان لابد من وجود فئة متخصصة تتولى مهمة النظر في القضايا المستجدة وبيان الأحكام الشرعية المناسبة فيها.

وخلاصة القول هي أن مجال العقل في الاجتهاد يكون في المواضع التي فيها نص لكنه

---

(١) أبو داود، **سنن أبي داود**. باب اجتهاد الرأي. ح (٣٥٩٢). ص٦٤٤. وأحمد، **المسند**. ح (٢٢٠٦٠). ج٥: ص٢٣٠. (قال شعيب الارناؤوط إسناده ضعيف لإبهام أصحاب معاذ).

(٢) السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي (ت٧٥٦هـ). **الإبهاج في شرح المنهاج**. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٦هـ=١٩٩٥م). ج٥: ص١٨. والعباد، عبد المحسن. **شرح سنن أبي داود**. الشبكة الإسلامية. ص٤٠٧.

(٣) الجصاص، أحمد بن علي الرازي (ت٣٧٠ه)، **الفصول في الأصول**. تحقيق عجيل جاسم النشمي. ط١. الكويت: وزارة الأوقاف والشئون، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م). ج٥: ص٣٨. وابن القيم، **إعلام الموقعين**. ج١: ١٥٤-١٥٥.

غير قطعي (وروداً أو دلالةً)، أو ما ليس فيها نص أصلاً، إذ لا مسوغ للاجتهاد في مورد النص اذا كان قطعي الورود والدلالة، ولا يجري الاجتهاد في القطعيات وفيما يجب فيه الاعتقاد الجازم من أصول الدين، إنما يكون واجب العقل فيه فهمه طبقاً لقواعد اللغة العربية، دون زيادة أو نقصان.



المبحث الثاني

المسؤولية الابداعية

المطلب الأول: تعلم العلوم النافعة

العلم هو إدراك الشيء بحقيقته؛ وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه(١).

إنَّ سلف هذه الأمة قد اهتموا بالعلوم الشرعية وما يتفرع عنها، وفي الوقت نفسه اعتنوا بعلوم ومعارف أخرى كعلم الطب والجراحة وعلم الرياضيات وعلوم الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من العلوم التي كان لها دور كبير في بلوغ الحضارة الإسلامية مرحلة ازدهارها، حيث بدأت الانطلاقة الحضارية للأمة الإسلامية من قول الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-٥].

فتلك هي بداية الإسلام وشهادة تاريخ ميلاده، في أول سورة نزل بها جبريل (عليه السلام) على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو يتحنث في غار حراء في شهر رمضان، وفيها دعوة إلى قراءة ما يوحي إليه، باسم ربه الذي له الخلق والفضل في تعليمه ما لم يكن يعلمه من القراءة، ليكون ذلك أثبت لمعجزته وأقوى لحجته، ولا يخفى على أحد ما لهذه الدعوة من أثر عظيم في نشأة الحضارة وتقدمها، فالقراءة هي سبيل الإنسان إلى المعرفة، ولولاها لما تمكّن من امتلاك أسرار العلم والمعرفة وإزاحة تلك الحجب التي حالت طويلاً دون اكتشاف نواميس الكون وسنن الوجود(٢).

---

(١) الراغب، **المفردات في غريب القرآن**. مادة (علم)، ص٣٤٣.

(٢) ينظر: جابر، قاسم حبيب. **الإسلام بين البداوة والحضارة**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م). ص٣٩٤ وما بعدها.

ونظراً لأهمية العلم والمكانة العظيمة التي تشغله في الإسلام، جعل الإسلام تعلمه من الواجبات التي تقع على عاتق الإنسان المسلم، حيث هناك العديد من الآيات والأحاديث التي جاءت بصيغة تدل على الأمر، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ففي قوله تعالى: «﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ لولا هنا تحضيضية، وهي مع الماضي تفيد التوبيخ على ترك الفعل، ومع المضارع تفيد طلبه والأمر به، لكن اللوم على الترك فيما يمكن تلافيه قد يفيد الأمر به في المستقبل، أي فهلا نفر ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ أي جماعة كثيرة ﴿مِّنْهُمْ﴾ كأهل بلدة أو قبيلة عظيمة، ﴿طَآئِفَةٌ﴾ أي جماعة قليلة، ليتفقهوا في الدين أي ليتكلفوا الفقاهة فيه، فصيغة التفعل للتكلف، لينذروا قومهم أي عما ينذرون منه، وضمير يتفقهوا وينذروا عائد إلى الفرقة الباقية، أي فلولا نفر من كل فرقة طائفة، وأقام طائفة ليتفقهوا»[١].

فدلالة هذه الآية واضحة كما ذهب إليه المفسرون، فهي تشير على أنه لا يمكن للأمة النهوض ومواجهة الأعداء إذا لم تكن هناك طائفة متخصصة في كل جانب من جوانب الحياة، فكما هناك طائفة متمرسة لقتال الأعداء ومهيأة للجهاد في سبيل الله، يجب أن تكون هناك طائفة أخرى مسلحة بالعلم، وهنا تبرز أهمية العلم في حياة الأمة، وكيف أنها عنصر من عناصر نهضتها، وعامل أساسي لبناء الحضارة.

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»[٢].

---

(١) الآلوسي، **روح المعاني**. ج١١، ص٤٨.

(٢) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**. باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. ح (٢٢٤).ج١: ص٨١. (صحيح)

وَيُقَسِّم الإمام الغزالي: العلوم المفروضة إلى قسمين حيث يقول «وأن الفرض ينقسم إلى شرعية وغير شرعية، والشرعية ما استفيد من الأنبياء ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطب، ولا السماع مثل اللغة، والعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى: ما هو محمود وإلى ما هو مذموم والى ما هو مباح، فالمحمود: ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى: ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة، أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما»[1].

وأصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة والحجامة والخياطة، وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات، وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه[2].

وما عده الإمام الغزالي من الفضائل فلعل هذا كان بالنسبة إلى زمنه، لأن العالم في زمانه لم يشهد هذا التطور في العلوم المختلفة ففي زماننا هذا يعتبر التعمق في هذه العلوم كالفيزياء والكيمياء والأحياء وعلم الأرض والرياضيات والفلك والطب وغيرها، بحيث يصل إلى دقائقها، ويرتقي إلى حقائقها، فريضة لازمة أي من الفروض الكفائية التي لابد منها، لأن الأمم تتسابق في هذا تسابقاً خطيراً، ولولا التعمق في هذه العلوم ما وصل عصرنا إلى تحطيم الذرة وغزو الفضاء وصناعة «الحاسوب والثورة» التقنية، وغيرها من العلوم الدقيقة[3].

فهذه العلوم وغيرها من العلوم التي تتطور من خلالها الصناعات وتسهل مستلزمات الحياة، كاستخراج المعادن، وشئون الزراعة والفلاحة وسائر أنواع الصناعات النافعة، فقد

---

(١) الغزالي، **إحياء علوم الدين**. ج١: ص١٦.

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**، ج١: ص١٧.

(٣) ينظر: القرضاوي، **الحياة الربانية والعلم**. ص١١٨.

يجب منها ما يحتاجه المسلمون، ويكون فرض كفاية، ولولي الأمر فيها أن يأمر بما يحتاجه المسلمون، ويساعد أهلها في ذلك، أي بما يعينهم على نفع المسلمين، والإعداد لعدوهم، وعلى حسب نية العبد تكون أعماله عبادة لله عز وجل، متى صلحت النية وخلصت لله، وإذا فعلها بدون نية كانت من المباحات، أعني أنواع الصناعات المباحة، واستخراج المعادن والزراعة والفلاحة وغير ذلك.

لقد تميز العصر الذهبي للإسلام بكثير من الخلفاء والأمراء الذين شجعوا الحركة العلمية، وهيأوا الجو الصالح لازدهار العلم وإبداع العلماء، فأنشأوا المدارس والمكتبات ودور العلم، وجدّوا في البحث عن الكتب والمخطوطات والحصول عليها من مظانها المختلفة، وفي هذا الجو العلمي الرائع ظهر المئات من العلماء الذين سطعت أسماؤهم في سماء الحضارة الإسلامية[١].

وقد برز الكثير من العلماء الذين جمعوا بين الدين والعلم وبين الدنيا والآخرة، حيث جعلوا العلم وسيلة لترسيخ الإيمان في قلوب الناس، ليكونوا أصحابا للمبادئ السامية، والأخلاق الرفيعة، بحيث يكون من الصعب للأعداء أن يتلاعبوا بعقولهم ويغزوا أفكارهم.

المطلب الثاني: توظيف العلوم

العلم وحده لا يَرْقى بالناس ولا يجعلهم أفضل مما هم عليه أو أكثر حرية أو أكثر إنسانية، فالعلم يجعل الناس أكثر قدرة، وأكثر كفاءة، وأكثر نفعاً للمجتمع من الناحية الخدمية، أما ما يجعل هذه الخدمة محمودة وتحس الناس بالسعادة الحقيقية في ظله هو العلم الذي يتقيد بالإيمان بالله تعالى ويلتزم بحدوده، لأن التاريخ برهن على أن الرجال المتعلمين والشعوب المتعلمة يمكن التلاعب بهم بل يمكن أن يكونوا أيضاً خُدّاماً للشر، وربما كانوا أكثر كفاءة من الشعوب المتخلفة، لأنهم اكتفوا بالعلم المنسلخ من الإيمان[٢].

---

(١) ينظر: باشا، أحمد فؤاد. **التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة**. ط١. القاهرة: دار المعارف، (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م). ص٣٤-٣٥.

(٢) ينظر: بيجوفيتش، علي عزت. **الإسلام بين الشرق والغرب**. ترجمة محمد يوسف عدس. مصر: مؤسسة بافاريا، سلسلة نافذة على الغرب العدد (٢). ص١٠١.

والعلم في نظر القرآن ليس مناقضاً للإيمان، ولا عدواً له، بل هو يسير مع الإيمان جنباً إلى جنب، ولهذا عطف القرآن الإيمان على العلم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١]، فعطف هنا أهل العلم على أهل الإيمان، وفي قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، أمر الله تعالى أن تكون القراءة باسم الله الخالق، فهي قراءة مؤمنة وبتعبير آخر: علم في حضانة الإيمان(١).

إن حضارة الإسلام منذ نشأتها في اللحظة الأولى، كانت حضارة علمية، لأنه إذا نظرنا إلى كل هذه الفضائل والاهتمام بالعلم نظرة فاحصة، نستنتج منها أنّ العلم ركيزة أساسية لبناء الإنسان وقيمه وحضارته، ومن خلال هذه النظرة المهمة للعلم استطاعت الحضارة الإسلامية أن تأخذ بأيدي الأُميين، وتخرجهم من الظلمات إلى النور، وتجعل منهم قادة للأمم، وقد نشط المسلمون في جميع العصور في طلب العلم والمعرفة حتى تركوا لنا ميراثاً حضاريّاً رائعاً، يعبر عن تفوقهم في كل مجالات الحضارة.

وانطلقت هذه المعارف العلمية في لحظتها الأولى من المسجد، وهو أهم المنارات التي أضاءت للمسلمين طريق العلم والمعرفة، فكان أول شيء قام به الرسول (ﷺ) بعد هجرته إلى المدينة بناء المسجد، مما يدل على أهميته في حياة المسلمين، وليعلموا أن المسجد هو أول خطوة في بناء الحضارة وتحقيق الازدهار والتقدم، فكان المسجد مكاناً لاجتماع المسلمين مع الرسول (ﷺ)، يسألونه ويجيبهم، ويتناقشون في أمور دينهم ودنياهم، وتقام فيه حلقات الذكر، ويجلس المسلمون صغاراً وكباراً ليتعلموا القرآن وأمور الإسلام، لأن مكانة المسجد في الإسلام تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي، فهو ساحة للعبادة

---

(١) ينظر: القرضاوي، **العقل والعلم في القرآن الكريم**. ص٩٥-٩٦.

ومدرسة للعلم وندوة للأدب، وفي المسجد ارتبطت بفريضة الصلاة وصفوفها أخلاق وتقاليد هي لباب الإسلام، وهو وصل العباد برهم وصلاً يتجدد مع الزمن، فلا قيمة لحضارة لا تستطيع أن تربط بين العبد وربه، وبين الدنيا والآخرة[(١)].

إنّ رسالة الإسلام الخالدة منذ ظهورها حضّت على الأخذ بأسباب الحضارة، وذلك من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وتاريخ الخلفاء الراشدين، وتاريخ ملوك المسلمين في كل عصر من عصور قوتهم وازدهار ملكهم، ويعتبر الإسلام أول عقيدة كرّمت العلم والعلماء، ومعنى هذا أنه يعنى (بأصل الحضارة)، وقوتها الدافعة[(٢)].

وجاء في أوائل السور المكية قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ١- ٣].

ومن المتعارف عليه، أن أدوات العلم في ذلك الوقت كانت: القلم، والمداد (أي الحبر)، والرقّ (الذي يكتب عليه)، وقد اقسم الله بهذه الأدوات الثلاث فيما أوردناه من الآيات: اقسم بالنون: وهي الدواة، واقسم بالقلم: وهو القلم الذي هو وسيلة الكتابة المعهود[(٣)].

و(الرق المنشور)، بمعنى: الكتاب أو الصحيفة[(٤)].

وإن الكتابة أهم وسيلة لحضارة الإنسان وحيثما وجدت الحضارة وجدت القراءة والكتابة، وأصبحت اللغة المكتوبة وسيلة الحضارة والعلم والتربية، لأن الكتابة تعطي المعرفة البشرية صفة الدوام[(٥)].

---

(١) ينظر: الغزالي، محمد. **فقه السيرة**. دار الشروق. ص١٣٦-١٣٧.

(٢) ينظر: الملا، أحمد علي الملا. **أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية**. دمشق: دار الفكر، ص١١٢.

(٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج٢٣، ص١٤٣.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٢١، ص٥٦٢.

(٥) ينظر: أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية**. ط٢. ليبيا - طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، (١٢٠٢هـ-١٩٩٣م). ص٢٤. وعباس، عباس، **موسوعة الحضارات**. ط١. بيروت: دار اليوسف، (٢٠٠٦م). ص٦.

والعلم في الإسلام يشمل كل علم نافع، سواء أكان العلم دينياً أم دنيوياً، نظرياً أو تجريبياً، فرض عين أو فرض كفاية، مادام أنّه في خدمة الدين والدنيا، وما دام أنّه سبيل لرفع منار المدنية والحضارة، ومما يؤكد تلك الشمولية حضّ الإسلام على العلم و لم يقيّده بالعلم الديني أو الكوني أو النظري أو التجريبي وإنما أطلق لفظ العلم ليشمل كل علم نافع ينفع الأمة في دينها ودنياها، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. ليشمل كل علم نافع في الحياة[١].

وحين أمر الله تعالى الأمة بالإعداد في قوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فالإعداد هنا يشمل الإعداد المادي، والإعداد الجسمي، والإعداد المعنوي، والإعداد العلمي والفكري، فكل علم يهيئ لهذا الإعداد يكون تعلمه من قبيل فرض الكفاية في الإسلام، وبناءً على هذا كان تعلم الهندسة والفيزياء والكيمياء وعلم الذرة من قبيل فرض الكفاية في المجتمع الإسلامي، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين وإن لم يقم به أحد فالكل آثمون في نظر الإسلام[٢].

ومن مظاهر التكامل في نظام الإسلام أن التقى به العلم والإيمان جنباً إلى جنب، و لم يقم في مجتمعه ما قام في المجتمعات الأخرى من نزاع بين العلم والدين، الذي راح ضحيته الألوف من أهل العلم والفكر، ومن رأى رأيهم أو سار على دربهم، ومما تميز به الإسلام عن غيره من الأديان الأخرى، هو احترامه للعقل، ودعوته إلى النظر والفكر، وحثه على العلم والتعلم، وإشادته بالعلماء وأصحاب العقول[٣].

---

(١) ينظر: علوان، عبد الله ناصح. **معالم الحضارة الإسلامية وأثرها في النهـضة الأوروبيـة**. ط٤. القاهرة: دار السلام، (١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م). ص١٥.

(٢) ينظر: علوان، **معالم الحضارة الإسلامية**، ص١٦ وما بعدها.

(٣) ينظر: القرضاوي، يوسف. **الإسلام حضارة الغد**. ط١. القاهرة: مكتبة وهبة، (١٤١٦هـ= ١٩٩٥م). ص١٥٣.

«ومن هنا قرر المحققون من أئمة الإسلام: أنه لا تعارض أبداً بين صحيح المنقول وصريح المعقول، ولقد مضت أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم، ونشأ فيها كثير من المعارف والأفكار، ورغم هذا لم تخالف آية من آياته حقيقة علمية ثابتة وهذا من دلائل الإعجاز في هذا الكتاب العظيم»[1].

وقد ذكر القرآن الكريم قصص النبيين والصالحين ما يلفت الأنظار بقوة إلى قيمة العلم الحضارية، ومترلته في إعانة الإنسان على وظيفته في خلافته على الأرض، واستخدامه في كثير من الأمور النافعة[2].

فعن قصة آدم (عليه السلام) وتفوقه على الملائكة بالعلم:

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١].

وعن قصة يوسف (عليه السلام) وتدبيره أمر مصر في أعوام المجاعة بالعلم:

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥].

وعن قصة سليمان وإحضاره عرش بلقيس بالعلم:

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠].

وعن قصة الملك الصالح: (ذي القرنين) واتخاذه لأسباب العلم:

قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ [الكهف: ٩٤-٩٧].

---

(١) **المصدر نفسه**، ص١٥٤.

(٢) ينظر **المصدر نفسه**، ص١٥٥ وما بعدها.

والقرآن الكريم مملوء بهذه المظاهر الحضارية التي تدعو إلى الإبداع والإتقان في مختلف الحرف والفنون، و"يوجه العقل البشري إلى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان"(١)، فقد شجّع الحكم الإسلامي في تاريخه الطويل على ذلك حتى صارت الحضارة الإسلامية منبعاً ثرياً استقى منه الغرب علومه ومعارفه وحضارته التي يعيشها الآن.

وباب الاجتهاد في العلوم الدنيوية مفتوح، ولكل فرد من أفراد المجتمع أن يبحث ويجتهد ويكون عالماً، وأهلاً للذكر والعلم والاختصاص، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ. فَقَالَ: «**لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ**» قَالَ: فَخَرَجَ شِيصاً(٢). فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: «**مَا لِنَخْلِكُمْ؟**» قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا. قَالَ «**أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ**»(٣)، أي: في أمر الدنيا ومعايشها، لا على التشريع، فأما ما قاله باجتهاده (ﷺ) ورآه شرعاً يجب العمل به(٤).

والله تعالى خلق الإنسان لا يعلم شيئاً، فمنّ عليه وجعل له وسائل تلقي العلم والمعرفة، وهذه إشارة إلى أهمية العلم للإنسان ومكانته في القرآن.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وكذلك مسؤولية هذه الوسائل تقع على عاتق الإنسان إذا لم يجد كيفية الاستخدام اللائق لهذه الوسائل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

---

(١) قطب، محمد. **منهج التربية الإسلامية**. ص٩٧.

(٢) وهو البسر الرديء الذي إذا يبس صار حشفاً، وقيل أردأ البسر، وقيل تمر رديء وهو متقارب. ينظر: النووي: **شرح صحيح مسلم**، ج٤: ص١٨٣٦.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل. باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره (ﷺ) من معايش الدنيا على سبيل الرأي. ح (٢٣٦٣). ص٩٦٢.

(٤) النووي، **شرح صحيح مسلم**. ج٧: ص١٢٠.

وهناك وعيد من الله لمن يمتلك هذه الوسائل ولكن يسيء استخدمها، أو يعطّل الفائدة المرجوة منها، ويترل صاحبها إلى مرتبة أدنى من مرتبة البهائم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ومما سبق يمكن القول أن العلم شرط ضروري في بناء الحضارة، وهو عنصر فعّال وركيزة أساسية للتطور الحضاري، وإذا كانت الأخلاق دليل الأمة في رقيّها وتربيتها الروحية، فإن العلم هو سبيلها إلى التقدم والبناء والدعامة المثلى التي تشاد عليها صروح المعرفة والثقافة، والمدنية والحضارة، ولا يأتي العلم ثماره الا اذا وقع بيد أصحاب العقول الرشيدة الذين يميّزون بين النافع والضار، يؤمنون بالله تعالى ويحبون الخير للبشر، وإذا تحقق ذلك فإن وظائف العلم ومنافعه تعودان إلى المجتمع بالخير والإصلاح، وبذلك يكون العلم خادماً للإنسان لا عاملاً لهلاكه وافساده.

فالعقل الذي سعى القرآن الكريم إلى تكوينه هو عقل «تعميري، بنائي، نهضوي، إصلاحي، تواصلي، معتدل»[1]، تعميري يسعى إلى الارتقاء بالوجود الدُّنيوي والبشري نحو الكمال في الأداء والفاعلية، وإصلاحي في طبيعته الذاتية وفي حراكه الموضوعي، وإصلاحيته هذه تتسم بأنها ذات طابع تجديدي مُبادِر لا يستسلم للتحديات التي من شأنها تعطيل ونُظُم ومنجزات الحياة البشرية، وعقل تواصلي أي يلجأ إلى ممكنات الشراكة التواصلية متعددة الأبعاد، والاستفادة من جميع الخبرات النافعة، ويتسمُ بأنه عقل اعتدالي يتوسَّل الاعتدال في تصريف يوميات الحياة بالانطلاق من رؤية تجعل من تسديد حقوق الإنسان قيمة أساسية بل جوهرية في الوجود؛ فهو عقلٌ لا ينظر إلى الإنسان إلا بوصفه إنساناً مكرماً ومفضلاً على كثير ممن خُلق تفضيلاً.

---

(١) ينظـــر: http://ebn-khaldoun.com/article_details.php?article=١٦٣٥ في ٢٠١٤/٧/١٠.

المبحث الثالث

المسؤولية المدنية

المطلب الأول: في القضاء

القضاء بين الناس من أفضل الوظائف، وأحد أبرز الوظائف التي قامت بها الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هي وظيفة القضاء وفض الخصومات بين الناس، فحسن القضاء نعمة من الله، وله فضل عظيم لمن قوي عليه، وأمن على نفسه من الظلم والحَيف، والقضاء عبادة لله عز وجل، وهو من أفضل القربات، لما فيه من الإصلاح بين الناس، وإنصاف المظلوم، ورد الظالم، وإقامة الحدود، وأداء الحقوق إلى أهلها، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحكم بالقسط والعدل بين الناس.

عرف الشافعية القضاء بأنه: الحكم بين الناس، أي فصل الخصومة بين خصمين فأكثر بحكم الله تعالى[(١)].

«وسمي القضاء حكماً لما فيه من الحكمة التي توجب وضع الشيء في محله لكونه يكف الظالم عن ظلمه، أو من إحكام الشيء»[(٢)].

قال الماوردي[(٣)]: ولا يجوز أن يقلد القضاء إلا من تكاملت فيه شروطه التي يصح معها تقليده، وينفذ بها حكمه، وهي سبعة: الذكورية والبلوغ، والعقل، والحرية، والإسلام، والعدالة، والسلامة في السمع والبصر، وأن يكون عالماً بالأحكام الشرعية وعلمه بها يشتمل على علم أصولها والارتياض بفروعها[(٤)].

وعن شرط العقل فصل الكلام وقال: «وهو مجمع على اعتباره، ولا يكتفى فيه

---

(١) ينظر: الخطيب الشربيني، **مغني المحتاج**. ج٦: ص٢٥٧.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٦: ص٢٥٧.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت٤٥٠هـ). **الأحكام السلطانية**. القاهرة: دار الحديث. ص١١٠-١١٢.

بالعقل الذي يتعلق به التكليف من علمه بالمدركات الضرورية، حتى يكون صحيح التمييز، جيد الفطنة، بعيداً عن السهو والغفلة، يتوصل بذكائه إلى إيضاح ما أشكل وفصل ما أعضل»[١].

ومن الامور المهمة التي بحاجة إليها القاضي هو التوازن بين عقله وعاطفته، وذلك لأن العقل والعاطفة هما الضدان المتكاملان، وكمال الإنسان في أن يعرف كيف يوازن بينهما في الوقت والمكان المناسب، فلا يزيد من دور العاطفة وينقص دور العقل، ولا يزيد دور العقل على حساب العاطفة.

فالعقل يتسم بالصلابة والقوة والتحليل المنطقي، إذ يعتمد دائماً على أساس المنطق والاستدلال، ويحكم في مختلف القضايا وفق معايير وحسابات صحيحة، وتتسم العاطفة بالرقة والليونة والأحاسيس النبيلة، ويكون هدفها بلوغ النتيجة المرجوة سواء أتت مطابقة للمنطق والمصلحة، أم منافية لها[٢].

قال تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦].

«يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ» تنفذ فيها القضايا الدينية والدنيوية، «فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ» أي: العدل، وهذا لا يتمكن منه، إلا بعلم بالواجب، وعلم بالواقع، وقدرة على تنفيذ الحق، «وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى» فتميل مع أحد، لقرابة أو صداقة أو محبة، أو بغض للآخر «فَيُضِلَّكَ» الهوى «عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» ويخرجك عن الصراط المستقيم، «إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» خصوصاً المتعمدين منهم، «لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ» فلو ذكروه ووقع خوفه في قلوبهم، لم يميلوا مع الهوى الفاتن[٣].

قال الفخر الرازي[٤]: ثبت أن الإنسان مدني بالطبع ولا ينتظم مصالحه إلا عند

---

(١) **المصدر نفسه**، ص١١١.

(٢) ينظر: http://www.saaid.net/arabic/٥٤٤.htm في ٢٠١٤/٧/١١.

(٣) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٧١١.

(٤) سبق ترجمته.

وجود مدينة تامة، وعند اجتماعهم في الموضع الواحد، يكون كل واحدة منهم مشغولاً بمهمته يحصل بينهم منازعات ومخاصمات، ولا بد من إنسان قادر قاهر يقطع تلك الخصومات وذلك هو السلطان الذي ينفذ حكمه على الكل، ثم إن ذلك السلطان القاهر السائس إن كان حكمه على وفق هواه يفضي إلى تخريب العالم ووقوع الهرج والمرج في الخلق، أما إذا كانت أحكام ذلك الملك مطابقة للشريعة الحقة الإلهية انتظمت مصالح العالم، واتسعت أبواب الخيرات على أحسن الوجوه[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

قال ابن كثير[2]: «يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل، وهو القسط والموازنة، ويندب إلى الإحسان»[3]، فقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يتعاملوا بشيء من الرفق والرحمة والعاطفة بجانب العدل وأحكام العقل، فكلاهما لا ينفصلان حتى يتكامل الإنسان بشقيه العقلي والعاطفي، فالعدل من أحكام العقل، والإحسان من فيض العاطفة.

لذلك على القاضي إحكام عقله وبذل قصارى جهده ورشده لإحقاق الحق وإبطال الباطل، لأن مهمة القضاء كما سبق من المهمات العظيمة التي يوصل بصاحبه مثوبة كبيرة في الآخرة، ومهمة خطيرة في نفس الوقت لأن القضاء موضوعه الحكم بين الناس بالحق والعدل، وقد يُخشى عليه حصول ميل على أحد الخصمين، فيحكم له بغير الحق، فيجور في الحكم، فيجب على القاضي أن يحكم بين الناس بما أنزل الله من الشريعة والتي جاءت لتحقيق مصالح الخلق في الدنيا والآخرة، وهي كفيلة بإصلاح أحوال البشرية في جميع المجالات.

---

(١) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٦: ص٣٨٦.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج٤: ص٥٩٥.

المطلب الثاني: في الحِسبة

عرّف الامام الماوردي[1] الحسبة: بأنها أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله، وعرّفها الامام أبو حامد الغزالي[2] بأنها عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأركانها أربعة: المُحْتَسِبْ والمُحْتَسَبُ عليه والمُحْتَسَبُ فيه ونفس الاحتساب[3].

ويرى ابن تيمية[4] أن للحسبة مجالات دينية ومدنية واسعة من خلال تحديده لوظائف المحتسب الذي كان له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الديوان ونحوهم وكثير من الأمور الدينية هو مشترك بين ولاة الأمور فمن أدى فيه الواجب وجبت طاعته فيه فعلى المحتسب أن يأمر العامة بالصلوات الخمس في مواقيتها ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس[5].

وذكر ابن عاشور[6] فصولاً في معاني الحكمة في نظر الدين، منها: «تقويم الأمة وإصلاح شؤونها وهو المسمى علم السياسة المدنية، وهو مندرج في أحكام الإمامة والأحكام السلطانية»[7].

فالحسبة هي وظيفة دينية باعتبارها تطبيقاً عملياً لقوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٤]، لاحتساب الأجر والثواب عند الله، وهي وظيفة مدنية أيضاً باعتبار المحتسب معيّن من قبل السلطان لتنفيذ مهمة الامر بالعروف والنهي عن المنكر ومعه قوة السلطان لإقامة الحدود ومحاربة المنكر.

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) الماوردي، **الأحكام السلطانية**. ص٣٤٩. الغزالي، **إحياء علوم الدين**. ج٢: ص٣١٢.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**. ج٢٨: ص٦٩.

(٦) سبق ترجمته.

(٧) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٣: ص٦٣.

وللمحتسب شروط وآداب، حيث لا يمكن لأي فرد من أفراد المجتمع أن يقوم بهذا الدور إلا اذا توافرت فيه هذه الشروط والتي ذكرها العلماء[1].

وفيما يتعلق بمسؤولية العقل المدنية في هذا المبحث هما صفتان بارزتان يمكن تصنيفهما مع آداب المحتسب، حيث إن للعقل دوراً بارزاً فيهما إحداهما: الحكمة، والثاني: فقه المآلات.

۞ أولاً: الحِكْمة:

قال الراغب[2]: علم الحكمة «هو علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية وهي من العلوم العقلية[3]، أما الجرجاني[4] فقد ذكر هذا التعريف ثم اضاف وقال: والحكمة أيضاً هي هيئة القوة العقلية العلمية المتوسطة بين الغريزة التي هي إفراط هذه القوة، والبلادة التي هي تفريطها»[5].

وقال ابن عاشور[6]: وعلوم الحكمة هي مجموع ما أرشد إليه هدى الهداة من أهل الوحي الإلهي الذي هو أصل إصلاح عقول البشر، فكان مبدأ ظهور الحكمة في الأديان، ثم ألحق بها ما أنتجه ذكاء أهل العقول من أنظارهم المتفرعة على أصول الهدى الأول[7].

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

«بِالْحِكْمَةِ» أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده، ومن الحكمة الدعوة إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وبالعلم لا بالجهل والبداءة

---

(١) ينظر: الماوردي، **الأحكام السلطانية**. ص٣٤٩ وما بعدها. الغزالي، **إحياء علوم الدين**. ج٢: ص٣١٢ وما بعدها.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) الراغب، **المفردات**. ص٣١.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) الجرجاني، **التعريفات**. ص٩١.

(٦) سبق ترجمته.

(٧) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٣: ص٦٣.

بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، فالحكمة هي الحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية، وهذه أشرف الدرجات وأعلى المقامات، وهي التي قال الله في صفتها: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة، فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين، وقد قيل: إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة[1].

فهذه تذكرة للدعاة والمرشدين، وقانون سنه لهم رب العالمين، لأن المقالة المحكمة والموعظة الحسنة التي تستحسنها العقول السليمة، وتألفها الطباع المستقيمة هما سببان لنجاح الدعوة إلى الله، لأن فيهما إثارة العاطفة، وإقناع العقل، وتنبيه الفكر، وإذا استخدمت هذه الوسائل، ولم تحقق الهدف المطلوب، كان الموقف من المخاطبين متسما بالعناد وركوب الرأس، والتأثر بالأهواء والمصالح أو لعوامل أخرى كالتبعة إلى سيد أو قائد، وخلاصة القول في معنى الآية هي: أيها النبي ادع إلى طريق الحق الذى شرعه ربك مع قومك، واسلك في دعوهم الطريق الذى يناسب كل واحد منهم، فادع خواصهم ذوى المدارك العالية بالقول الحكيم المناسب لعقولهم، وادع عوامهم بما يناسبهم من إيراد المواعظ، وضرب الأمثال التي توجههم إلى الحق، وترشدهم من أقرب طريق مناسب لهم، وجادل أصحاب الملل السابقة من أهل الكتب بالمنطق والقول اللين، والمجادلة الحسنة التي لا يشوها عنف ولا سِبَاب حتى تتمكن من إقناعهم واستمالتهم[2].

---

(١) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٠: ص٢٨٧. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٠: ص٢٠٠. والسعدي. **تيسير الكريم الرحمن**. ص٤٥٢.

(٢) ينظر: لجنة من علماء الازهر، **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**. ط١٨. مصر: المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، (١٤١٦هـ=١٩٩٥م). ص٤٠٧. والحجازي، محمد محمود. **التفسير الواضح**، ط١٠. بيروت: دار الجيل، (١٤١٣هـ). ج٢: ٣٤٥-٣٤٦. والزحيلي، وهبة بن مصطفى. **التفسير الوسيط**. ط١. دمشق: دار الفكر، (١٤٢٢هـ). ج٢: ص١٣١٨.

وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ومن يشاء الله تعالى إيتاءه الحكمة هو الذي يخلقه مستعداً إلى ذلك، من سلامة عقله واعتدال قواه، حتى يكون قابلاً لفهم الحقائق منقادا إلى الحق إذا لاح له، لا يصده عن ذلك هوى ولا عصبية ولا مكابرة ولا أنفة، والخير الكثير منجر إليه من سداد الرأي والهدى الإلهي، ومن تفاريع قواعد الحكمة التي تعصم من الوقوع في الغلط والضلال بمقدار التوغل في فهمها واستحضار مهمها لأننا إذا تتبعنا ما يحل بالناس من المصائب نجد معظمها من جراء الجهالة والضلالة وأفن الرأي، وقوله تعالى: «وما يذكر إلا أولوا الألباب» تذييل للتنبيه على أن من شاء الله إيتاء الحكمة هو ذو اللب، وأن تذكر الحكمة واستصحاب إرشادها بمقدار استحضار اللب وقوته، واللب في الأصل خلاصة الشيء وقلبه، وأطلق هنا على عقل الإنسان لأنه أنفع شيء فيه[1].

۞ ثانياً: فقه المآلات:

عرفه الإمام الجويني[2] بأنه: «النظر في مغبات العواقب»[3].

وفقه المآلات أو فقه التوقعات هو نوع من أنواع الفقه الذي أشار اليه قلة من العلماء وذلك لأنه مرتبط بالأمور المستقبلية وما يؤول اليه الافعال وما ينتج عنها، ولعلَّ إمام الحرمين الجويني كان أوَّل من استشعر ضرورةَ التفكير في أفضل المآلات وأسوء الحالات التي يمكن أن تحل بالأمة أو طوائف منها، فاستقبل هذا الفقه واستفتحه بأحكم المناهج، عندما ذكر الصفات المكتسبة المرعية في الامامة، وسماه بمعرفة «الإيالات».

---

(١) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٣: ص٦٠ وما بعدها.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) ينظر: الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ) **غياث الأمم في التياث الظلم**. ط٢.تحقيق عبد العظيم الديب. مكتبة إمام الحرمين، (١٤٠١هـ). ص٨٩.

فقال: أمّا أحكام الإمامة والسياسة فمقتضى وضعها معرفة «الإيالات»، وإدراك الأسرار والنهايات، والتطلع إلى الغايات والأغراض والمآلات، والركن الأعظم في الإيالة البداية بالأهم فالأهم، لذا كان من شرط الإمام ومن يترشح لهذا المنصب «توقُّد الرأي في عظائم الأمور، والنظر في مغبات العواقب»[1].

وقال الشاطبي[2]: «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، فقد يكون مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك»[3].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ورد في سبب نزولها رواية عن ابن عباس أن كفار قريش قالوا لأبي طالب إما أن تنهى محمداً وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها وإما أن نسب إلهه ونهجوه، فنزلت الآية، وهي دليل على أن الطاعةَ إذا أدتْ إلى معصية راجحةٍ وجب تركُها فإن ما يؤدي إلى الشر شرٌّ، ووجوب الحكم بسد الذرائع، وفيها دليل على أن المحق قد يكف عن حق له إذا أدى إلى ضرر يكون في الدين، فلأجل الاحتراز عن هذا المحذور وجب الاحتراز عن ذلك المقال، وبالجملة فهو تنبيه على أن خصمك إذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك أن تقدم على مشافهته بما يجري مجرى كلامه فإن ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والسفاهة وذلك لا يليق بالعقلاء[4].

---

(١) ينظر: **المصدر نفسه**. ص٨٩.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) الشاطبي، **الموافقات**. ج٥: ص٧٧.

(٤) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١٣: ص١٠٩. والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٧: ص٦١. وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم**. ج٣: ص١٧٢.

وحكمها على كل حال باق في الأمة، فمتى كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الإسلام أو النبي ﷺ والله عز وجل فلا يحل للمسلم أن يسب دينهم ولا صلبانهم ولا يتعرض ما يؤدي إلى ذلك أو نحوه، وعبر عن الأصنام وهي لا تعقل بالَّذِينَ وذلك على معتقد الكفرة فيها، وقرأ الجمهور «عدوا» بفتح العين وسكون الدال نصب على المصدر، وقرأ الحسن بن أبي الحسن وأبو رجاء وقتادة ويعقوب وسلام وعبد الله بن زيد «عدوّا» بضم العين والدال وتشديد الواو[1].

ومن الادلة على هذا الفقه في السنة النبوية عندما أراد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أن يضرب عنق عبد الله بن أُبي بن سلول، فقال يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله (ﷺ): «**دَعْهُ لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»[2].

والحديث فيه ما كان عليه ﷺ من الحلم وفيه ترك بعض الامور المختارة والصبر على بعض المفاسد خوفاً من أن تترتب علي ذلك مفسدة أعظم منه وكان ﷺ يتألف الناس ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم لتقوى شوكة المسلمين وتتم دعوة الإسلام

---

(١) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٢: ص٣٣٢.

(٢) **متفق عليه**، البخاري، **صحيح البخاري**. باب قوله: «سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم». ح (٤٦٢٢). ج٤: ص١٨٦١. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب البر والصلة. باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً. ح (٢٥٨٤). ص١٠٤١. ونص الحديث: هو عن عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ يَا لَلأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ فَسَمَّعَهَا اللَّهُ رَسُولَهُ (ﷺ) قَالَ مَا هَذَا فَقَالُوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ يَا لَلأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ قَالَ جَابِرٌ وَكَانَتْ الأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ (ﷺ) أَكْثَرَ ثُمَّ كَثُرَ الْمُهَاجِرُونَ بَعْدُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ أَوَقَدْ فَعَلُوا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «دَعْهُ لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ».

ويتمكن الإيمان من قلوب المؤلفة ويرغب غيرهم في الإسلام وكان يعطيهم الأموال الجزيلة لذلك ولم يقتل المنافقين لهذا المعنى ولإظهارهم الإسلام وقد أمر بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر ولأنهم كانوا معدودين في أصحابه ﷺ ويجاهدون معه إما حمية وإما لطلب دنيا أو عصبية لمن معه من عشائرهم[1].

ومما سبق تبين أن لهذا النوع من الفقه أدواته الخاصة في جانب معرفة الواجب الشرعي، والتعريف بالأمر المتوقَّع. فلكل من النظرين أدواته ومنهاجه، فأما ما يتعلق بمعرفة الأحكام الشرعية فهي المصادر الشرعية، الأصلية (الكتاب والسنة)، وكذلك التبعية (الإجماع والقياس والمصالح المرسلة وغير ذلك)، أما ما يتعلق بوسائل التعرُّف على المتوقَّع، وما له من أثر في الواقع، وما للواقع من أثر عليه، فإن ذلك يُعرف بأدلة الوقوع من العقل والحس واللغة والخبرة والحدس والطبع والعادة، وكذلك يمكن الاستعانة بثمرات التجارب الإنسانية والدراسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية والتي يستنبط منها الظنّ الراجح، وتتسم بالحياد والموضوعيَّة، ولا تتعارض مسلَما مع الأحكام الشرعية، وقيم المرجعية الإسلامية العليا، والبراهين والمقدمات المنطقية المحايدة.



---

(١) ينظر: النووي، **المنهاج**. ج١٦: ص١٣٩.

المبحث الرابع

محظورات العقل

إن من تكريم الإسلام للعقل تحديد مجالاته التي يخوض فيها حتى لا يضل، لأن العقل مهما بلغ فهو محدود الطاقات والملكات، لا يستطيع أن يدرك كل الحقائق مهما أوتي من قدرة، وسيظل بعيداً عن متناول كثير من الأشياء، وإذا حاول الخوض فيها، التبست عليه الأمور، وتخبط في الظلمات، وركب متن العديد من الأخطار، مع أن العقل يمتلك مساحة كبيرة من الحرية حتى في اخطر المسائل كالاعتقاد، فالإسلام لم يجبر العقل على الإيمان بل حضه عليه بإرادته وقناعته، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، «أي سبيل الخير والشر والنجاة والهلاك، أي عرّفناه وبينا له ذلك، بأدلة العقل والسمع «إِمَّا شاكِراً» أي بالاهتداء والأخذ فيه «وَإِمَّا كَفُوراً» أي بالإعراض عنه»[1]، ولكن صيانةً وحفظاً للعقل فقد منعه الإسلام من الخوض في معرفة حقائق الغيب كالتفكر في ذات الله، والقدر، والتشريع من دون الله، فهذه الأمور ضلال العقل فيها متحتم لو دخلها ولهذا جاء النهي عن الخوض فيها.

المطلب الأول: التفكر في ذات الله

لا يجوز للمسلم أن يتخيل شكلاً لذات الله سبحانه وتعالى، لأن كل شكل يتخيله العقل أو يخطر بالبال، فإن الله تعالى بخلافه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وذلك لأن عقل الإنسان مخلوق وكل مخلوق له حدود حدده له خالقه سبحانه وتعالى، وأن العقل ذاته هو الذي قال للإنسان: إن المحدود لا يحيط بغير المحدود، والفاني لا يحيط بمكان لا يدركه الفناء[2].

---

(١) القاسمي، **محاسن التأويل**. ج٩: ص٣٧٤.

(٢) ينظر: قطب، محمد. **قبسات من الرسول**. مكتبة صيد الفوائد. ص٤٧.

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**تَفَكَّرُوا في آلاء الله ولا تَفَكَّرُوا في الله**»[1].

قال المناوي[2] في قوله (ﷺ) «لا تفكروا في الله» فإن العقول تحير فيه فلا يطيق مد البصر إليه، فالنظر إلى ذات الله يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل، فالصواب أن لا يتعرض لمجاري الفكر في ذاته وصفاته لأن أكثر العقول لا تحتمله[3].

وقال ابن أبي زيد القيرواني المالكي[4] في «الرسالة» «لا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون، يعتبر المتفكرون بآياته، ولا يتفكرون في ماهية ذاته»[5].

فيجب على المسلم المتبع لكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) أن يصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله (ﷺ) على ما يليق به سبحانه وتعالى، مع فهم المعنى والجهل بالكيف، ومعنى كلام ابن أبي زيد أنه لا يستطيع أحد أن يصف الله بما هو عليه، بأن يعرف كيفية اتصافه بالصفات؛ لأن ذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلا هو، وقوله: ولا يتفكرون في ماهية ذاته» فالله عز وجل بذاته وصفاته الخالق، وما سواه مخلوق، فكما أنه لا يجوز البحث

---

(١) الطبراني، **المعجم الاوسط**. ح (٦٣١٩). ج٦: ص٢٥٠. قال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه الوازع بن نافع وهو متروك.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) المناوي، **فيض القدير**. ج١٢: ص١٦٦. (بتصرف)

(٤) هو عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني، الفقيه النظار الحافظ الحجة إمام المالكية في وقته، كان واسع العلم كثير الحفظ والرواية، كتبه تشهد له بذلك، فصيح القلم يقول الشعر ويجيده مع صلاح وورع وعفة، وهو الذي لخص المذهب ولَمَّ نشره وذبّ عنه. له تآليف منها: كتاب النوادر والزيادات على المدونة مشهور أزيد من مائة جزء، ومختصر المدونة مشهور، وعلى كتابيه هذين المعول في المذهب، وكتاب الرسالة وغيرها، توفي سنة ٣٨٦هـ. ينظر: مخلوف، **طبقات المالكية**. ج١: ص١٤٣-١٤٤. والباباني، **هدية العارفين**. ج١: ص٤٤٧.

(٥) القيرواني، ابن أبي زيد عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٣٨٦هـ). **رسالة القيرواني**. مكتبة المسجد النبوي. ص١٠.

في كيفية الصفات، فكذلك لا يجوز البحث في كيفية الذات، ولهذا قال: «ولا يتفكرون في ماهية ذاته» أي حقيقتها والكيفية التي هي عليها[1].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**لا يَزالُ النَّاسُ يَتَساءلُونَ حتَّى يُقالَ هَذَا: خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذلكَ شَيْئاً فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ باللَّهِ**»[2].

قال المازري[3]: ظاهر الحديث أنه ﷺ أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولا نظر في إبطالها، والذي يقال في هذا المعنى: إن الخواطر على قسمين: فأما التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهي التي تدفع بالإعراض عنها، وعلى هذا يحمل الحديث وعلى مثلها ينطلق اسم الوَسوسة فكأنه لما كان أمراً طارئاً على غير أصل دفع بغير نظر في دليل إذ لا أصل له ينظر فيه، وأما الخواطر المستقرة التي أوجبتها الشبهة فإنها لا تدفع إلا باستدلال ونظر في إبطالها[4].

وقال أبو جعفر الطحاوي[5]: «لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام» أي أنه لا ينتهي

---

(١) ينظر: البدر، عبد المحسن بن حمد، **قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني**. ط١. الرياض: دار الفضيلة، (١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م). ص٤٤ وما بعدها.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**. باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها. ح (١٣٤). ص٧٨.

(٣) هو محمد بن علي بن عمر التَّميمي المازري، محدث، من فقهاء المالكية. نسبته إلى "مازر" بجزيرة صقلّيّة (جنوب ايطاليا)، وهو أحد الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه، وشرح صحيح مسلم سماه "المعلم بفوائد كتاب مسلم" وله في الأدب كتب متعددة. توفي بالمهدية (في تونس) سنة ٥٣٦هـ ينظر: ابن خلكان، **وفيات الاعيان**. ج٤: ص٢٨٥. والصفدي، **الوافي بالوفيات**. ج٤: ص١١٠ وما بعدها. وابن العماد العكبري، **شذرات الذهب**. ج٦: ص١٨٦-١٨٧.

(٤) ينظر: المازري، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المالكي (ت ٥٣٦هـ). **المُعلم بفوائد مسلم**. تحقيق محمد الشاذلي النيفر. ط٢. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (١٩٨٨م). ج١: ص٣١٣-٣١٤.

(٥) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزديّ الطحاوي، أبو جعفر، فقيه انتهت إليه رياسة=

إليه وهم، ولا يحيط به علم، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، قيل: الوهم ما يرجى كونه، أي: يظن أنه على صفة كذا، والفهم: هو ما يحصله العقل ويحيط به، والله تعالى لا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه وتعالى، وإنما نعرفه سبحانه بصفاته، وهو أنه أحد، صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد[1].

وذلك لأن طرق معرفة الشيء والحكم عليه، تكون أما بمعاينته ومشاهدته، وهذه مستحيلة في حق الله عز وجل، حيث يقول سبحانه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أو قياسه على شيء مثله قد رآه الشخص، فيحكم من خلال المرئي على مماثله الذي لم يره وهذه أيضا مستحيلة في حق الله عز وجل، لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، أو الحكم على الشيء ومعرفته من خلال آثاره المرئية والمحسوسة بأنه قادر مثلاً إذا لاحظ آثار قدرته، أو أنه حكيم إذا لاحظ آثار حكمته، وهذه هي الوسلية العقلية الوحيدة التي يمكن للإنسان من خلالها أن يدرك ويتيقن أن الله تعالى واحد لا شريك له في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وأنه متصف بكل كمال يليق به جل وعلا، متره عن كل نقص.

لذا فقد منع الإسلام العقل من الخوص في كل ما لا يدركه ولا يكون في متناول إدراكه كالروح، قال سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فصرف الجواب عن ماهيته لأنه ليس من شؤون

=الحنفية بمصر، ولد سنة ٢٣٩هـ ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعيّ، ثم تحول حنفيا، ورحل إلى الشام سنة ٢٦٨هـ فاتصل بأحمد بن طولون، فكان من خاصته، توفي بالقاهرة سنة ٣٢هـ، وهو ابن أخت المزني. ينظر: ابن خلكان، **وفيات الاعيان**. ج١: ص٧١. ومحيي الدين الحنفي، **الجواهر المضية**. ج١: ص١٠٢-١٠٣. والسيوطي، **طبقات الحفاظ**. ج١: ص٣٣٩.

(١) ابن ابي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**. ج١: ص٨٤.

العقل السؤال عنه ولا من مداركه، وعن الامور المغيبة عن العقل قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وعن علم الساعة والقدر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، وغيرها من الغيبيات التي ليست في متناول العقل ومداركه، فهذه الأمور يضل العقل فيها ويشقى لا محالة اذا خاض فيها، ولهذا جاء النهي عنها، وفي ذلك تكريم للعقل وتشريف.

المطلب الثاني: التشريع من دون الله

يقصد بالتشريع من دون الله في هذا المطلب إيجاد التشريع والقوانين التي تخالف النصوص الشرعية أو تخالف القواعد الكلية للشريعة الإسلامية، وليس المقصود به الاجتهادات العقلية والقوانين التي تنظم الحياة تحت الأصول والقواعد الكلية للشريعة الإسلامية إطلاقاً، لأن تلك من واجبات العقل بل الشريعة الإسلامية هي التي كلفت العقل بتلك المهمات الجليلة.

إن تشريع الأحكام التي يسير عليها العباد في عباداتهم ومعاملاتهم وسائر شؤونهم، والتي تفصل النزاع بينهم وتُنهي الخصومات حق لله تعالى رب الناس، وخالق الخلق، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهو الذي يعلم ما يصلح عباده، فيشرعه لهم، فبحكم ربوبيته لهم يشرع لهم، وبحكم عبوديتهم له يتقبلون أحكامه، والمصلحة في ذلك عائدة إليهم، ولم يأذن سبحانه أن يتخذ العباد مشرعاً غيره؛ فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

فتحكيم العقل في النصوص النقليَّة، وتأويلها حسب ما يقتضي هوى بعض الناس، من الخطر الداهم على أمة الإسلام، إذ حذَّر منه القرآن الكريم وحثَّ على وجوب الانتباه إلى هذا الخطر، ونهى عن تقديم الإنسان رأيه على نصوص الوحي، وأشار إلى أن ذلك يفضي إلى عواقِب وخيمة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

أي: يَا أَيُّهَا الذين آمنوا اعلموا أن لله الخلق والأمر، لا تقدموا أمراً، ولا قولاً، ولا فعلاً، ولا حكماً ولا نهياً سوى ما أمر اللّه تعالى به ورسوله (ﷺ) وغير ما نهى عنه، بل اتبعوا أمره ونهيه، وراقبوه على ما آمنتم به وأقررتم بأن له الخلق والأمر، فاحفظوا أمره ونهيه، ولا تخالفوه ولا رسوله في شيء من الأمر والنهي، فهذا يدخل فيه كل شيء وكل أمر من القول، والفعل، والقضاء والحكم، وغير ذلك، فلا يسبق العبد المؤمن إلهه في أمر أو نهي، ولا يقترح عليه في قضاء أو حكم، ولا يتجاوز ما يأمر به وما ينهى عنه، ولا يجعل لنفسه إرادة أو رأياً مع خالقه، تقوى منه وخشية، وحياءً منه وأدباً[1].

فهذه الآيةُ الكريمةُ أصلٌ في استسلام العقل بين يدي نور النَّقل، كما هي أصلٌ عظيمٌ في وجوب تعظيم النصِّ الشرعيِّ كتاباً وسُنَّة، والانقياد لهما عملاً وتحكيماً، وخضوعاً وتسليماً.

قال ابن تيمية[2]: «فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وان القرآن يهدى للتي هي أقوم»[3].

وقال أيضاً: أن سائر أئمة المسلمين متفقون على أن ما جاء به الرسول (ﷺ) لا تدركه كل الناس بعقولهم، ولو أدركوه بعقولهم لاستغنوا عن الرسول، ولا يجوز أن يعارضه الناس بعقولهم، ولا يدركونه بعقولهم، فمن قال للرسول: أنا أصدقك إذا لم تخالف عقلي، أو أنت صادق فيما لم تخالف فيه الدليل العقلي، فإن كان يجوز على الرسول أن يخالف دليلاً عقلياً صحيحاً لم يكن مؤمناً به، وإن قدم على كلامه دليلاً عقلياً ليس بصحيح لم

---

(١) ينظر: الماتريدي، **تأويلا أهل السنة**. ج٩: ص٣٣٢. وقطب، **في ظلال القرآن**. ج٦: ص٣٣٣٦.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**. ج١٣: ص٢٨.

يكن مؤمناً به، فامتنع أن يصح الإيمان بالرسول (ﷺ) مع هذا الشرط[1].

وقال الشاطبي[2]: «المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبداً لله اختياراً، كما هو عبد لله اضطراراً»[3].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، قسّم الشنقيطي[4] التشريعات والقوانين الوضعية التي تنتج عن استخدام العقل إلى قسمين: نظام إداري، ونظام شرعي، أما الإداري الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها على وجه غير مخالف للشرع، فهذا لا مانع منه، وقد عمل عمر (رضي الله عنه) من ذلك أشياء كثيرة ما كانت في زمن النّبي (ﷺ)، ككتبه أسماء الجند في ديوان لأجل الضبط وغير ذلك، كتنظيم شئون الموظفين، وتنظيم إدارة الأعمال على وجه لا يخالف الشرع، فهذا النوع من الأنظمة الوضعية لا بأس به، ولا يخرج عن قواعد الشرع من مراعاة المصالح العامة[5].

وأما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض، كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف، وأنهما يلزم استواؤهما في الميراث، وكدعوى أن تعدد الزوجات ظلم، وأن الرجم والقطع ونحوهما أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ونحو ذلك، فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم وأديانهم كفر بخالق السموات والأرض، وتمرد على نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائق كلها وهو أعلم بمصالحها سبحانه وتعالى عن أن يكون معه مشرع آخر علواً كبيراً[6].

---

(١) المؤلف نفسه، **درء تعارض العقل والنقل**. تحقيق محمد رشاد سالم. ط٢. المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤١١هـ=١٩٩١م). ج٥: ص٢٩٧. (بتصرف).

(٢) سبق ترجمته.

(٣) الشاطبي، **الموافقات**. ج٢: ص٢٨٩.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) ينظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**. ج٣: ص٢٥٨ وما بعدها.

(٦) ينظر: **المصدر نفسه**، ج٣: ص٢٦٠.

ومما سبق يظهر أن الله تبارك وتعالى جعل للعقول وإدراكِها حدّاً تنتهي إليه، وهذا ليس إلغاءً لدور العقل ودلالته، بل العقلُ الصريحُ شرطٌ في معرفة العلوم وفهم نصوص الشرع واستنباط الأحكام الشرعية وفقه النوازل وفقه المآلات، وادراك المصالح وبيان وسائل جلبها، والمفاسد ووسائل درئها، فكل هذه من واجبات العقل ومسؤولياته، فهو أحدُ الكليات الخمس التي جاء الشرعُ بحفظِها ورعايتِها، لكن الاستدلال به ليس مُطلقاً، بل بضوابط ومنهجيَّة، فإذا جاوز العقل هذه الأمور التي مُنع بتناولها كمعرفة الذات الإلهية وغيرها من الغيبيات، أو قضية التشريع المعارض للشريعة الإسلامية، فكل المجالات الأخرى متاحة له، بل حثه الإسلام على البحث فيها.



الفصل الثالث
المسائل المختلف فيها

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: محل العقل**

المطلب الأول: محل العقل هو القلب.

المطلب الثاني: محل العقل هو الرأس

- **المبحث الثاني: الحُسن والقُبح العقليين**

المطلب الأول: الحُسن والقُبح لا يثبتان الا بالشرع

المطلب الأول: الحُسن والقُبح يثبتان بالعقل

- **المبحث الثالث: تفاوت العقل**

المطلب الأول: تحقيق الغزالي

المطلب الثاني: تحقيق الزركشي

- **المبحث الرابع: العقل والنقل**

المطلب الأول: التكامل بين العقل والنقل

المطلب الثاني: صحيح المنقول لا يعارض صريح المعقول

المبحث الأول

محل العقل

المطلب الأول: محل العقل هو القلب

قال بهذا الرأي الجمهور الأعظم من المفسرين والمحدثين والأصوليين والفقهاء، واستدل القائلون من أهل التفسير بأن العقل في القلب بالأدلة الآتية:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [ق: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٤]، ووجه الاستدلال هو: إن القلب عبارة عن العقل إذ هو محله، فالقلب محل العقل في قول الأكثرين، والفؤاد محل القلب، والصدر محل الفؤاد»[١].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

فإن قيل ما فائدة ذلك، مع أن القلوب لا تكون إلا في الصدور، فالجواب هو أن فائدتُه للمبالغةُ في التأكيد والتقييد للاحتراز عن القول الضعيف بأن العقل في الدماغ، فهذه الآية تدل على أن العقل هو العلم، وعلى أن محل العلم هو القلب، لأن المقصود من قوله: (قلوب يعقلون بها) العلم، وقوله: يعقلون بها كالدلالة على أن القلب آلة لهذا التعقل، فوجب جعل القلب محلاً للتعقل، فمحل العقل في القلب، ومحل السمع في الأذن، وما يزعمه الفلاسفة من أن محل العقل الدماغ باطل، وكذلك قول من زعم أن العقل لا مركز له أصلاً في الإنسان، لأنه زماني فقط لا مكاني فهو في غاية السقوط والبطلان[٢].

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج٢٢: ص٣٧٢. والماوردي، **النكت والعيون**. ج٥: ص٣٥٥. وابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٥: ص١٦٧. والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١: ص١٨٥. وأبو حيان، **البحر المحيط**. ج١: ص٢٧٥. والآلوسي، **روح المعاني**، ج١٩: ص١٢١.

(٢) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٣: ص٢٣٤. وأبو يحيى السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين (ت٩٢٦هـ). **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**. تحقيق محمد علي الصابوني. ط١. بيروت: دار القرآن الكريم، (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م). ص٣٨٥. والشنقيطي، **أضواء البيان**. ج٥: ص٢٧٥.

واستدل أهل الحديث بجملة من الأحاديث النبوية التي تدل على أن محل العقل هو القلب منها: حديث النبي (ﷺ) «**أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَد مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(١).

قال المازري(٢): وقد اختلف الناس في محل العقل من الإنسان، فمذهب بعض الأئمة من المتكلمين أنه في القلب وإليه صار جمهور الفلاسفة، وقالت الأطباء: إنه في الدماغ، ويحكى هذا عن أبي حنيفة. وقد جعل النبي (ﷺ) صلاح الجسد كلّه وفساده كلّه تابعاً للقلب، والدّماغُ من جملة الجسد، فاقتضى ظاهر الحديث كون فساده وصلاحه تبعاً للقلب، وهذا يدل على أنه ليس بمحلّ للعقل، وأما الأطباء فإنما عمدهم على أن الدماغ يفسد فيفسد العقل ويكون منه الصرع والهَوَس عندهم، ويتغير مزاجه فيتغير العقل وغير ذلك من العلل التي يسمونها، فاقتضى ذلك عندهم كون العقل في الدماغ. ولا حجة لهم في هذا لأن الله سبحانه قد يُجري العادة بفساد العقل عند فساد الدماغ وإن لم يكن العقل(٣).

وفي حديث سعيد بن أبي سعيد المقبري(٤) ....

---

(١) عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) يَقُولُ: «الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ منْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَات اسْتَبْرَأَ لدينه وَعرْضه وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحمَى يُوشكُ أَنْ يُوَاقعَهُ أَلا وَإِنَّ لكُلِّ مَلك حمًى أَلَا إِنَّ حمَى اللَّه في أَرْضه مَحَارِمُهُ أَلا وَإِنَّ في الْجَسَد مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ». **متفق عليه**، البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الإيمان. باب من استبرأ لدينه. ح (٥٢). ج١: ص٢٨. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب المساقاة. باب أخذ الحلال وترك الشبهات. ح (١٥٩٩). ص٦٥١.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) ينظر: المازري، **المعلم بفوائد مسلم**. ج٢: ص٣١٤.

(٤) هو الإمام، المحدث، الثقة، أبو سعد سعيد بن أبي سعيد كيسان الليثي مولاهم، المدني، المقبري، كان يسكن بمقبرة البقيع، حدث عن أبيه وعن عائشة، وأبي هريرة، وعدة، وكان من أوعية الحديث، وحديثه مخرج في الصحاح، قال أبو حاتم: صدوق، توفي: سنة خمس وعشرين ومائة، وقيل: سنة ثلاث وعشرين، وقيل: سنة ست وعشرين، وكان من أبناء التسعين. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج٥: ص٢١٦-٢١٧. وابن الجوزي، **المنتظم**. ج٧: ص٢٢٦.

عن أبي شريح (رضي الله عنه)[1] أنه قال لعمرو بن سعيد[2]، وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به النبي (صلى الله عليه وسلم) الغَدَ من يوم الفتح، سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلاَ يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَماً**... الحديث»[3].

قال بدر الدين العيني[4]: في قوله: (ووعاه قلبي) «دليل على أن العقل محله القلب لا الدماغ، وهو قول الجمهور، لأنه لو كان محله الدماغ لقال: ووعاه رأسي»[5].

---

(١) أبو شريح الخزاعي الكعبي الصحابي، اسمه خويلد بن عمرو، وقيل اسمه عمرو بن خالد. والأصح عند أهل الحديث أن اسمه خويلد بن عمرو بن صخر بن عبد العزى بن معاوية بن المحترش بن عمرو، أسلم قبل فتح مكة، وكان يحمل حينئذ أحد ألوية بني كعب بن خزاعة، روي له عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عشرون حديثاً، توفي سنة ثمان وستين للهجرة. ينظر: أبو المحاسن. **النجوم الزاهرة**. ج١: ص٢٨٠. **وابن العماد العكبري**. ج١: ص٢٩٦. والعيني، **عمدة القاري**. ج٢: ص١٣٩.

(٢) هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ابن عبد شمس الأموي القرشي، أمير، من الخطباء البلغاء، كان أحد الأشراف الأمويين، لقب بالأشدق، لفصاحته، وقيل سمي بذلك لأنه كان أفقم مائلاً إلى الذقن كان والي مكة والمدينة لمعاوية وابنه يزيد، وقدم الشام فأحبه أهلها، فلما طلب مروان بن الحكم الخلافة عاضده عمرو، فجعل له ولاية العهد بعد ابنه عبد الملك، ولما ولي عبد الملك أراد خلعه من ولاية العهد، فنفر عمرو، ولم يزل عبد الملك يتربص به الفرصة حتى تمكن منه فقتله سنة سبعين للهجرة. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج٣: ص٤٤٩. وصلاح الدين، **فوات الوفيات**. ج٣: ص١٦١. وابن العماد العكبري، **شذرات الذهب**. ج١: ص٣٠٠.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب العلم. باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب. ح (١٠٤). ج١: ص٥١.

(٤) هو بدر الدين العيني الحنفي، مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين، أصله من حلب ومولده في عينتاب (جنوب تركيا) وإليها نسبته، أبو الثناء، وقيل أبو محمد بدر الدين محمود ابن القاضي شهاب الدين أحمد بن موسى بن أحمد، توفّي في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة. ينظر: أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**. ج١٦: ص٨. والسيوطي، **بغية الوعاة**. ج٢: ص٢٧٥-٢٧٦. وابن العماد العكبري، **شذرات الذهب**. ج٩: ص٤١٨.

(٥) العيني، **عمدة القاري**. كتاب العلم. باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب. ج٢: ص١٤٤-١٤٥.

وإلى ذلك ذهب الكثير من شراح الحديث إلى أن القلب هو محل العقل ومناط التجلي، ومحل العلوم والمعارف والأفعال الاختيارية، وأن الحواس معه كالحجاب مع الملك، لأنها تدرك المعلومات ثم تؤديها إليه ليحكم عليها ويصرف فيها، فهي آلات وخدمة له وهي معه كملك مع رعيته فهو محل العقل عند الأكثر(١).

وإلى هذا القول ذهب الجمهور من المالكية(٢) والشافعية(٣) والحنابلة(٤).

المطلب الثاني: محل العقل هو الرأس

وهذا القول منسوب إلى الحنفية(٥)، وهو المشهور عن الإمام أحمد فقد نص على مثل

---

(١) ينظر: المناوي، **فيض القدير**. ج١٠: ص٣٣٠. والمؤلف نفسه، **التيسير بشرح الجامع الصغير**. ط٣. الرياض: مكتبة الإمام الشافعي، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م). ج١: ص٤٢٠. والمباركفوري، **تحفة الأحوذي**. ج٩: ص٢٥٩.

(٢) ينظر: أبو الوليد القرطبي، محمد بن أحمد بن رشد (ت٥٢٠هـ). **المقدمات الممهدات**. تحقيق محمد حجي. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م). ج٣: ص٣٣٤. والقرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (ت ٦٨٤هـ). **الذخيرة**. تحقيق محمد حجي وسعيد أعراب ومحمد بو خبزة. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (١٩٩٤م). ج١: ص٢٤٠.

(٣) ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ). **الحاوي في فقه الشافعي**. ط١. دار الكتب العلمية، (١٤١٤هـ=١٩٩٤م). ج١٢: ص٢٤٧. والسبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي. **الأشباه والنظائر** - ط١. دار الكتب العلمية، (١٤١١هـ=١٩٩١م). ج٢: ص١٧.

(٤) ينظر: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت٤٥٨هـ). **العدة في أصول الفقه**، تحقيق أحمد بن علي بن سير المباركي. ط٢. (١٤١٠هـ=١٩٩٠م). ج١: ص٨٩. وابن النجار، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي (ت٩٧٢هـ). **شرح الكوكب المنير**. تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد. ط٢. مكتبة العبيكان، (١٤١٨هـ=١٩٩٧م). ج١: ص٨٣.

(٥) ينظر: الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي (ت٥٨٧هـ). **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م). ج١٢: ص٣١٩. وابن النجار، **شرح الكوكب المنير**. ج١: ص٨٤.

هذا القول فيما ذكره أبو حفص بن شاهين في الجزء الثاني من أخبار أحمد بإسناده عن فضل بن زياد وقد سأله رجل عن العقل أين منتهاه من البدن؟ وقال سمعت أحمد بن حنبل يقول: العقل في الرأس، أما سمعت إلى قولهم: وافر الدماغ والعقل، واحتج هذا القائل: بأن الرأس إذا ضرب زال العقل؛ ولأن الناس يقولون: «فلان خفيف الرأس، وخفيف الدماغ»، ويريدون به العقل، ومنهم من قال إن العقل في القلب يعلو نوره إلى الدماغ إلى الحواس ما جرى في العقل[1].

ومنهم من قال إن معدن العقل هو القلب وشعاعه في الدماغ والجنون انقطاع هذا الشعاع[2].

وقال العيني: «والذي قاله المحققون رحمهم الله العقل جوهر مضيء خلقه الله تعالى في هذه الدماغ، وجعل نوره في القلب يدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة»[3].

وتظهر ثمرة الخلاف في محل العقل في مسألة من الفقه، وهي ما إذا شج رجل آخر موضحة «كشفت عظم رأسه» فذهب عقله، فالإمام مالك القائل بأن محله القلب ألزم الجاني دية العقل وأرش الموضحة، لأنه أتلف عليه منفعةً ليست في عضو الشجة فلا تكون الشجة تبعاً لها، والإمام أبو حنيفة الذاهب إلى أن محله الدماغ جعل عليه دية العقل فقط، لأنه لما شجّ رأسه وأتلف عليه العقل الذي هو منفعة في العضو المشجوج، دخل أرش الشجة

---

(١) ينظر: السمعاني، **تفسير القرآن**. ج٥: ص٢٤٧. ومجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت٦٥٢هـ). وعبد الحليم بن تيمية (ت٦٨٢هـ). وأحمد بن تيمية (٧٢٨هـ).**المسودة في أصول الفقه**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الكتاب العربي، ص٥٥٩-٥٦٠. وابو يعلى، **العدة**. ج١: ص٩٠.

(٢) شيخي زاده، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي (ت١٠٧٨هـ). **مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر**. تحقيق خليل عمران المنصور. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٩هـ=١٩٩٨م). ج٣: ص٦١.

(٣) العيني: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفي (ت٨٥٥هـ). **البناية شرح الهداية**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م). ج٨: ص١٠٤.

في الدية، لأن العقل وإن كان نوراً وجوهراً مضيئاً في الصدر يبصر به الإنسان عواقب الأمور وحسن الأشياء وقبحها إلا أن الدماغ كالفتيلة لهذا النور يقوي ويضعف بقوة الدماغ وضعفه ويزول ويذهب بفساد الدماغ، فإن كان العقل بهذا الاعتبار لتعلقه بالدماغ بقاء وذهابا فكانت الجناية واقعة على عضو واحد وقد أتلفت شيئين فيدخل الأقل في الأكثر(١).

وتبين من الرأيين أن من نسب العقل إلى القلب نظر إلى المقر، ومن نسبه إلى الرأس نظر إلى الأثر، إذ إن اتقاد الذهن أثر لذلك النور المستقر في القلب، وان الذين نسبوا العقل إلى الرأس إنما نسبوه من قبيل أن العقل نور في القلب إلا أن الدماغ كالفتيلة لهذا النور يقوي ويضعف بقوة الدماغ وضعفه، ويزول ويذهب بفساد الدماغ، فالخطب هيّن اذا تعلق الامر بمحل العقل، لأن فضيلة العقل بثمرته وفائدته، لا بمكانه أو محله، كما قال ابن الجوزي رحمه الله «إنما تتبين فضيلة الشيء بثمرته وفائدته وقد عرفت ثمرة العقل وفائدته فإنه هو الذي دل على الإله وأمر بطاعته وامتثال أمره وثبت معجزات الرسل وأمر بطاعتهم وتلمح العواقب فاعتبرها»(٢)، فإن كان كذلك فقد حقق وجوده كمكرمة إلهية للإنسان وأسعد صاحبه ونجا به يوم القيامة و لم يكن من الذين قال الله عنهم ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

---

(١) ينظر: ابن النجيم، زين الدين بن ابراهيم بن محمد الحنفي (ت٩٧٠هـ). **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٨هـ=١٩٩٧م). ج١٩: ص١٨٦. وابن النجار، **شرح الكوكب المنير**. ج١: ص٨٥.

(٢) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن. **ذم الهوى**. تحقيق مصطفى عبد الواحد. دون ناشر. ص١٠.

المبحث الثاني

الحُسن والقُبح العقليين

يطلق الحسن والقبح على معان ثلاثة:

* **المعنى الأول:** أن الحسن: ما يلائم الفطرة الإنسانية المائلة إلى جلب المنافع ودفع المضار، والقبح: ما ينافر الفطرة: فإنقاذ الإنسان من هلكة حسن، وترك إنقاذه قبيح.

* **المعنى الثاني:** أن الحسن: صفة كمال يستحق فاعله المدح من العباد في الدنيا. والقبح: صفة نقص يستحق فاعله الذم من العباد في الدنيا. فالعلم حسن، والجهل قبيح. وهذان المعنيان لا خلاف بين العلماء في أنهما عقليان أي أن العقل يستقل بإدراك ما فيهما من حسن أو قبيح من غير توقف على الشرع، **المعنى الثالث:** الحسن: ما يستحق فاعله المدح من الله تعالى، والثواب في الآخرة، كالصدق والتواضع، والجود. والقبح: ما يستحق فاعله الذم من الله تعالى، والعقاب في الآخرة، كالكذب والتكبر، والبخل. وهذا النوع هو الذي جرى فيه الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة والجماعة[1].

المطلب الأول: الحُسن والقُبح لا يثبتان إلا بالشرع

وهو قول الأشعرية[2] ومن وافقهم وأصحاب مالك والشافعي وأحمد، كأبي الوليد الباجي، وأبي المعالي الجويني والقاضي أبي يعلى وغيرهم، وهو قول عموم الأشاعرة، وحاصل هذا القول: إن الأفعال لا تتصف بصفات تكون بها حسنة ولا سيئة ألبتة، وكون

---

(١) ينظر: ابن قدامة، **روضة الناظر**. ج١: ص١٢٩- ١٣٠. والايجي، **المواقف**. ج٣: ص٢٦٢. والشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ). **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول**. تحقيق أحمد عزو عناية. ط١. دار الكتاب العربي، (١٤١٩هـ=١٩٩٩م). ج١: ص٢٨.

(٢) أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد سنة (٣٢٤هـ). قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب. ينظر: الشهرستاني. **الملل والنحل**.ج١: ص٩٣. وابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج٣: ص٢٨٤.

الفعل حسناً وسيئاً إنما معناه أنه منهي عنه أو غير منهي عنه، وهذه الصفة إضافية لا تثبت إلا بالشرع، أي: إنهم ينفون الحسن والقبح العقليين ويقولون: إن ذلك لا يعرف إلا بالشرع فقط، وهذا هو مذهب الأشاعرة الذي يصرحون به في كتبهم الاعتقادية والأصولية؛ ففي «المواقف» يقول الإيجي[1]: «القبيح ما نهي عنه شرعا والحسن بخلافه ولا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها وليس ذلك عائداً إلى أمر حقيقي في الفعل يكشف عنه الشرع بل الشرع هو المثبت له والمبين ولو عكس القضية فحسن ما قبحه وقبح ما حسنه لم يكن ممتنعاً وانقلب الأمر»[2].

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

قال القرطبي[3]: «أي لم نترك الخلق سدى، بل أرسلنا الرسل. وفي هذا دليل على أن الأحكام لا تثبت إلا بالشرع، خلافاً للمعتزلة القائلين بأن العقل يقبح ويحسن ويبيح ويحظر»[4]. والشرع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما في معناهما وما كان بإذنهما.

وقال الشاطبي[5]: أن الأفعال والتروك من حيث هي أفعال أو تروك متماثلة عقلاً بالنسبة إلى ما يقصد بها؛ إذ لا تحسين للعقل ولا تقبيح[6].

المطلب الثاني: الحُسن والقُبح يثبتان بالعقل

وهو مذهب المعتزلة[7] على اختلاف بينهم في التفصيلات، وهذا القول يقع في مقابل القول الأول؛ إذ الحسن والقبح عند هؤلاء عقليان، لا يتوقف في معرفتهما وأخذهما عن الدليل السمعي، ويجعلون الحسن والقبح صفات ذاتية للفعل لازمة له، ويجعلون الشرع

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الإيجي، **المواقف**. ج٣: ص٢٦١-٢٦٢. وينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٥: ص٣٠. والجويني، **الارشاد**. ص٢٢٨. والشاطبي، **الموافقات**. ج٣: ص٢٨.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٠: ص٢٣١.

(٥) سبق ترجمته.

(٦) الشاطبي، **الموافقات**. ج٣: ص٢٨.

(٧) سبق ترجمتها.

كاشفاً عن تلك الصفات لا سبباً لشيء من الصفات، فقد قرَّ المعتزلة وجوب الاستجابة لداعي العقل فيما يمليه على صاحبه دون مخالفة أو عصيان، فإذا كَشَف عن حُسْن الحَسَن وجب فعْلُه، فمن فَعَلَهُ استحق الثواب، ومن لم يفعله وهو قادر على فعله استحق العقاب، وإذا كشف عن قُبْح القبيح وجب تَرْكُه، فمن تركه أُثيب، ومن أقدم على فعله عوقب.

وإلى ذلك ذهب أبو الحسين البصري[1] بقوله: «أما الحَسَنُ فهو فِعْلٌ إذا فعله القادر عليه لم يستحق الذم على وجه،... وأما القبيح فهو فِعلٌ له تأثير في استحقاق الذم»[2].

فقد رتب المعتزلة على هذا الأصل أموراً عديدة، منها: أن القبح في العقل يترتب عليه الذم والعقاب في الشرع، والحسن في العقل يترتب عليه المدح والثواب في الشرع، وأن الله سبحانه وتعالى يجب عليه أن يفعل ما استحسنه العقل ويحرم عليه أن يفعل ما استقبحه العقل، وأن المصلحة تنشأ من الفعل المأمور به فقط؛ كالصدق، والعفة، والإحسان، والعدل؛ فإن مصالحها ناشئة منها، وغير ذلك من الأمور المترتبة على هذا الأصل الفاسد واللوازم الملازمة له[3].

وهناك قولاً ثالثاً نجد فيه ضالتنا والذي فيه تقارب بين وجهة نظر كلا الرأيين ويمكن أن يحتكم إليه دون زلل أو خلل وحاصل هذا القول:

---

(١) هو محمد بن علي الطيب، أبو الحسين البصري، أحد أئمة المعتزلة، ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي بها سنة (٤٣٦هـ) المتكلم على مذهب المعتزلة وهو أحد أئمتهم الأعلام المشار إليه في هذا الفن، كان جيد الكلام مليح العبارة غزير المادة، إمام وقته، وله التصانيف الفائقة في أصول الفقه، منها: "المعتمد في أصول الفقه" و"تصفح الأدلة" و"شرح الأصول الخمسة" وغيرها. ينظر: ابن خلكان. **وفيات الاعيان**. ج٤: ص٢٧١. والخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد (ت٤٦٣هـ). **تاريخ بغداد**. تحقيق بشار عواد معروف. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م). ج٤: ص١٦٨.

(٢) أبو الحسين البصري، محمد بن علي الطيب المعتزلي (ت٤٣٦هـ). **المعتمد في أصول الفقه**. ط١. تحقيق خليل الميس. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٠٣هـ). ج١: ص٤.

(٣) ابن القيم. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**. بيروت: دار الكتب العلمية، ج٢: ص٥٩-٦٠.

أن الحسن والقبح يدركان بالعقل، ولكن ذلك لا يستلزم حكما في فعل العبد، بل يكون الفعل صالحاً لاستحقاق الأمر والنهي، والثواب والعقاب من الحكيم الذي لا يأمر بنقيض ما أدرك العقل حسنه، أو ينهى عن نقيض ما أدرك العقل قبحه؛ لأن ما أدرك العقل حسنه أو قبحه راجح ونقيضه مرجوح، بمعنى أن صفة الحسن في الفعل ترجح جانب الأمر به على جانب الأمر بنقيضه القبيح، وصفة القبح في الفعل ترجح جانب النهي عنه على جانب النهي عن نقيضه الحسن، عملاً في ذلك بمقتضى الحكمة التي هي صفة من صفات الله سبحانه؛ فلا حكم إلا من الخطاب الشرعي، ولا أمر ولا نهي إلا من قبل الشارع الحكيم(١).

ومجمل المسألة أن فيها ثلاثة مذاهب:

أحدها: أن حسن الأشياء وقبحها والثواب والعقاب عليها شرعيان، وهو قول الأشعرية.

والثاني: عقليان وهو قول المعتزلة.

والثالث: أن حسنها وقبحها ثابت بالعقل، والثواب والعقاب يتوقف على الشرع، فنسميه قبل الشرع حسناً وقبيحاً، ولا يترتب عليه الثواب والعقاب إلا بعد ورود الشرع، وهو الذي ذكره أسعد بن علي الزنجاني، وأبو الخطاب من الحنابلة، وذكره الحنفية وحكوه عن أبي حنيفة نصاً. وهو الراجح، لقوته من حيث النظر وآيات القرآن الكريم وسلامته من التناقض وإليه إشارات محققي متأخري الأصوليين والكلاميين، فليتفطن له(٢).



---

(١) ينظر: ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**. ج٢: ص٥٧ وما بعدها.

(٢) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ). **البحر المحيط في أصول الفقه**. تحقيق محمد محمد تامر. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢١هـ=٢٠٠٠م). ج١: ص١١٣.

المبحث الثالث

تفاوت العقل

اختلف الناس في تفاوت العقول من شخص لآخر على قولين: **الأول**: العقل يتفاوت من شخص لآخر وقالوا: إن العقل منحة إلهية تفضلَّ الله تبارك وتعالى بها على عباده، وفَضْلُ الله تعالى يتفاوت بحسب قابلية المحل واستعداده، فيزيد عند بعض الناس، وينقص عند البعض الآخر، ولو كان العقل على حالة واحدة لما كان كذلك، فالعقل مولود أعطي كل إنسان من العقل ما أراده الله تعالى، يتفاوتون في العقول مثل الذرة في السموات، ويطالب كل إنسان على قدر ما أعطاه الله تعالى من العقل(1).

والثاني: العقل لا يتفاوت، بل هو شيء واحد في جميع الناس لا يزيد ولا ينقص، وقالوا: إن العقل من العلوم الضرورية، وتلك لا تختلف في حق عاقل بل العقلاء في ذلك متساوون، وأنه لو كان أحد الناس أكمل عقلاً من الآخر لم يحصل لغير الكامل الغرض، وهو تأملَّ الأشياء ومعرفتها لأجل النقصان الذي حصل فيه، فلا يصح أن يكون عقل أكمل من عقل وأرجح، وإن أطلق ذلك كان تجوزاً، أو صرفاً إلى كثرة التجارب(2).

ولكي يتوضح لدينا الأمر ويترجح القول الصحيح نقف على تحقيقين في هذه المسألة، الأول: لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) رحمه الله، في كتابه «إحياء علوم الدين»، والثاني: لبدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) رحمه الله، في كتابه «البحر المحيط في أصول الفقه».

المطلب الأول: تحقيق الغزالي

حقَّق الغزالي رحمه الله تعالى في هذه المسألة وبيّن ما يتطرق اليه التفاوت من أقسام العقل بعد أن بيَّن أن العقل يطلق بالاشتراك على أربعة معان، كما يطلق اسم العين مثلاً على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه **فالأول**: الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو

---

(١) ينظر: أبو يعلى، **العدة**. ج١: ص٩٤. وابن النجار، **شرح الكوكب المنير**. ج١: ص٨٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: الزركشي، **البحر المحيط**. ج١: ص٦٨. وأبو يعلى، **العدة**. ج١: ص٩٤. وابن النجار، **شرح الكوكب المنير**. ج١: ص٨٦. وما بعدها.

الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، **والثاني**: هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد **والثالث**: علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فإن من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال إنه عاقل في العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبي غمر جاهل، **والرابع**: أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلاً من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب مايقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضاً من خواص الإنسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان[١].

وقال: «قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الأولى والأهم المبادرة إلى التصريح بالحق، والحق الصريح فيه أن يقال إن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، فإن من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضاً استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشيء الواحد قديماً حادثاً، وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه إدراكاً محققاً من غير شك وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها[٢].

وقال: «أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة، إذ قد يقدر العاقل ترك بعض الشهوات دون بعض، وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فإنهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوتاً في الغريزة وإما تفاوتاً في الممارسة»[٣].

ولم يذكر القسم الأول لكونه مشتركاً مع القسم الرابع لأن كلاهما من مميزات الإنسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان، لكن القسم الرابع من خواص الإنسان وهو الثمرة الأخيرة

---

(١) ينظر: أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**. ج١: ص٨٥ -٨٧.

(٢) أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج١: ص٨٧.

(٣) **المصدر نفسه**، ج١: ص٨٧ -٨٨.

والغاية القصوى لتحقيق انسانية الإنسان.

وهذا التحقيق الذي ذهب إليه الغزالي رحمه الله تعالى يجعل عدم التفاوت محصوراً فيما يتعلق بالعلوم الضرورية فقط، ومعنى ذلك أن «العقل الغريزي» وهو الذي ميَّز الله تبارك وتعالى به الإنسان عن البهائم قابل للتفاوت فيختلف فيه الناس بعضهم عن بعض بحسب اختلاف مداركهم ومعارفهم.

المطلب الثاني: تحقيق الزركشي

إن الزركشي[1] رحمه الله تعالى قد خالف في تحقيقه تحقيق الغزالي، فذهب إلى أن العقل الغريزي ليس قابلاً للتفاوت بعد أن بيّن أقسام العقل حيث قال: العقل ضربان غريزي وهو أصل، ومكتسب وهو فرع، فأما الغريزي فهو الذي يتعلق به التكليف، وأما المكتسب فهو الذي يؤدي إلى صحة الاجتهاد وقوة النظر، ويمتنع أن يتجرد المكتسب عن الغريزي، ولا يمتنع أن يتجرد الغريزي عن المكتسب، لأن الغريزي أصل يصح قيامه بذاته، والمكتسب فرع لا يصح قيامه إلا بأصله، ومن الناس من امتنع من تسمية المكتسب عقلاً؛ لأنه من نتائجه، ولا اعتبار بالتراع في التسمية إذا كان المعنى مسلماً[2].

ثم ذكر تفاوت العقل وأنها من المسائل التي اختلف فيها وقال: والأصح أنه لا يتفاوت، فلا يتحقق شخص أعقل من شخص، وإن أطلق ذلك كان تجوزاً، أو صرفاً إلى كثرة التجارب، وبعد أن قلنا إنه بعض العلوم الضرورية فلا يتحقق التفاوت فيها، والمعتزلة وكثير من الحنابلة أنه يتفاوت؛ لقوله عليه السلام: «**نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ**»[3]، والتحقيق: أنه إن

---

(١) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدة فنون، توفي سنة ٧٩٤هـ. ينظر: ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج٨: ص٥٧٢. وأبو المحاسن. **النجوم الزاهرة**. ج: ١٢: ص١٣٤.

(٢) ينظر: الزركشي. **البحر المحيط**. ج١: ص٦٨.

(٣) وهو جزء من حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ تَصَدَّقُوا**». ثُمَّ انْصَرَفَ فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: =

أُريد الغريزي فلا يتفاوت، أو التجريبي فلا شك في تفاوته[1].

ومعنى ذلك أن العقل الغريزي يستوي فيه كل الناس دون تفاوت، بل التفاوت بينهم إنما هو في العقل التجريبي، إذ الناس مختلفون في تجارهم قلةً وكثرة، وكلما كان الإنسان أكثر تجربة ازداد تعقُّلاً بشؤون هذه الحياة.

وبالموازنة بين هذين التحقيقين يتبين أهما متفقان على أن العلوم التجريبية محلٌ لتفاوت العقول فيها، إذ أن تلك العلوم خاضعة في قلتها وكثرتها للتجارب التي يخوض الناس غمارها قلةً وكثرةً، أو أنها خاضعة للبحث والنظر، والبحث والنظر مما يختلف باختلاف المدارك والقدرات.

وأن ما اختلفا فيه من كون العقل الغريزي قابلاً للتفاوت وعدمه، إذ يمكن تخريجه عن طريق الجمع بحمل القول بعدم التفاوت على العلوم الضرورية لاستواء جميع العقلاء في إدراكها، وحمل القول بالتفاوت على العلوم النظرية التي يختلف فيها الناس بحسب قلة وكثرة تجارهم، وبحسب اختلافهم في الاستعداد الذهني. وبهذا يتجلى فضل الله تعالى على جميع بني آدم حيث كرمهم ووهبهم هذه المنحة الإلهية (منحة العقل) على سواء فلا تفاوت من حيث المنحة الإلهية وإنما التفاوت في مدى استعداد الإنسان على بذل الجهد على كسب العلوم والمعارف والتجارب. قال تعالى: ﴿ **كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا** ﴾ [الإسراء: ٢٠].

=«**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**». فَقُلْنَ: وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ بِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ**». فَقُلْنَ لَهُ: مَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ**». قُلْنَ: بَلَى قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَوَلَيْسَ إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**». البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الحيض. باب ترك الحائض الصوم. ح (٢٩٨). ج١: ص١١٦. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان. باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات. ح (٧٩). ص٦٠. (واللفظ للبخاري).

(١) ينظر: الزركشي. **البحر المحيط**. ج١: ص٦٩.

المبحث الرابع

العقل والنقل

المطلب الأول: التكامل بين العقل والنقل

المقصود بالنقل هو الشرع أو الوحي المنزل المتمثل بالكتاب والسنة أو المصادر التبعية الاخرى التي تستند إلى المصدرين الاصليين (القرآن الكريم والسنة الصحيحة للنبي ﷺ)، فالعقل لا يمكن أن يكون بينه وبين الوحي الإلهي من تضاد أو تعارض، بل هما متعاضدان ومتكاملان، ومن خير من تطرق إلى هذا التكامل الإمام الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)[1] رحمه الله، حيث بوّب باباً بعنوان «في تظاهر العقل والشرع وافتقار احدهما إلى الآخر» وقال: اعلم ان العقل لن يهتدي الا بالشرع، والشرع لا يتبين الا بالعقل، فالعقل كالأُس، والشرع كالبناء، ولن يغني اسٌّ ما لم يكن بناءٌ، ولن يثبت بناءٌ ما لم يكن اسٌّ، وايضاً فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر، ولهذا قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، وأيضاً فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمده، فإن لم يكن زيت لم يحصل السراج، وما لم يكن سراج، لم يضئ الزيت. قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النور: ٣٥]، وأيضاً فالشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل، وهما متعاضدان بل متحدان ولكون الشرع عقلاً من خارج سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن نحو قوله:

---

(١) سبق ترجمته.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي: نور الشرع ونور العقل ثم قال: ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فجعلهما نوراً واحداً فالشرع اذا فقد العقل عجز عن أكثر الأمور عجز العين عند فقد الشعاع[1].

إنَّ الوحي المترل إلى الإنسان من لدن الخالق العظيم، مقصود به هداية الإنسان وتكميل إدراكاته بتحديد غايات الحياة الرشيدة للإنسان وتحديد مسؤولياته في هذه الحياة، وترشيد توجهاته فيها، ووصل إدراكه الجزئي بالمدركات الكلية فيما وراء الحياة، وعلاقات الكون والوجود، وكليات المركبات والعلاقات والمفاهيم الإنسانية والاجتماعية اللازمة لتمكين العقل الإنساني والإرادة الإنسانية من حمل مسؤولياتها، وترشيد جهودها وتصرفاتها وفق الغايات المحددة لها في هذه الحياة، ولذلك فالوحي والعقل ضروريان، ومتكاملان، لتحقيق الحياة الإنسانية الصحيحة في هذه الأرض[2].

فالله تعالى خلق العقول، وأعطاها قوة الفكر، وجعل لها حدا تقف عنده من حيث ما هي مفكرة، لا من حيث ما هي قابلة للوهب الإلهي، فإذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها ووفت النظر حقه، أصابت بإذن الله تعالى، وإذا سلطت الأفكار على ما هو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حده الله لها، ركبت متن عمياء، وخبطت خبط عشواء، فلم يثبت لها قدم، ولم ترتكن على أمر تطمئن إليه، فإن معرفة الله التي وراء طورها مما لا تستقل العقول بإدراكها من طريق الفكر وترتيب المقدمات، وإنما تدرك ذلك بنور النبوة وولاية المتابعة، فهو اختصاص إلهي يختص به الأنبياء وأهل وراثتهم مع حسن المتابعة، وتصفية القلب من وضر البدع والفكر من نزغات الفلسفة، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم[3].

---

(١) ينظر: الراغب، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ). **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**. مكتبة مشكاة. ص٣٩.

(٢) ينظر: الأحدب، خلدون محمد سليم. **"أثر علم أصول الحديث في تشكيل عقل المسلم"**. (بحث غير منشور). جدة: مجمع الفقه الإسلامي- منتدى الفكر الإسلامي، (١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م). ص٤.

(٣) ينظر: السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ). **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**. ط٢. دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م). ج١: ص١٠٥.

والعقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذلك، لكنه غريزة في النفس، وقوة فيها، بمترلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية، كانت الأقوال، والأفعال مع عدمه أموراً حيوانية، قد يكون فيها محبة، ووجد، وذوق كما قد يحصل للبهيمة، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة[1].

المطلب الثاني: صحيح المنقول لا يعارض صريح المعقول

إن القاعدة الكلية (صحيح المنقول لا يعارض صريح المنقول) تحمل في طياها جملة الحقائق المتقدمة في المطلب السابق، فما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح أبدا، لأن صريح المنقول أو الوحي هو من عند الله تعالى، وان العقل من مخلوقات الله تعالى فكيف هما يتعارضان؟ بل إهما يتوافقان ويتعاضدان. قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]. قال ابن تيمية[2]: فأنزل الله الكتاب حاكماً بين الناس فيما اختلفوا فيه، إذ لا يمكن الحكم بين الناس في موارد التراع والاختلاف على الإطلاق إلا بكتاب مترل من السماء، ولا ريب أن بعض الناس قد يعلم بعقله ما لا يعلمه غيره، وإن لم يمكنه بيان ذلك لغيره، ولكن ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة، وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلاها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع، وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار كمسائل التوحيد والصفات، ومسائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك، ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط، بل السمع الذي يقال إنه يخالفه: إما حديث موضوع، أو دلالة

---

(١) ينظر: ابن تيمية. **مجموع الفتاوى**. ج٣: ص٣٣٨-٣٣٩.

(٢) سبق ترجمته.

ضعيفة، فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالفه صريح المعقول؟[1].

وقال: «فلا يعلم حديث واحد يخالف العقل أو السمع الصحيح إلا وهو عند أهل العلم ضعيف، بل موضوع، بل لا يعلم حديث صحيح عن النبي (ﷺ) في الأمر والنهي أجمع المسلمون على تركه، إلا أن يكون له حديث صحيح يدل على أنه منسوخ، ولا يعلم عن النبي (ﷺ) حديث صحيح أجمع المسلمون على نقيضه، فضلاً عن أن يكون نقيضه معلوماً بالعقل الصريح البين لعامة العقلاء، فإن ما يعلم بالعقل الصريح البين أظهر مما لا يعلم إلا بالإجماع ونحوه من الأدلة السمعية[2].

ويتبين من ذلك أن العقل الصريح البعيد عن الظنون والأوهام، والخالي من شوائب الجهل والتقليد، لا يمكن أن يعارض النقل الصحيح بل يوافقه، لأن الوحي مصدر هداية، والعقل الإنساني مصدر هداية، وكلاهما يهدف إلى تحديد الطريق المستقيم في الحياة للإنسان، وإلى تحديد غايته الأخيرة في هذا الوجود، ذلك لابد أن يتوافقا في التحديد الإجمالي على الأقل بطريق الإنسان في حياته وغايته في وجوده.



---

(١) ينظر: ابن تيمية. **درء تعارض العقل والنقل**. ج١: ص١٤٧.

(٢) **المصدر نفسه**، ص١٥٠-١٥١.

الخاتمة

تتضمن الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها الباحث خلال هذه الدراسة، ثم التوصيات التي ينبغي أن يوصي بها الباحث لأهميتها:

۞ أولاً: النتائج:

١. إن الإنسان مخلوق مكرّم له الشرف والفضل، و لم يحظ مخلوق آخر بما حظي به الإنسان في الخطاب الإلهي، من تفضيل في النشأة والخَلق والعقل، وبذلك تأهّل ليكون موضع التكاليف الربانية، والعناية الإلهية بإرسال الرسل، وإنزال الكتب.

٢. إنه تعالى فضل الإنسان على سائر المخلوقات بأمور خَلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق والصورة الحسنة والقامة المديدة، ثم أنه عز وجل عرضه بواسطة العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة فالأول هو التكريم والثاني هو التفضيل.

٣. ميزان التفاضل بين الإنسان هو تقوى الله تبارك وتعالى، فمن الممكن أن يصل الإنسان بإيمانه وطاعته لله تعالى إلى مترلة تفوق مترلة الملائكة، وممكن أن يدنو به الكفر والفسوق والعصيان إلى مترلة الانعام بل أدنى منها.

٤. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ يشمل جميع أنواع التكريم الإلهي للإنسان، المعنوي أو الروحي، والجسدي، والعقلي.

٥. القرآن الكريم كتاب هداية وإصلاح، وللإسلام رؤية إصلاحية تنموية، وهذه الرؤية تحتاج إلى المجاهدة لاستخراجها، وما زالت كنوزها وجواهرها تحتاج إلى جهود العلماء الأتقياء لينفضوا عنها ما تراكم حولها من التصورات الخاطئة، ويبرزوا ما فيها من الخير، لإصلاح أحوال المجتمعات والحضارات.

٦. إن الإنسان كائن عظيم وعظمته ترجع إلى نسبه السماوي الروحي، لا إلى نسبه الأرضي المادي. والذي بوأ للإنسان هذه المكانة السامية هو سر القبس الذي هو فيه، والنفخة التي فيه من روح الله، تلك النفخة التي جعلته مستعدا للخلافة في الأرض، لحمل الأمانة الكبرى، أمانة التكليف والمسؤولية.

٧. الإنسان المؤمن مكرّم حياً وميتاً، فالتكريم الإلهي يحفّ بالإنسان من جميع جوانبه منذ أن خلقه الله سبحانه، وأودع فيه فطرة التوحيد والإسلام، وأسجد له ملائكته، وكلّفه بالعبادة والخلافة، وكرّمه في الحياة بالإيمان والهداية، وفي الآخرة بالجنان، إن اختار طريق الرحمن، لقد كرّم الله هذا الإنسان يوم خلق، ويوم يموت، ويوم يبعث حيّا.

٨. إن الإنسان لا يمكن أن يشعر بالسعادة الحقيقية إلا عندما يصل إلى حقيقة مهمة، ألا وهي الغاية من خلقه ومهمته على هذه الأرض، فإذا بقي دون أن يكشف سر وجوده والغاية من خلقه ومهمته، تصبح حياته قلقاً، وخوفاً، واضطرابات نفسية، وضيقاً، وفي بعض الأحيان تؤدي به إلى الانتحار.

٩. إن الله تعالى كرّم الإنسان بأن جعل له حصانة من كل ما يضر به نفسياً وعقلياً وجسدياً وسلوكياً.

١٠. إن مصادر التشريع الإسلامي اتفقت على حرمة دم الإنسان بغير حق، وتواترت بها الأدلة من الكتاب والسنة، حتى أصبحت مما عُلِمَ من الدين بالضرورة، لأن الإنسان معصوم الدم بأمر من خالقه سبحانه، فلا تُرفع عنه هذه العصمة إلا بأمر من خالقه سبحانه.

١١. يحرم امتهان الكرامة الإنسانية، لأن الإنسان جسد فيه الحياة، وروح يتسامى إلى الأعلى، فلا يقتصر حق الحياة على العيش وان كان مع المهانة والمذلة، بل وجب التلازم بين الحياة والكرامة.

١٢. الإسلام هو دين يكفل حرية الإنسان حتى في أهم جانب من جوانب الحياة، والذي هو التدين، فحرية التدين في الدنيا، وكون الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل غيره عند الله في الآخرة، هما أساسان لانطلاق نشر الإسلام في العصور الإسلامية المشرقة.

١٣. الحقوق في الإسلام هبة ومنحة منحها الله تعالى للإنسان، وليس من وضع الإنسان نفسه، والناس سواسية في الحقوق.

١٤. الإسلام كرّم المرأة تكريماً لم يسبق له في التاريخ مثيل، فقد كرّمها كإنسان، وكرّمها كأم، وكرّمها كأخت، وكرّمها كبنت، وكرّمها كزوجة. فدور المرأة في الشريعة الإسلامية وفي التأريخ الإسلامي هو دورٌ رئيس، وليس دوراً هامشياً.

١٥. العقل أهم خصائص الإنسان التي بموجبها فضّل الله الجنس الإنساني على سائر المخلوقات لذلك اعتبر الإسلام العقل مناط التكليف في سائر المسؤوليات الدينية والدنيوية، إذ به يهتدي الإنسان إلى الحقائق الكبرى التي دعا الله إلى الوصول إليها بالبراهين العقلية، لا بمجرد الإيمان الأعمى.

١٦. كرّم الله تعالى بني آدم جميعاً حيث وهبهم العقل على سواء فلا تفاوت من حيث المنحة الإلهية، وإنما التفاوت في مدى استعداد الإنسان على بذل الجهد على كسب العلوم والمعارف والتجارب.

١٧. إن العقل الصريح البعيد عن الظنون والأوهام، والخالي من شوائب الجهل والتقليد، لا يمكن أن يعارض مع النقل الصحيح بل يوافقه، لأن الوحي مصدر هداية، والعقل الإنساني مصدر هداية، وكلاهما يهدف إلى تحديد الطريق المستقيم في الحياة للإنسان.

۞ ثانياً: التوصيات:

يرى الباحث أن يوصي الباحثين والدارسين بالتوصيات الآتية:

١. توسيع البحث والدراسة في هذا المجال، والاهتمام بالدراسات القرآنية الموضوعية التي تمس الواقع المعاصر، وذلك لنشر ما في القرآن الكريم من القيم والثقافة والعلم.

٢. التركيز والتعمق في مجالات القيم الإنسانية وحقوق الإنسان، لإبراز كرامة الإنسان في القرآن وصيانة حقوقه، لسد أفواه الذين يربطون بين جرائم القتل والاعتداء على حقوق الإنسان وبين الآيات القرآنية، ظلماً وبهتاناً وزوراً.

٣. التوسع في البحث والدراسة في مجال حقوق الإنسان ومجالات تطبيقها في الحضارة الإسلامية ومدى ارتقاء الإنسان فيها معنوياً ومقارنتها بالحضارة المعاصرة وحال الإنسان فيها روحيا ومعنوياً.



المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. تحقيق علي عبد الباري عطية. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ).

٢. الآمدي، أبي الحسن علي بن أبي علي محمد (ت٦٣١هـ). **الأحكام في أصول الأحكام**. تحقيق سيد الجميلي. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي، (١٤٠٤هـ).

٣. إبراهيم مصطفى وآخرون. **المعجم الوسيط -** تحقيق مجمع اللغة العربية. دار الدعوة.

٤. ابن الأثير، أبو الحسن علي الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ). **جامع الأصول في أحاديث الرسول**. تحقيق عبد القادر الأرنؤوط. ط١. مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، (١٣٩١هـ=١٩٧١م).

٥. المؤلف نفسه، **الكامل في التاريخ**. تحقيق عمر عبد السلام تدمري. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي، (١٤١٧هـ=١٩٩٧م).

٦. المؤلف نفسه، **النهاية في غريب الحديث والأثر**. تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، (١٣٦٣هـ).

٧. أحمد، ابن حنبل. **المسند**. القاهرة: مؤسسة قرطبة.

٨. الاشقر، محمد سليمان عبد الله. **زبدة التفسير من فتح القدير**. ط١. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (١٩٨٥م).

٩. الألباني، محمد ناصر الدين. **صحيح الترغيب والترهيب**. ط٥. الرياض: مكتبة المعارف.

١٠. الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد. **كتاب المواقف**. تحقيق عبد الرحمن عميرة. ط١. بيروت: دار الجيل، (١٩٩٧م).

١١. أيوب: حسن. **السلوك الاجتماعي في الإسلام**. ط٤. بيروت: دار الندوة الجديدة، (١٩٨٣م).

١٢. البابانى، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (ت١٣٩٩هـ). **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**. استانبول: وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، (١٩٥١م).

١٣. بابير، علي. **مسائل عصرية رائجة: نظرة واقعية وتقييم شرعي**. ترجمة إحسان برهان الدين. ط١. أربيل: كردستان العراق، (٢٠٠٧م).

١٤. البار، محمد علي. **الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها**. ط٤. جدة: دار المنارة، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م).

١٥. باشا، أحمد فؤاد. **التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة**. ط١. القاهرة: دار المعارف، (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م).

١٦. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم (ت٤٠٣هـ). **إعجاز القرآن**. تحقيق أحمد صقر. القاهرة: دار المعارف.

١٧. المؤلف نفسه، **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل**. تحقيق عماد الدين أحمد حيدر. ط١. لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م).

١٨. البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ). **الادب المفرد**. ط٣. بيروت: دار البشائر الإسلامية، (١٤٠٩هـ=١٩٨٩م).

١٩. المؤلف نفسه. **صحيح البخاري**. تحقيق مصطفى ديب البغا. ط٣. بيروت: دار ابن كثير، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م).

٢٠. البدر، عبد المحسن بن حمد. **قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني**. ط١. الرياض: دار الفضيلة، (١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م).

٢١. البرهان فوري، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت٩٧٥هـ). **كنز العمال في سنن الاقوال والافعال**. مؤسسة الرسالة.

٢٢. البستي، علي بن محمد بن الحسين، أَبُو الفَتح (ت٤٠٠هـ). **قصيدة عنوان الحكم**. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. ط١. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م).

٢٣. ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف القرطبي. **شرح صحيح البخاري**. تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط٢. السعودية- الرياض: مكتبة الرشد، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م).
٢٤. البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت٥١٦هـ). **معالم التنزيل**. تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون. ط٤. دار طيبة للنشر والتوزيع، (١٤١٧هـ=١٩٩٧م).
٢٥. البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ =١٩٩٥م).
٢٦. البهي، محمد. **الإسلام كنظام للحياة**. ط٢. القاهرة: دار التضامن، (١٩٨٢م).
٢٧. البوطي، محمد سعيد رمضان. **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**. ط١. دمشق: دار الفكر، (١٩٨٢م).
٢٨. بيجوفيتش، علي عزت. **الإسلام بين الشرق والغرب**. ترجمة محمد يوسف عدس. مصر: مؤسسة بافاريا، سلسلة نافذة على الغرب العدد (٢).
٢٩. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت٦٨٥هـ). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٤١٨هـ).
٣٠. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ). **شعب الإيمان**. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٠هـ).
٣١. التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب. **مشكاة المصابيح**. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. ط٣. بيروت: المكتب الإسلامي، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م).
٣٢. الترمذي، محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ). **سنن الترمذي**. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. ط١. الرياض: مكتبة المعارف.
٣٣. التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، **موسوعة الفقه الإسلامي**. ط١. بيت الأفكار الدولية، (١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م).

٣٤. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. **درء تعارض العقل والنقل**. تحقيق محمد رشاد سالم. ط٢. المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤١١هـ =١٩٩١م).
٣٥. المؤلف نفسه. **رسالة جواب أهل العلم والإيمان أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن**. مكتبة مشكاة الإسلامية. نسخة (word).
٣٦. المؤلف نفسه. **السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية**. دار المعرفة.
٣٧. المؤلف نفسه. **العبودية**. تحقيق محمد زينهم محمد عزب. دار القلم للتراث.
٣٨. المؤلف نفسه. **الفتاوى الكبرى**. تحقيق حسنين محمد مخلوف. ط١. بيروت: دار المعرفة، (١٣٨٦هـ).
٣٩. المؤلف نفسه. **مجموع الفتاوى**. تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المملكة العربية السعودية- المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (١٤١٦هـ=١٩٩٥م).
٤٠. الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد المالكي (ت٨٧٥هـ). **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**. تحقيق علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود وعبد الفتاح أبو سنّة. ط١. لبنان- بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربي، (١٤١٨هـ=١٩٩٧م).
٤١. جابر، قاسم حبيب. **الإسلام بين البداوة والحضارة**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م).
٤٢. الجرجاني، علي بن محمد بن علي. **كتاب التعريفات**. تحقيق عادل انور خضر. ط١. بيروت: دار المعرفة، (١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م).
٤٣. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف (ت٨٣٣هـ). **شرح طيبة النشر في القراءات**. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م).
٤٤. الجصاص، أحمد بن علي الرازي، أبو بكر (ت٣٧٠هـ). **أحكام القرآن**. تحقيق محمد الصادق قمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي (١٤٠٥هـ).

٤٥. المؤلف نفسه. **الفصول في الأصول**. تحقيق عجيل جاسم النشمي. ط١. الكويت: وزارة الأوقاف والشئون، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م).
٤٦. الجلالين، جلال الدين المحلي. وجلال الدين السيوطي. **تفسير الجلالين**. ط١. القاهرة: دار الحديث.
٤٧. جمعة، علي. **المرأة في الحضارة الإسلامية بين نصوص الشرع وتراث الفقه والواقع المعيش**. ط٢. القاهرة: دار السلام، (١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م).
٤٨. الجمل، حسن عز الدين بن حسين. **معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن «مخطوطة الجمل»**. ط١. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٢٠٠٨م).
٤٩. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ). **زاد المسير في علم التفسير**. تحقيق عبد الرزاق المهدي. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي، (١٤٢٢هـ).
٥٠. المؤلف نفسه. **سيرة عمر بن الخطاب**. الاسكندرية: دار ابن خلدون.
٥١. المؤلف نفسه. **صفة الصفوة**. تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي. ط٢. بيروت: دار المعرفة، (١٣٩٩هـ=١٩٧٩م).
٥٢. المؤلف نفسه. **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**. تحقيق إرشاد الحق الأثري. ط٢. باكستان - فيصل آباد: إدارة العلوم الأثرية، (١٤٠١هـ=١٩٨١م).
٥٣. المؤلف نفسه. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٢هـ =١٩٩٢م).
٥٤. المؤلف نفسه. **ناسخ القرآن ومنسوخه**. تحقيق أبو عبد الله العاملي. ط١. بيروت: شركة أبناء شريف الأنصاري، (١٤٢٢هـ=٢٠٠١م).
٥٥. المؤلف نفسه. **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**. تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م).
٥٦. الجوهري، إسماعيل بن حماد. **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. القاهرة: (١٩٨٢م).

٥٧. الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالي (ت٤٧٨هـ). **البرهان في أصول الفقه**. تحقيق عبد العظيم محمود الديب. ط٤. مصر - المنصورة: دار الوفاء، (١٤١٨هـ).

٥٨. المؤلف نفسه. **غياث الأمم في التياث الظلم**. ط٢. تحقيق عبد العظيم الديب. مكتبة إمام الحرمين، (١٤٠١هـ).

٥٩. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي (ت٣٢٧هـ). **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق أسعد محمد الطيب. ط٣. المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، (١٤١٩هـ).

٦٠. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت١٠٦٧هـ). **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. بغداد: مكتبة المثنى، (١٩٤١م).

٦١. الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري. **المستدرك على الصحيحين**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١١هـ =١٩٩٠م).

٦٢. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**. تحقيق شعيب الأرنؤوط. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤١٤هـ=١٩٩٣م).

٦٣. الحجازي، محمد محمود. **التفسير الواضح**، ط١٠. بيروت: دار الجيل، (١٤١٣هـ).

٦٤. الحجاوي، موسى بن أحمد المقدسي، أبو النجا (ت٩٦٨هـ). **زاد المستقنع في اختصار المقنع**. تحقيق عبد الرحمن بن علي بن محمد العسّكر. الرياض: دار الوطن للنشر.

٦٥. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. تحقيق محمد عبد المعيد ضان. ط٢. الهند - صيد آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، (١٣٩٢هـ=١٩٧٢م).

٦٦. المؤلف نفسه. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. ط٢. بيروت: دار المعرفة.

٦٧. المؤلف نفسه. **لسان الميزان**. تحقيق دائرة المعرف النظامية- الهند. ط٣. بيروت: مؤسسة الأعلمي، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م).
٦٨. أبو الحسين البصري، محمد بن علي الطيب المعتزلي (ت٤٣٦هـ). **المعتمد في أصول الفقه**. ط١. تحقيق خليل الميس. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٠٣هـ).
٦٩. حسين، محمد بن علي المالكي (ت١٣٦٧هـ). **تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية**. بحاشية الفروق للقرافي.
٧٠. الحقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي. **تفسير روح البيان**. دار إحياء التراث العربي.
٧١. حوى، سعيد. **الأساس في التفسير**. ط٣. القاهرة: دار السلام، (١٩٩١م)،
٧٢. المؤلف نفسه. **الإسلام**. ط٣. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٩٨١م).
٧٣. المؤلف نفسه. **المستخلص في تزكية الأنفس**. ط١٢. القاهرة: دار السلام، (١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م).
٧٤. الخادمي، نور الدين بن مختار. **علم المقاصد الشرعية**. ط١. الرياض: مكتبة العبيكان، (١٤٢١هـ).
٧٥. الخازن، علاء الدين علي بن محمد، أبو الحسن (ت ٧٤١هـ). **لباب التأويل في معاني التنزيل**. تحقيق محمد علي شاهين. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ).
٧٦. خضر، محمد زكي محمد. **معجم كلمات القرآن الكريم**. مكتبة المشكاة، (١٤٢٦هـ =٢٠٠٥م).
٧٧. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد (ت٤٦٣هـ). **تاريخ بغداد**. تحقيق بشار عواد معروف. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (١٤٢٢هـ =٢٠٠٢م).
٧٨. الخطيب الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الشافعي (ت ٩٧٧هـ). محمد بن أحمد (ت ٩٧٧هـ). **السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٧٩. المؤلف نفسه. **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**. ط١. دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ=١٩٩٤م).

٨٠. خلاف، عبد المنعم. **المادية الإسلامية وأبعادها**. ط٢. القاهرة: دار المعارف.

٨١. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد الإربلي (ت٦٨١هـ). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر.

٨٢. خلوف، علي بن مصطفى. **مهذب تفسير الجلالين**. ط١. دمشق: مؤسسة الرسالة، (٢٠٠٠م).

٨٣. أبو خليل، شوقي. **الحضارة العربية الإسلامية**. ط٢. ليبيا - طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، (١٢٠٢هـ-١٩٩٣م).

٨٤. خليل، عماد الدين. **أصول تشكيل العقل المسلم**. ط١. بيروت: دار ابن كثير، (١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م).

٨٥. الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي (ت ٣٨٥هـ). **الضعفاء والمتروكون**. تحقيق عبد الرحيم محمد القشقري. المدينة المنورة: مجلة الجامعة الإسلامية، (١٤٠٣هـ).

٨٦. الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت٢٥٥هـ). **مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)**. ط١. السعودية - الرياض: دار المغني، (١٤٢١هـ =٢٠٠٠م).

٨٧. الدارمي، الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد. **نقض الإمام عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما إفترى على الله عزو جل من التوحيد**. تحقيق رشيد ابن حسن الألمعي. ط١. الرياض: مكتبة الرشيد، (١٩٩٨م).

٨٨. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ). **سنن أبي داود**. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. الرياض: مكتبة المعارف.

٨٩. الدباغ، حامد عبد الستار. **نظرية الحق في الفقه الإسلامي**. ط١. بغداد: ديوان

الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، العدد (٣٤)، (٢٠٠٨م).
٩٠. ابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري (ت٧٠٢هـ). **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**. تحقيق مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس. ط١. مؤسسة الرسالة، (١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م).
٩١. دياب، عبد الحميد وقرقوز، أحمد. **مع الطب في القرآن الكريم**. ط٢. دمشق: مؤسسة علوم القرآن، (١٤٠٢ هـ=١٩٨٢م).
٩٢. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت٧٤٨هـ). **سير أعلام النبلاء**. تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط. ط٣. مؤسسة الرسالة، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م).
٩٣. الذهبي، محمد السيد حسين (ت١٣٩٨هـ). **التفسير والمفسرون**. القاهرة: مكتبة وهبة.
٩٤. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. **مختار الصحاح**. تحقيق محمود خاطر. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، (١٤١٥هـ=١٩٩٥م).
٩٥. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ).**المفردات في غريب القرآن**. تحقيق محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة.
٩٦. المؤلف نفسه. **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**. مكتبة مشكاة.
٩٧. ابن رجب الحنبلي، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي (٧٣٦- ٧٩٥هـ). **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**. تحقيق ماهر ياسين الفحل. مؤسسة الأميرة العنود بنت عبد العزيز الخيرية.
٩٨. رشيد رضا، محمد. **تفسير المنار**. ط٢. القاهرة: دار المنار، (١٣٦٦هـ=١٩٤٧م).
٩٩. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق (ت ٣١١هـ). **معاني القرآن وإعرابه**. تحقيق عبد الجليل عبده شلبي. ط١. بيروت: عالم الكتب، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م).
١٠٠. الزحيلي، محمد. **التكريم الإلهي للإنسان**. ط١. بيروت: الدار الشامية. دمشق: دار القلم، (١٤١٥هـ=١٩٩٥م).

١٠١. المؤلف نفسه. **حقوق الإنسان في الإسلام**. ط٥. دمشق، بيروت: دار ابن كثير، (١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م).

١٠٢. الزحيلي، وهبة بن مصطفى. **التفسير الوسيط**. ط١. دمشق: دار الفكر، (١٤٢٢هـ).

١٠٣. المؤلف نفسه. **الفقه الإسلامي وأدلته**. ط١٢. دمشق: دار الفكر.

١٠٤. الزرقا، مصطفى أحمد. **المدخل الفقهي العام**. ط١. دمشق: دار القلم، (١٤١٨هـ =١٩٩٨م).

١٠٥. الزرقاني، محمد عبد العظيم. **مناهل العرفان في علوم القرآن**. ط١ بيروت: دار الكتاب العربي، (١٤١٥هـ =١٩٩٥م).

١٠٦. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ). **البحر المحيط في أصول الفقه**. تحقيق محمد محمد تامر. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢١هـ=٢٠٠٠م).

١٠٧. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (ت١٣٩٦هـ). **الأعلام**. ط١٥. دار العلم للملايين، (٢٠٠٢م).

١٠٨. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي. **الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. تحقيق عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٠٩. أبو زيد، فوزي محمد. **بشائر المؤمن عند الموت**. ط١. القاهرة: دار الإيمان والحياة، (١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م).

١١٠. زيدان، عبد الكريم. **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**. ط١. طهران: دار إحسان، (١٩٩٣م).

١١١. المؤلف نفسه.. **الوجيز في أصول الفقه**. مؤسسة قرطبة.

١١٢. المؤلف نفسه. **الوجيز في شرح القواعد الفقهية في الشريعة الإسلامية**. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٢٢هـ=٢٠٠١م).

١١٣. السباعي، مصطفى. **اشتراكية الإسلام**. ط٢. مصر: الدار القومية.

١١٤. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت٧٧١هـ). **الأشباه والنظائر**- ط١. دار الكتب العلمية، (١٤١١هـ=١٩٩١م).

١١٥. المؤلف نفسه. **طبقات الشافعية الكبرى**. تحقيق محمود محمد وعبد الفتاح محمد الحلو. ط٢. هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤١٣هـ).

١١٦. السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي (ت٧٥٦هـ). **الإبهاج في شرح المنهاج**. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٦هـ=١٩٩٥م).

١١٧. السحمراني، أسعد. **المرأة في التاريخ والشريعة**. ط٢. بيروت: دار النفائس، (١٤١٧هـ =١٩٩٧م).

١١٨. السحيم، محمد بن عبد الله بن صالح. **الإسلام أصوله ومبادؤه**. ط١. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. (١٤٢١هـ).

١١٩. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ). **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. بيروت: دار مكتبة الحياة.

١٢٠. السرخسي، أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت٤٩٠هـ).**أصول السرخسي**. تحقيق أبو الوفاء الافغاني. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٤هـ=١٩٩٣م).

١٢١. سركيس، يوسف بن إليان بن موسى (ت١٣٥١هـ). **معجم المطبوعات العربية والمعربة**. مصر: مطبعة سركيس، (١٣٤٦هـ=١٩٢٨م).

١٢٢. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط١. مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م).

١٢٣. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٢٤. السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد الحنبلي (ت١١٨٨هـ). **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**. ط٢. دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م).

١٢٥. السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد (ت٤٨٩هـ). **تفسير القرآن.** تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط١. الرياض - السعودية: دار الوطن، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

١٢٦. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي. **المخصص** تحقيق خليل إبراهم جفال. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٤١٧هـ= ١٩٩٦م).

١٢٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). **الإتقان في علوم القرآن.** تحقيق سعيد المندوب. ط١. بيروت: دار الفكر، (١٤١٦هـ=١٩٩٦م).

١٢٨. المؤلف نفسه. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. لبنان -صيدا: المكتبة العصرية.

١٢٩. المؤلف نفسه. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور.** بيروت: دار الفكر، (١٩٩٣).

١٣٠. المؤلف نفسه. **ذيل طبقات الحفاظ للذهبي.** تحقيق الشيخ زكريا عميرات. دار الكتب العلمية.

١٣١. المؤلف نفسه. **لباب النقول في أسباب النزول.** بيروت: دار الكتب العلمية.

١٣٢. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ). **الموافقات في أصول الشريعة.** تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط١. دار ابن عفان، (١٤١٧هـ=١٩٩٧م).

١٣٣. الشافعي، محمد بن إدريس بن شافع الهاشمي القريشي المطلبي (ت٢٠٤هـ). **ديوان الإمام الشافعي.** تحقيق عبد الرحمن المصطاوي. ط٣. بيروت: دار المعرفة، (١٤٢٦هـ=٢٠٠٥).

١٣٤. ابن شاكر صلاح الدين، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر (ت٧٦٤هـ). **فوات الوفيات.** تحقيق إحسان عباس. ط١. بيروت: دار صادر، (١٩٧٤م).

١٣٥. شاكر، أحمد. **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير.** ط٢. المنصورة: دار الوفاء، (١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م).

١٣٦. الشعراوي، محمد متولي. **المرأة في القرآن**. مكتبة الشعراوي الإسلامية.

١٣٧. شلتوت، محمود. **الإسلام عقيدة وشريعة**. ط١٨. القاهرة: دار الشروق، (٢٠٠١م).

١٣٨. المؤلف نفسه. **من توجيهات الإسلام**. ط٨. القاهرة: دار الشروق، (١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م).

١٣٩. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. تحقيق مكتب البحوث والدراسات. بيروت: دار الفكر، (١٤١٥هـ=١٩٩٥م).

١٤٠. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت٥٤٨هـ). **الملل والنحل**. تحقيق محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة، (١٤٠٤هـ).

١٤١. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ). **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول**. تحقيق أحمد عزو عناية. ط١. دار الكتاب العربي، (١٤١٩هـ=١٩٩٩م).

١٤٢. المؤلف نفسه. **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. بيروت: دار المعرفة.

١٤٣. المؤلف نفسه. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. ط١. دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، (١٤١٤ هـ).

١٤٤. المؤلف نفسه. **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقي الأخبار**. بيروت: دار الجيل.

١٤٥. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد الكوفي العبسي (ت٢٣٥هـ).**المصنف في الأحاديث والآثار**. دار الفكر.

١٤٦. شيخي زاده، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي (ت١٠٧٨هـ). **مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر**. تحقيق خليل عمران المنصور. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٩هـ=١٩٩٨م).

١٤٧. الصابوني، محمد علي. **صفوة التفاسير**. مكة المكرمة: دار الصابوني.

١٤٨. صادق، آمال. وأبو حطب، فؤاد. **نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين**. ط٤. مكتبة الأنجلو المصرية.

١٤٩. الصعيدي، عبد الحكم عبد اللطيف. **الأسرة المسلمة أسس ومبادئ**. ط١. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، (١٤١٣هـ=١٩٩٣م).

١٥٠. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ). **الوافي بالوفيات**. تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث، (١٤٢٠هـ =٢٠٠٠م).

١٥١. الصلابي، علي محمد الصلابي. **تبصير المؤمنين بـ(فقه النصر والتمكين) في القرآن الكريم**. الاسكندرية: دار الإيمان، (٢٠٠٢م).

١٥٢. الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح المعروف بالأمير (ت١١٨٢هـ). **الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف**. تحقيق عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. ط١. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، (١٤٢١هـ).

١٥٣. المؤلف نفسه. **سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام**. دار الحديث.

١٥٤. طبّارة، عفيف عبد الفتاح. **روح الصلاة في الإسلام**. ط١٢. بيروت: دار العلم للملايين، (١٩٨١م).

١٥٥. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. **المعجم الأوسط**. تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. القاهرة: دار الحرمين، (١٤١٥هـ).

١٥٦. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤- ٣١٠هـ). **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. تحقيق أحمد محمد شاكر. ط١. مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م).

١٥٧. طنطاوي، محمد سيد. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**. ط١. القاهرة: دار نهضة مصر، (١٩٩٧م).

١٥٨. ابن عادل، سراج الدين عمر بن علي (ت٧٧٥هـ). **اللباب في علوم الكتاب**. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٩هـ=١٩٩٨م).

١٥٩. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت١٣٩٣هـ). **تفسير التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية، (١٩٨٤هـ).

١٦٠. العاني، إبراهيم عبد الرحمن عبد العزيز. **الموازنة بين المصالح والمفاسد في ضوء مقاصد الشريعة**. ط١. العراق- بغداد: ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة (٦). (٢٠٠٦م).

١٦١. العباد، عبد المحسن. **شرح سنن أبي داود**. الشبكة الإسلامية.

١٦٢. عباس، عباس. **موسوعة الحضارات**. ط١. بيروت: دار اليوسف، (٢٠٠٦م).

١٦٣. ابن عباس، عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) (ت٦٨هـ). **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٦٤. عبد الباقي، محمد فؤاد. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. القاهر: دار الكتب المصرية.

١٦٥. عبد الحميد، محسن. **الفكر الإسلامي: تجديده وتقويمه**، ط١. العراق- الرمادي: مكتبة دار الانبار، (١٤٠٨هـ=١٩٨٧م).

١٦٦. المؤلف نفسه. **المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري**. ط١. قطر: سلسلة كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، (١٤٠٤هـ).

١٦٧. عبد الحي الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي (ت١٣٨٢هـ). **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**. تحقيق إحسان عباس. ط٢. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (١٩٨٢هـ).

١٦٨. أبو عبد الرحمن السلمي، محمد بن الحسين بن محمد النيسابوري، (ت٤١٢هـ). **طبقات الصوفية**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٩هـ=١٩٩٨م).

١٦٩. عبد الرحمن، فاضل عبد الواحد. **الأنموذج في أصول الفقه**. بغداد: دار الحكمة، (١٩٨٧م).

١٧٠. عبد العزيز، محمد كمال. **لماذا حرم الله هذه الأشياء**. القاهرة: مكتبة القرآن.

١٧١. عبد اللطيف، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله. **مشاهير علماء نجد وغيرهم**. ط١. الرياض: دار اليمامة، (١٣٩٢هـ=١٩٧٢م).

١٧٢. عثمان، نبيه عبد الرحمن. **الإنسان؛ الروح والعقل والنفس**. مكة المكرمة: سلسلة دعوة الحق (٧٠). (١٤٠٨هـ=١٩٨٧م).

١٧٣. ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت١٤٢١هـ). **الشرح الممتع على زاد المستقنع**. ط١. دار ابن الجوزي، (١٤٢٨هـ).

١٧٤. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني (ت ١٢٢٤هـ). **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**. تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٩ هـ).

١٧٥. ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين الصالحي الدمشقي (ت ٧٩٢هـ). **شرح العقيدة الطحاوية**. تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن المحسن التركي. ط١٠. بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤١٧هـ=١٩٩٧م).

١٧٦. العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ). **أحكام الجهاد وفضائله**. تحقيق نزيه كمال حماد. ط١. جدة: مكتبة دار الوفاء، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م).

١٧٧. المؤلف نفسه. **الفوائد في اختصار المقاصد**. تحقيق إياد خالد الطباع. ط١. دمشق: دار الفكر المعاصر، (١٤١٦هـ).

١٧٨. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٢هـ).

١٧٩. العقاد، عباس محمود. **الإنسان في القرآن الكريم**. القاهرة: دار الإسلام.

١٨٠. المؤلف نفسه. **المرأة في القرآن**. شركة نهضة مصر.

١٨١. عكام، محمود. **الإسلام والإنسان**. ط٢. حلب: فصلت للدراسات والترجمة والنشر، (١٤١٩هـ=١٩٩٩).

١٨٢. علاء الدين البخاري، عبد العزيز بن أحمد بن محمد الحنفي (ت٧٣٠هـ). **كشف الأسرار شرح أصول البزدوي**. دار الكتاب الإسلامي.

١٨٣. علوان، عبد الله ناصح. **معالم الحضارة الإسلامية وأثرها في النهضة الأوروبية**. ط٤. القاهرة: دار السلام، (١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م).

١٨٤. ابن العماد العكبري، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت١٠٨٩هـ). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. تحقيق محمود الأرناؤوط. ط١. بيروت: دار كثير، (١٤٠٦ هـ=١٩٨٦ م).

١٨٥. العمري، أكرم ضياء. **عصر الخلافة الراشدة**. مكتبة العبيكان.

١٨٦. العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفي (ت٨٥٥هـ). **البناية شرح الهداية**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م).

١٨٧. المؤلف نفسه. **شرح سنن أبي داود**. تحقيق أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري. ط١. الرياض: مكتبة الرشد، (١٤٢٠هـ=١٩٩٩م).

١٨٨. المؤلف نفسه. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٨٩. أبو العينين، عماد حسن. **حقوق الإنسان في الإسلام**. مؤسسة العلياء للنشر والتوزيع، مكتبة صيد الفوائد.

١٩٠. الغالي، بلقاسم. **شيخ الجامع الاعظم محمد الطاهر ابن عاشور؛ حياته وآثاره**. ط١. بيروت: دار ابن حزم، (١٤١٧هـ=١٩٩٦م).

١٩١. الغامدي، عبد اللطيف بن سعيد. **حقوق الإنسان في الإسلام**. ط١. الرياض: أكاديمية نايف للعلوم الامنية، مركز الدراسات والبحوث، (١٤٢١هـ=٢٠٠٠م).

١٩٢. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥ هـ). **إحياء علوم الدين**. بيروت: دار المعرفة.

١٩٣. المؤلف نفسه. **كيمياء السعادة**. نسخة (text): مكتبة مصطفى الالكترونية.

١٩٤. المؤلف نفسه. **المستصفى في علم الاصول**. تحقيق محمد بن سليمان الأشقر. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤١٧هـ=١٩٩٧م).

١٩٥. المؤلف نفسه. **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**. تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي. قبرص: الجفان والجابي للنشر، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م).

١٩٦. المؤلف نفسه. **المنخول في تعليقات الأصول**. تحقيق محمد حسن هيتو. ط٢. دمشق: دار الفكر، (١٤٠٠هـ).

١٩٧. الغزالي، محمد. **الجانب العاطفي من الإسلام**. ط١. مصر- الاسكندرية: دار الدعوة، (١٤١٠هـ=١٩٩٠م).

١٩٨. الغزالي، محمد. **فقه السيرة**. دار الشروق.

١٩٩. الغزنوي، جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (ت٥٩٣هـ). **أصول الدين**. تحقيق عمر وفيق الداعوق. ط١. بيروت: دار البشائر الإسلامية، (١٤١٩هـ=١٩٩٨م).

٢٠٠. الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت١٠٦١هـ). **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**. تحقيق خليل المنصور. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٨هـ =١٩٩٧م).

٢٠١. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ). **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق عبد السلام محمد هارون. اتحاد الكتاب العرب. (١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م).

٢٠٢. الفاروقي، إسماعيل راجي. **أسلمة المعرفة: المبادئ العامة وخطة عمل**. ترجمة عبد الوارث سعيد. الكويت: دار البحوث العلمية، (١٩٨٣م).

٢٠٣. الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦هـ). **مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير**. ط٣. بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٤٢٠هـ).

٢٠٤. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. **القاموس المحيط**. بيروت: دار الجيل.

٢٠٥. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**. بيروت: المكتبة العلمية.

٢٠٦. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (ت١٣٣٢هـ). **تفسير القاسمي؛ محاسن التأويل**. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٨هـ).

٢٠٧. القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ). **العدة في أصول الفقه**. تحقيق أحمد بن علي بن سير المباركي. ط٢. (١٤١٠هـ=١٩٩٠م).

٢٠٨. ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد الشهير بابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ). **روضة الناظر وجنة المناظر**. تحقيق عبد العزيز عبد الرحمن السعيد. ط٢. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، (١٣٩٩هـ).

٢٠٩. المؤلف نفسه. **المغني**. مكتبة القاهرة، (١٣٨٨هـ=١٩٦٨م).

٢١٠. القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (ت ٦٨٤هـ). **الذخيرة**. تحقيق محمد حجي وسعيد أعراب ومحمد بو خبزة. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (١٩٩٤م).

٢١١. المؤلف نفسه. **الفروق؛ أنوار البروق في أنواء الفروق**. عالم الكتب.

٢١٢. القرضاوي، يوسف. **الإسلام حضارة الغد**. ط١. القاهرة: مكتبة وهبة، (١٤١٦هـ =١٩٩٥م).

٢١٣. المؤلف نفسه. **الأقليات الدينية والحل الإسلامي**. ط١. عمّان: دار الفرقان، سلسلة رسائل ترشيد الصحوة (٨)، (١٩٩٦م).

٢١٤. المؤلف نفسه. **الحلال والحرام في الإسلام**. ط١٣. بيروت: المكتب الإسلامي، (١٤٠٠هـ=١٩٨٠).

٢١٥. المؤلف نفسه. **الحياة الربانية والعلم**. سلسلة تيسير فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة. في الطريق إلى الله (١). ط١. عمان: دار الفرقان، (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م).

٢١٦. المؤلف نفسه. **العقل والعلم في القرآن الكريم**. ط١. القاهرة: مكتبة وهبة، (١٤١٦هـ= ١٩٩٦م).
٢١٧. المؤلف نفسه. **دراسة في فقه المقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، (٢٠٠٦م).
٢١٨. المؤلف نفسه. **دور القيم والأخلاق في الاقتصاد**. ط١. القاهرة: مكتبة وهبة، (١٤١٥هـ=١٩٩٥م).
٢١٩. المؤلف نفسه. **كيف نتعامل مع القرآن الكريم**. الدوحة: جامعة قطر، مركز بحوث السنة والسيرة، (١٩٩٧م).
٢٢٠. المؤلف نفسه. **قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام**. ط١. القاهرة: مكتبة وهبة، (٢٠٠٤م).
٢٢١. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت ٦٧١هـ). **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**. تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم. ط١. الرياض: دار المنهاج، (١٤٢٥ هـ).
٢٢٢. المؤلف نفسه. **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢. القاهرة: دار الكتب المصرية، (١٣٨٤هـ=١٩٦٤م).
٢٢٣. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت٤٦٥هـ). **لطائف الإشارات**. تحقيق إبراهيم البسيوني. ط٣. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٢٤. القطان، مناع. **مباحث في علوم القرآن**. ط١١. القاهرة: مكتبة وهبة، (٢٠٠٠م)
٢٢٥. قطب، سيد. **في ظلال القرآن**. دار الشروق.
٢٢٦. قطب، محمد. **الإنسان بين المادية والإسلام**. ط١٢. القاهرة: دار الشروق، (١٩٩٧م).
٢٢٧. المؤلف نفسه. **مذاهب فكرية معاصرة**. ط١. دار الشروق، (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م).
٢٢٨. المؤلف نفسه. **مفاهيم ينبغي أن تصحح**. ط٨. القاهرة- مصر: دار الشروق، (١٩٩٤م).

٢٢٩. المؤلف نفسه. **منهج التربية الإسلامية**. ط١٦. دار الشروق.

٢٣٠. قوش، سليمان. **حكمة وأسباب تحريم لحم الخنزير في العلم والدين**. القاهرة: دار البشير.

٢٣١. القيرواني، ابن أبي زيد عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٣٨٦هـ). **رسالة القيرواني**. مكتبة المسجد النبوي.

٢٣٢. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية (ت٧٥١هـ). **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١١هـ =١٩٩١م).

٢٣٣. المؤلف نفسه. **التبيان في أقسام القرآن**. دار الفكر.

٢٣٤. المؤلف نفسه. **الروح**. ط١. بيروت: دار المعرفة، (١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م).

٢٣٥. المؤلف نفسه. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٣٦. الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي (ت٥٨٧هـ). **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م).

٢٣٧. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ). **البداية والنهاية**. دار الفكر، (١٤٠٧هـ=١٩٨٦م).

٢٣٨. المؤلف نفسه. **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق سامي بن محمد السلامة. ط٢. دار طيبة، (١٤٢٠هـ=١٩٩٩م).

٢٣٩. الكرمي، مرعي بن يوسف بن أبي بكر. **قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن**. تحقيق: سامي عطا حسن. الكويت: دار القرآن الكريم، (١٤٠٠هـ).

٢٤٠. الكيالي، عبد الوهاب. **موسوعة السياسة**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٤١. الكيرانوي الهندي، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الحنفي (ت١٣٠٨هـ). **إظهار الحق**. تحقيق محمد أحمد ملكاوي. ط١. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (١٤١٠هـ=١٩٨٩م).

٢٤٢. اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي (ت ٤١٨هـ). **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**. تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. ط٨. السعودية: دار طيبة، (١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م).

٢٤٣. لجنة من علماء الأزهر، **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**. ط١٨. مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (١٤١٦هـ=١٩٩٥م).

٢٤٤. ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني. **سنن ابن ماجه**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار الفكر.

٢٤٥. المازري، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المالكي (ت ٥٣٦هـ). **المُعْلم بفوائد مسلم**. تحقيق محمد الشاذلي النيفر. ط٢. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (١٩٨٨م).

٢٤٦. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت٤٥٠هـ). **الأحكام السلطانية**. القاهرة: دار الحديث.

٢٤٧. المؤلف نفسه. **اعلام النبوة**. ط١. بيروت: دار ومكتبة الهلال، (١٤٠٩هـ).

٢٤٨. المؤلف نفسه. **الحاوي في فقه الشافعي**. ط١. دار الكتب العلمية، (١٤١٤هـ =١٩٩٤م).

٢٤٩. المؤلف نفسه. **النكت والعيون**. تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٥٠. المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٥١. مجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت٦٥٢هـ). وعبد الحليم بن تيمية (ت٦٨٢هـ). وأحمد بن تيمية (٧٢٨هـ). **المسودة في أصول الفقه**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الكتاب العربي.

٢٥٢. المجذوب، محمد. **علماء ومفكرون عرفتهم**. ط٤. القاهرة: دار الشواف، (١٩٩٢م).

٢٥٣. مجموعة من المؤلفين. **الموسوعة القرآنية المتخصصة**. مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م).

٢٥٤. المحاسبي، الحارث بن أسد، أبو عبد الله (ت ٢٤٣هـ). **ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه**. تحقيق حسين القوتلي. ط٢. بيروت: دار الكندي، دار الفكر، (١٣٩٨هـ).

٢٥٥. أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، جمال الدين (ت ٨٧٤هـ). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب.

٢٥٦. المحبي الحموي. **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**. محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد الدمشقي (ت١١١١هـ). بيروت: دار صادر.

٢٥٧. محيي الدين الحنفي، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي (ت٧٧٥هـ). **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**. كراتشي: مير محمد كتب خانه.

٢٥٨. مخلوف، محمد بن محمد علي ابن سالم مخلوف (ت١٣٦٠هـ). **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م).

٢٥٩. المزيني، خالد بن سليمان. **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية**. ط١. المملكة العربية السعودية - الدمام: دار ابن الجوزي، (١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م).

٢٦٠. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦هـ- ٢٦١هـ). **صحيح مسلم**. الرياض: بيت الأفكار الدولية، (١٤١٩هـ=١٩٩٨م).

٢٦٠. مسيكة برّ، آمنة فتنت. **واقع المرأة الحضاري في ظل الإسلام**. ط١. بيروت: الشركة العالمية للكتاب، (١٩٩٦م).

٢٦٢. مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي. **تفسير مقاتل بن سليمان**. تحقيق أحمد فريد. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م).

٢٦٣. المقري التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. تحقيق إحسان عباس. ط٢. بيروت: دار صادر، (١٩٩٧م).

٢٦٤. الملا، أحمد علي الملا. **أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية**. دمشق: دار الفكر.

٢٦٥. المناوي، محمد عبد الرؤوف. **التوقيف على مهمات التعاريف**. تحقيق محمد رضوان الداية. ط١. بيروت، دمشق: دار الفكر، (١٤١٠هـ).

٢٦٦. المؤلف نفسه. **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ=١٩٩٤م).

٢٦٧. أبو منصور الماتريدي. محمد بن محمد بن محمود، (ت ٣٣٣هـ). **تفسير الماتريدي «تأويلات أهل السنة»**. تحقيق مجدي باسلوم. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م).

٢٦٨. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**. بيروت: دار صادر، (١٩٥٦م).

٢٦٩. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة. **الأخلاق الإسلامية وأسسها**. ط٥. دمشق: دار القلم، (١٤٢٠هـ=١٩٩٩م).

٢٧٠. ابن النجار، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوحي (ت٩٧٢هـ). **شرح الكوكب المنير**. تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد. ط٢. مكتبة العبيكان، (١٤١٨هـ =١٩٩٧م).

٢٧١. النجار، عبد المجيد. **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل**. (سلسلة المنهجية الإسلامية؛ (٥)، ط٣.هيرندن- فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (٢٠٠٥م).

٢٧٢. ابن النجيم، زين الدين بن ابراهيم بن محمد الحنفي (ت٩٧٠هـ). **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٨هـ=١٩٩٧م).

٢٧٣. النحوي، عدنان علي رضا. **حتى نغير ما بأنفسنا**. ط١. الرياض: دار النحوي، (١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م).

٢٧٤. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت٢٣٠هـ). **سنن النسائي**. تحقيق محمد ناصر الدين الالباني. ط١. الرياض: مكتبة المعارف.

٢٧٥. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت٧١٠هـ). **مدارك التتريل وحقائق التأويل**. تحقيق يوسف علي بديوي. ط١. بيروت: دار الكلم الطيب، (١٤١٩هـ=١٩٩٨م).

٢٧٦. النورسي، بديع الزمان سعيد. **المعجزات القرآنية**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. ط١. بغداد: مطبعة الرشيد، (١٩٩٠م).

٢٧٧. النووي: أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي (ت٦٧٦هـ). **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار**. عمان - الأردن: دار العلوم، (٢٠٠١م).

٢٧٨. المؤلف نفسه. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. ط٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٣٩٢هـ).

٢٧٩. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت٨٥٠هـ). **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**. تحقيق زكريا عميرات. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٦هـ).

٢٨٠. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٣ أو٢١٨). **السيرة النبوية**. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ط٣. بيروت: دار المعرفة، (٢٠٠٣م)

٢٨١. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت٣٩٥هـ). **الفروق اللغوية**. تحقيق محمد إبراهيم سليم. القاهرة: دار العلم والثقافة.

٢٨٢. هوفمان، مراد. **الإسلام كبديل**. ترجمة غريب محمد غريب. ط٢. الرياض: مكتبة العبيكان، (١٩٩٧م).

٢٨٣. الهيثمي، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ). **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م).

٢٨٤. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ). **أسباب نزول القرآن.** تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان. ط٢. الدمام: دار الاصلاح، (١٤١٢هـ=١٩٩٢م).

٢٨٥. الوادعي، مقبل بن هادي الهمداني (ت١٤٢٢هـ). **الصحيح المسند من أسباب النزول.** ط٤. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، (١٤٠٨هـ=١٩٨٧م).

٢٨٦. أبو الوليد القرطبي، محمد بن أحمد بن رشد (ت٥٢٠هـ). **المقدمات الممهدات.** تحقيق محمد حجي. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م).

٢٨٧. ياسين، محمد نعيم. **الإيمان؛ أركانه حقيقته نواقضه.** ط١. عمان: دار الفرقان، (١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م).

٢٨٨. يحيى السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين (ت٩٢٦هـ). **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن.** تحقيق محمد علي الصابوني. ط١. بيروت: دار القرآن الكريم، (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م).

٢٨٩. اليوبي، محمد سعد بن أحمد بن مسعود. **مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية.** ط١. الرياض: دار الهجرة، (١٤١٨هـ=١٩٩٨م).

- **الأوراق البحثية والرسائل الغير منشورة والصحف:**

١. الأحدب، خلدون محمد سليم. **أثر علم أصول الحديث في تشكيل عقل المسلم.** (بحث غير منشور). جدة: مجمع الفقه الإسلامي- منتدى الفكر الإسلامي، (١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م).

٢. حمد، سعد سمير محمد. **الخبائث وحكمها في الفقه الإسلامي.** (رسالة ماجستير) فلسطين-نابلس: جامعة النجاح الوطنية- كلية الدراسات العليا، (٢٠٠٨م).

٣. الزمزمي، يحيى بن محمد حسن. **حقوق الإنسان؛ مفهومه وتطبيقاته في القرآن الكريم.** بحث مقدم إلى مؤتمر حقوق الإنسان في السلم والحرب، جمعية الهلال الأحمر السعودي، ١٨-١٩شعبان١٤٢٤هـ، الرياض: نسخة إلكترونية (CD) دون ترقيم الصفحات.

٤. الضويجي، علي بن سعد. **العقل عند الأصوليين**. السعودية: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (ورقة بحثية غير منشورة).

٥. مؤسسة اليمامة الصحفية. **جريدة الرياض**. الأربعاء (٩ ربيع الأول١٤٣٣هـــ=١ فبراير ٢٠١٢م)، العدد (١٥٩٢٧).

- **المواقع الألكترونية:**

١. http: //www. alukah.net/Web/rommany/١٠٢٦٩/٢١٦٢٦/#_ftnref١٩

http://www.alimam.ws/ref/٤٢٧#_ftnref٣٢.

http://www.alukah.net/Culture/١٠٨٠/٤١٥٤٠٣.

http://www.ar.wikipedia.org/wiki٤.

http://www.balagh.com/pages/tex.php?tid=٢١٩٣٥.

http://www.dr- ghiathalnajar.com/?lec=٩٤٦.

http://www.ebn-khaldoun.com/article_details.php?article=١٦٣٥٧.

٨. http://www.islam.alnaddy.com/article/٣٤٩٥٩٤

http://www.lakii.com/vb/a-٦/a-٧٦١١٦٠٢٩.

http://www.lakii.com/vb/a-٦٧/a-٧٥٨٤٨٠١٠.

١١. http://www.lakii.com/vb/a-٦٧/a-٧٥٨٤٨٠

http://www.majdah.maktoob.com/vb/majdah١٢٥٢٨٢١٢.

http://www.mnwat.net/qs/t١٥٠٧٩١.html١٣.

١٤. http:// www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=٦٣١١

http://www.qaradaghi.com/portal/index.php ١٥.

http://www.saaid.net/arabic/٥٤٤.htm١٦.



سادساً: فهرس المواضيع

